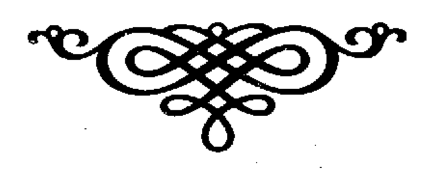
أعذب المناهل

في الأجوبة والرسائل

أحمد بن مصطفى العلاوي



الطبعة الثانية

المطبعة العلاوية بمستغانم

أعذب المناهل

محتوى الكتاب

القسم الأول:

أولا : أجوبته عن بعض الآيات القرآنية.

ثانيا : أجوبته عن بعض الأحاديث النبوية

ثالثا : أجوبته عن المسائل العلمية والدينية

(التوحيد - الفقه - التصوف)

القسم الثاني:

رسائله رضي الله تعالى عنه



بسم الله الرحمٰن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويكافىء مزيده، على الهداية الربانية التي خص بها من أحبه في الأزل، وجعله محلا وموردا لأسراره ومعارفه، المفاضة من الكتاب المنزل على أفضل الرسل.

فصل اللهم على نائب حضرة ذاتك في التبليغ، إمام أهل التوحيد، سيدنا ومولانا محمد أشرف الخلائق والعبيد، الرحمة المهداة، والسراج المبين المفاض بنوره على الوارثين المبلغين من عهدنا إلى عهده. وعلى آله وأصحابه القائمين بشرعه، وسلم تسليما طيبا مباركا فيه.

« أما بعد » إن من بين الآثار القيمة، والدرر الكامنة للأستاذ الأكبر، والغوث الأشهر، سيدي الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي – رضي الله عنه، وقدس سره – هذا الكتاب من جمع الشيخ الفاضل سيدي « علي بن محمد الغماري » – رحمه الله – وذلك بأمر وبإشارة من الشيخ العارف بالله سيدي (عدة بن تونس المستغانمي، خليفة الشيخ العلاوي) رضي الله عن الجميع.

وكان الشيخ « عدة » حريصا على نشر تراث الأستاذ العلاوي وجمعه، والعناية به خوفا من الضياع، وإفادة للمنتسبين من الأتباع وغيرهم من المسلمين، فقامت المطبعة بإخراج الكتاب

عام 1360 هـ / 1944 م. وبعد نفاد الطبعة الأولى، أصبح نادراً لا يعرفه إلا القلة من خاصة أهل النسبة فضلا عن غيرهم. لذلك تجدد العزم على طبعه ثانية لما له من أهمية كبرى، إذ تعكس مسائله ورسائله كثيراً من مواقف الشيخ العلاوي في التربية والتوجيه، ومواجهته للمشاكل المعاصرة، كما تكشف من جهة أخرى عن سعة معارف الشيخ . . . الدينية، وتفسيراته العجيبة لكثير من النصوص والنقول بأسلوب رصين محكم، وعبارات مركزة، وأفكار مدعمة بالبراهين والحجج للعديد من أقوال معارضيه التي تتسم بالسطحية أحيانا، وبعدم الموضوعية في كثير من الأحيان.

ولما كانت نِيَّتُنَا عموم النفع للمسلمين، والمنتسبين منهم على الخصوص، نقدم هذا الكتاب: (أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل) بإشراف سيدي «رشيد محمد الهادي» مدير المطبعة العلاوية والذي لم يبخل بمجهوداته المادية والمعنوية على مواصلة نشر تراث الأستاذ العلاوي - رضي الله عنه - وشجعنا على القيام بمراجعة الكتاب، وتقويم ما فيه من أخطاء الطبعة الأولى. إضافة إلى تقسيم الكتاب - حسب محاوره - إلى أقسام مراعين طبيعة الموضوعات، مع المحافظة على ترتيب جامعه الأول. كما وضعنا فهرساً عامّاً للأجوبة والرسائل يساعد القارىء على الوصول إلى الموضوع الذي يريد.

وأخيراً قمنا بتخريج الآيات القرآنية الواردة في الكتاب، وأملنا مستقبلا أن نقوم بتخريج الأحاديث النبوية معزوة إلى مخرجيها ورواتها، ولعلنا بذلك نكون قد قمنا ببعض الواجب

الذي يتناسب، ومكانة هذا الكتاب الذي دبجه قلم الأستاذ العلاوي المعروف بعمق التفكير، وأصالة الرأي، والموضوعية في البحث لعدد من القضايا التي كانت تشغل بعض الأفراد من أتباعه، أو الرأي العام في عصره.

ثم إن الكتاب يمثل ثروة ثقافية متنوعة، جدير بالمطالعة والدرس، وخاصة أولئك الذين يبحثون عن الحقيقة للوصول إلى طريق الهداية الربانية الكفيلة بتحقيق النجاة دنيا وأخرى.

وأسأله تعالى عموم النفع للمسلمين، ويهدي به **(إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، ألا إلى الله تصير الأمور)** « الشورى : 53 ».

الأستاذ : يحي الطاهر برقة



بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة جامع الكتاب

أحمدك اللهم يا من بحمدك تتم الأعمال الصالحات، وتصان رياضها اليانعة من عوامل الجائحات، وأشكرك اللهم شكر عبد كامل الإيمان من ذوي العقول الراجحات، على ما أنعمت علينا به من الهداية إلى سبل السلام الواضحات. والصلاة والسلام على المثل الأعلى من بني الإنسان، الذي فضله الرحمٰن وعلمه البيان، سيدنا محمد المبعوث رحمة لعوالم الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تعاقب الحدثان.

أما بعد: فإن أحسن ما يطمئن به الفؤاد وتقر به عين المؤمن، خدمة الصالحين بإثبات مناقبهم، وتخليد مآثرهم في الدفاتر والزبر، فإن ذلك من عزم الأمور لمن اتقى وصدق، ورضي أن يكون من عباد الله المهتدين، الذين قالوا: **(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين)**.

قال مولانا الأستاذ في كتابه «المواد الغيثية» نقلا عن سيدي أبي مدين الغوث رضي الله عنهما: «من جالس الذاكرين انتبه من غفلته، ومن خدم الصالحين انتفع بخدمته» ونحن رغبة في الانتباه ورغبة فيما يبعث قلوبنا على اليقظة فقد جالسناهم وعملنا على صحبتهم بما تقتضيه الصحبة الصادقة من وفاء وإخلاص وقد حصلنا ببركتهم والمنة لله ما كنا في مسيس الحاجة إليه من تنوير البواطن، وتطهير السرائر، الأمر الذي لم يبق لنا ريبا في تحقيق نسبتنا واتصال سندنا بمن سبقنا بالإيمان

من أئمة النسبة المتقين (**أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**).

أما ما يتعلق بخدمتهم فلنا الشرف كله أن نكون ممن يتردد على أعتابهم، ويتلذذ بذكرهم، وأحوالهم السنية الناشئة عن إفرادهم الوجهة إلى الله، في السر والعلانية، ونحن إذا خدمناهم من هذه الناحية، فإنما نخدم أقواما اصطفاهم الله لخدمته، وجعلهم ينابيع لسره وحكمته، فكانوا أحق الناس بالتبجيل والتكريم، بعد الأنبياء والمرسلين، لأنهم الورثة الأماجد، الذين ورثوا مقام الدعاية إلى الله وحماية شرعته من غواية المفسدين، ولا شاهد أعدل على صدق دعوتهم، من أثرهم الخالد وعملهم السائد، تلك الآثار الجلية الجليلة التي لا ينكرها إلا مكابر في الحق، والحق أحق أن يتبع.

أما خدمتنا التي أردنا أن نخدمهم بها لنزداد نفعا على نفع، والتي لا نشك أنها ترضيهم وترضي كافة صالح المومنين، هو جمعنا لأجوبة ورسائل القدوة الكريم، والمربي الحكيم مولانا الأستاذ الشيخ سيدي (أحمد بن مصطفى العلاوي) المستغانمي رضوان الله عليه، ذلك الإمام الذي ذاع ذكره في المشرقين، وطار صيته في الخافقين، ذلك الذي نرجوا بركاته وذلك الذي نرجوا الانتفاع بخدمته، وحيث لم يكن تحت يدي من أجوبته ورسائله المفيدة إلا شيء قليل، فاخترت أن نرجع في تحقيقها وإتمامها إلى خليفته الموقر، وعمدته المنور، أستاذنا الأبر، العامل المخلص، الشيخ سيدي «الحاج عدة بن تونس» ذلك الذي تركه منارا في زاويته وأمينا على أهل بيته ونسبته.

أقول هذا وأنا على بينة من أمري، ولي به تمام الثقة أن يكون لي أكبر معين على ما أردت جمعه من أجوبة ورسائل الأستاذ رضوان الله عليه، واخترت أن نسمي هذا الكتاب «أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل» والله أرجو أن يوفقني إلى تنسيقه وجمعه، جمعا يلائم الذوق السليم، **(وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)**.

وإننا نفتتح هذا الكتاب الكريم بأجوبته عن الآيات القرآنية فالأحاديث النبوية، فبقية الأجوبة من المسائل العامة، وما رتبناه على هذا الترتيب، إلا تقديراً للقرآن والأحاديث النبوية، والمسائل العلمية، عسانا نكون قد أنزلنا الأشياء منازلها، ولم نبخسها حقها، قال تعالى: **(ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه)**.



القسم الأول

أولا: أجوبته رضي الله عنه عن بعض الآيات القرآنية

سئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: (**فاذكروني أذكركم...**) - جواباً عن محاورة جرت بين أتباعه المتنورين فيما معنى - ذكره لنا سبحانه وتعالى -.

فأجاب قائلا: أما ذكرنا له تعالى فهو قولنا: (الله الله) أو ما يشاكله من أسماء الله الحسنى، وهو مفهوم ضرورة لا إشكال فيه، أما ذكره تعالى لذاكره فهو محل الاشكال في تصوير كيفيته وأسلوبه، فكيف يكون يا ترى؟ يريد بهذا التوجيه تشحيذ قرائح أتباعه، ولما علم منهم القصور عن الخوض في المسألة، قال: استلفتنا تعالى بهذه الآية الكريمة لما يخلد ذكرنا في التاريخ، فكأنه يقول: إن أردتم أن تذكروا باحترام فيما سيأتي من الأمم والأجيال، فاذكروني، أذكركم على ألسنتهم، ومن أجل هذا ترى الذاكرين لن يزالوا مذكورين على ألسنة العموم والخصوص، وذلك هو نفس ذكر الله لهم، جزاء وفاقا، لأن الجزاء من جنس العمل والله أعلم.

سئل رضي الله عنه: عما هو وجه الجمع بين قوله تعالى لنبيه ﷺ: **(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)** « الشورى : 52 » وبين قوله: **(ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء)** « البقرة : 272 ».

فأجاب قائلا: إن الهداية قسمان، القسم الأول عام، وبه تفضل سبحانه وتعالى على سائر أفراد البشر، ومنه العقل الذي يميز به الإنسان المضار والمنافع، ومن ذلك أيضا بعثة الرسل ليبينوا للناس سبل الرشاد، وهي التي قال فيها لنبيه: **(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)** والمعنى: أنه ﷺ يوقف الناس على رأس الطريقين، السعادة والشقاوة، مع شرح ما اشتملت عليه كلا الطريقين، وهذه الهداية هي التي للمرسلين فيها اكتساب، وهي المشار إليها بقوله تعالى: **(فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى)** « فصلت : 17 » أي اختاروا طريق الشقاوة على طريق السعادة.

وأما الهداية الثانية، فهي التوفيق إلى سلوك سبيل السعادة، وهي مما انفرد به سبحانه وتعالى، وفي الآية: **(وما توفيقي إلا بالله)** أي ليس لأحد فيها أدنى كسب، وهي المشار إليها بقوله: **(ليس عليك هداهم)** وقوله: **(إنك لا تهدي من أحببت)** وما هو من هذا القبيل.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم عليه السلام إذ قال: **(رب أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي. قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم أجعل على كل جبل**

منهن جزءا، ثم ادعهن ياتينك سعيا) « البقرة : 260 » قال السائل : تشعرنا هاته الآية بأن سيدنا إبراهيم كان على غير اطمئنان من وجود النشأة الأخروية، ونظير هذا مخل بمقام النبوءة !

فأجابه قائلا : إن سيدنا إبراهيم عليه السلام، كان يريد بسؤاله أن يربط منتهى إيمانه، بمبدإ شهوده، وهو من السير في طريق الله عز وجل، وحقنا أن نعتبر ذلك منه درساً لنا، حتى لا نقتصر على ما بأيدينا من الإيمان، وفي وسعنا أن نربطه بطرف من المشاهدة، لأن درجة الخبر أو الدليل، لا تقوى قوة المشاهد كيفما كان الحال، ومن ذلك قول سيدنا موسى عليه السلام : **(رَبِّ أرني أنظر إليك)** « الأعراف : 142 » والمحصل مما قدمناه أنه لا يحصل الاطمئنان في العقائد، إلا إذا تعزز جانبها بشيء من لوائح المشاهدة، والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه : عن قوله تعالى : **(كنتم خير أمة)**

فأجاب قائلا : عن قوله تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس)** « آل عمران : 110 » إما أن يكون راجعا لعامة المؤمنين، وإما أن يكون راجعا لخاصتهم، فإذا كان عائداً على عامتهم، فيكون فيه دلالة على تخصيصهم بين الأمم بوظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأنها وظيفة الصديقين والأنبياء والمرسلين، ويكون أمرهم ونهيهم، عائدين على من سواهم من الأمم، ويكون المنكر عبارة عن الشرك، وما في معناه، والمعروف عبارة عن التوحيد وما والاه.

وإذا كان الخطاب عائدا على خاصتهم، فيكون الأمر فيما

بينهم، ويكون المنكر عبارة عن كل خلق مذموم، وعكسه المعروف.

ثم إننا حملنا الضمير على المعنى الأخير، لا يتعين صرفه عن الوجه المطابق لما في نفس الأمر إلا لهداة الخلق والداعين إلى الحق بالحق، الذين قال فيهم ﷺ: **(لن تخلو الأرض من أربعين رجلا على قلب خليل الرحمان فبهم تسقون وبهم ترزقون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه الآخر)** وهكذا ما من نبي إلا وعلى قلبه طبقة من أمة « محمد ﷺ » وهاته الكتائب التي لا يخلو منها عصر، ولا يوحش منها مصر، هي التي يتعلق بها الخطاب على الوجه الأحق، لأنهم أهلوا لذلك، وفطروا في الأزل على ما هنالك، فصفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، موجودة فيهم بالطبع لا بالتطبع، وقد توجد في غيرهم إلا أنها عرض تغيرها العوارض، وفي ظني أن الطبقة المشار إليها، لا توجد غالبا إلا في حيز الذاكرين المستهترين بذكر الله، حسبما جاء في الحديث الآتي ذكره، ولا يوجد المستهتر بذكر الله، والمولع بذكر الله، على ما في بعض الروايات أو المستهتر بذكر الله على ما في أخرى، إلا في حيز المتصوفة، وأما غيرهم فلا يبلغ في ذكر الله مبلغهم كائنا من كان، إلا من كان محبا لهم أو من أسلافهم أو من أهل سلسلتهم حفظنا الله من الخوض في أراضهم.

وسئل رضي الله عنه: عن الجمع بين قوله تعالى: **(وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك، قل كل من عند الله)** « النساء : 78 »

وبين قوله عقبها (**ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك**) «النساء: 79».

فأجاب قائلا: إن جميع الشرائع الإلهية تدور على محور واحد، وهو جمع القلوب على الفاعل المختار، وأنه المتصرف الواحد في الوجود، بيده الخير والشر، فهذا هو المقصود الأهم من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكانت ولم تزل الأمم تنسب أكثر الأفعال لغير الله عز وجل، وهو مما يناقض خالص التوحيد.

ومن ذلك أنهم يتطيرون ويتشاءمون بأنبيائهم، والرسل ملزمون بالدلالة على الله كما هو الواقع في نفس الأمر، ومنه قوله تعالى لنبيه ﷺ: (**قل كل من عند الله**) «النساء: 78».

ومن الغريب أن يلتبس المفعول بالفاعل من جهة صدور الفعل، ولهذا أتى بما يدل على الاستغراب وهو قوله: (**فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا**) «النساء: 78» وما أنزلهم هذه المنزلة إلا لنسبتهم الفعل لغير فاعله.

ولما اتضحت الحقيقة بهذه الآية اتضاحا من أنه لا فاعل إلا الله، أرادت النفس أن تتشبث بهذا الأصل، وتترك ما وراء ذلك، فركزها سبحانه وتعالى بالآية بعدها، وأمرها أن تثبت مكانها، ولا تنسب فعلا كيفما كان لغير الله، وإن كان ولا بد فلتنسب القبيح لنفسها لا لأحد وترى ذلك من سوء اختيارها.

وفي الآية الأخيرة ما يشعر بإثبات الكسب، ومن أجله شرعت الشرائع وأرسلت الرسل، ولعله أن السيئة في الآية الأخيرة غير السيئة في الآية الأولى، لأن الاولى عبارة عما يصيب الإنسان من

المكروه في الأموال والأبدان، والثانية تحتمل أن تكون بمعنى المخالفة، ونسبتها لله مستبشعة جداً، لما يلزم على ذلك من تعطيل الشرائع، بخلاف نسبة الرزايا في الأموال والأبدان لله تعالى، فلا ينشأ إلا خالص التوحيد عنها، والملخص، من هذا أن جميع الطواريء الكونية كيفما كانت، لا تجوز نسبتها لغير الله، إلا ما وقع للإنسان في نفسه من المخالفات فلا يليق أن ينسبها إلا لنفسه، من جهة كون السيئة صدرت باختياره، فإنها أخذها وقبلها بما فيها، وإن قلت ولم لا تنسب له الحسنة فإنها صدرت منه باختياره أيضا، وكذلك أخذها وقبلها بما فيها؟

فأقول: هو كذلك، غير أن الله تعالى هو مشرع للحسنات، بخلاف السيآت فالعبد هو الذي شرعها لنفسه بمراده.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: **(ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا)** « النساء: 83 » فقال السائل: قد يظهر من هذه الآية أنه يوجد من لم يتبع الشيطان، ولو لم يكن فضل ولا رحمة، فما هو بيان ذلك؟

فأجاب قائلا: إن الفهم العام في هاته الآية أنه سبحانه وتعالى خاطب أناسا مخصوصين، يمن عليهم ببعثة النبي ﷺ وإنزال الكتاب، فقال لهم الحق سبحانه وتعالى: ولولا فضل الله الذي هوالكتاب، ورحمته التي هي الرسول، لاتبعتم الشيطان، أي لبقيتم مستمرين على الشرك، إلا القليل، إشارة لمن آمن بعقله قبل إنزال الكتاب.

ثم قال رضي الله عنه: والفهم الخاص، يرى أن كل هداية اتصف بها البشر كيفما كانت ناشئة عن فضل الله ورحمته، ولولا

ذلك لما اهتدى أحد، إلا من كانت حقيقته تأبى الانحراف عن سبيل الهداية كـ «محمد ﷺ»، فإنه مظهر الرحمة مباين للضلال طبعا، وكل يجر لحقيقته. وعليه فيكون هو المستثنى، وإخوانه من النبيئين والمرسلين، وتصير المعنى (**ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان**) إلا من كان هو عين الرحمة كـ «محمد» وإخوانه من المرسلين، عليهم صلوات الله وسلامه.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: (**اليوم أكملت لكم دينكم**) «المائدة: 3».

فأجاب قائلا: بعد الديباجة مختصراً:

أراني ملزوما يا حضرة الأخ، بذكر أمر طالما تردد ذكره في مكاتباتكم، كمكاتبات غيركم من بعض كتاب العصر، وقد جئتم به في هذا الكتاب الأخير أيضا، بقصد الاستدلال على محدثات المتصوفة، وأنها ليست من الدين في شيء، وأكبر عمدتكم في ذلك، قوله تعالى: (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) تريدون بذلك أن ما لم يكن دينا في ذلك الحين، ليس هو بدين من بعد، وهذا شيء جميل، لو يقع تسلطه على إخراج ما أحدثه المتصوفة من وظائف الأذكار وغيرها.

لكن بعيد أن يستقيم لنا ذلك، إلا إذا أخرجت معه سائر اجتهادات المجتهدين وأقوال العلماء العاملين، ولا شك أنه قضاء مبرم على سائر الأحكام الشرعية، المقررة من طريق الإجتهاد، والحكم عليها بأنها ليست من الدين، بدعوى أنها جاءت بعد

كمال الدين وإتمام نعمته على المسلمين، المفهومان من صريح الآية، ولا شك أن مقالتك هذه تنتج لنا من الاعتقاد ما لا تقول به أي فرقة من فرق الإسلام المنحرفة، فضلا عن أهل السنة المتبوعة الذين أنت من أفرادهم.

ونحن إذا نظرنا إلى ما أسسته الصوفية من وظائف الأذكار، والتقييدات في الأعداد، وغير ذلك مما أنكرتموه، ثم نظرنا إلى ما أسسه المجتهدون من الأحكام وقننوه من القوانين، نجد الأول نزرا قليلا بالنظر إلى الآخر!

على أن المجتهدين حللوا وحرموا وأوجبوا وندبوا، الأمر الذي لا يذكر أمامه ما أحدثه القوم من القوانين، والحالة أن جميع ذلك بعد كمال الدين وإتمام النعمة.

وإذا فما يقول حضرة الشيخ في جميع ذلك؟ هل يتسنى له القول بأن الأمة من عهد المجتهدين إلى يومنا هذا، تدين الله بغير الدين المنزل على النبي ﷺ، المختتم بقوله تعالى: **(اليوم أكملت لكم دينكم)**.

وزيادة على هذا، إن الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل يتعدى إلى سائر الأحكام المستفادة من أقوال الصحابة والتابعين، وحتى المنصوص عليها من أعمال الخلفاء الراشدين، على أن جميعها جاء بعد نزول الآية الكريمة، ولا تفوتك يا حضرة الشيخ تلك النوازل التي لم تقرر إلا في زمان الخلفاء! ألم يبلغك أن جمع الناس على صلاة التراويح بالمسجد لم يقرر العمل به إلا في خلافة « عمر » بأمر منه، وكان الحال في عصر النبي ﷺ على خلاف ذلك، وأن الطلاق الثلاث دفعة واحدة، كان على عهد

النبي ﷺ وخلافة « أبي بكر » وطرفا من خلافة « عمر » رضي الله عنهما يعتبر طلقة واحدة، ثم بدا لهذا الأخير أن يعتبره ثلاثا باتا، فنجر رأيه في ذلك ووافقه عليه الصحابة، وها هو الآن يجري عليه العمل! وأن حد شارب الخمر، كان في عهد النبي ﷺ وخلافة أبي بكر مقيدا بأربعين جلدة، زاد فيه عمر إلى الثمانين، وعلى ذلك جرى العمل، وقس على ذلك بقية النوازل، والحالة أن جميع ذلك بعد نزول الآية الكريمة، فهل يتسنى لكم القول بأن جميع ذلك ليس من الدين! كلا، لا تطاوعك نفسك، ولا نفس أي مؤمن يشبه ذلك القول.

وفي ظني أنك تدرك كون الأمر لا يقف عند هذا الحد أيضا، بل يتعداه إلى سائر الأحكام المستفادة من الأحاديث النبوية، التي جاءت بعد نزول الآية، أعني بعد كمال الدين وإتمام النعمة، فوجودها مساو لوجود غيرها بالنظر لمقتضى الآية.

ونحن مهما اعتبرنا ما جاء من الأحاديث، عقب تلك الآية، لا يصح الاحتجاج به لزمنا التوقف في عموم الأحاديث، التي نجهل تاريخ وقوعها وهي ليست بقليلة العدد، نفعل ذلك لئلا ندين الله بغير دينه المختتم بقوله: (اليوم أكملت لكم دينكم) على أن رواة الحديث لم يتعرضوا في الغالب لما يرجع للتاريخ، ولا شك أن أمراً كهذا يجر لنا وللمسلمين من الوبال ما لا يخفى على مثلكم، وكأني بكم تظنون أن الأمر يقف عند هذا الحد أيضا؟ ولهذا ظهر لي أن نذكر لك ما هو أعظم منه.

فأقول: إنه يلزم على ذلك المعتقد خروج جملة من الأحكام السماوية المنصوص عليها بالايات القرآنية واعتبارها أنها ليست

من الدين، وإليكم من الإيضاح ما يتعين عليكم الوقوف عنده، ولو شيئا قليلا، حتى تدركوا مصداق الحديث، وما يجر إليه السياق.

ذكر «السيوطي» في كتابه «الإتقان» ما نصه: (إن من المشكل قوله تعالى: (**اليوم أكملت لكم دينكم**) فإنها نزلت بعرفات عام حجة الوداع، وظاهرها كمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرح بذلك جماعة، مع أنه ورد في آيات الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك). وقد استشكل ذلك ابن جرير، قال: (الأولى أن يتأول على أنه أكمل دينهم بإقرارهم بالبلد الحرام، وانجلاء المشركين عنه). ومحل الشاهد أنه يلزم إخراج هاته الأحكام المستفادة من هاته الآي عن دائرة الدين، فبعيد والله أن يعتقد المسلم نظير ذلك، ولهذا حمل المفسرون هاته الآية على محامل غير المحامل التي يحملها عليها كتاب عصرنا.

وإني أرى أحسن ما ينبغي أن تحمل عليه، هو أن المراد بكمال الدين، يعني أصوله وقواعده الجوهرية، أما ما وراء ذلك من الفرعيات، فلا نراه من مدخول الحكم، ولا تراه أنت يا حضرة الشيخ...... إلا من طريق رجوع الفروع إلى أصولها، لأنها تعتبر كامنة فيها، ككمون النخلة في حبة النواة؟ ألهمني الله وإياكم من العلم ما يكون أساسه التقوى.

وهذا ما فهمناه نحن من الدين، ومن معنى كماله وإتمام النعمة على أهله، فإن كان له موقع عندكم فذاك، وإلا فارشدونا لفهم أعلى من ذلك وأجركم على الله.

وثق يا حضرة الشيخ، فإن فهمك السابق في الآية الكريمة، ليس هو من العلم في شيء، ولا مما يحسن اعتقاده، ولا أقول لكم أنكم اعتقدتم ذلك القول بحيث صدر منكم عن تمحيص وإمعان، أو بنيتموه عن حجة وبرهان، إنما اعتقادي فيكم أنكم جريتم فيه على قلة التثبت وأعانكم على ذلك حسن ثقتكم بأنفسكم من جهة مكانتكم العلمية.

والحالة أننا وأنتم ممن هو حقيق أن يقال له: علمت شيئا وغابت عنك أشياء، مع أن الأجدر بأمثالنا قبل كل شيء، هو إدراك التقصير من أنفسنا وهذا فيما نعلم، وأحرى فيما لا علم لنا به.

وإذاً فواجب النصيحة يقضي على أن نقول لك نظير ما جاء في «الرسالة الخروبية» حيث يقول صاحبها: (يجب على الفقيه أن يرفق بنفسه، وأن يعلم مقامه في الدين، فلا يمدن يده الفارغة، إلى ما فوق طوره من المقامات العرفانية، والأحوال الربانية، حتى يذوق ما ذاقت الرجال). لا أحرمنا الله وإياكم من سلسبيل معارفهم، وفي الأخير أرجوكم سيدي أن لا ترسلوا النصوص في الاستدلال، قبل تأملها فإن الأمر ليس بالهين، وهذا ما سبق فيه اختياري لنفسي، اخترته لكم والسلام.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: **(لا تدركه الأبصار)** «الأنعام: 103» وهل في ذلك ما يقتضي منع الرؤية عنه تعالى؟

فأجاب قائلا: لا أرى في ذلك ما يقتضي منع الرؤية عنه تعالى، لأن الآية صرحت بمنع الإدراك، لا الرؤية، والإدراك غير

الرؤية، لأنه عبارة عما يتوصل به للشيء، على ما هو عليه من كل الوجوه، وهذا ممتنع عنه تعالى ضرورة، وهو غير متيسر للبصائر، فضلا عن الأبصار.

ثم أقول: إن الرؤية لو كانت ممتنعة عقلا أو شرعا لما سألها كليم الله عليه السلام، لأنه أعلم بما يجوز وما يستحيل في حقه تعالى، وحتى لو قلنا منع منها، فمن المحتمل أن تكون قد ذخرت لغيره، (**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**) « البقرة : 253 ».

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: (**فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما**) « الأعراف : 190 » فما هاته النسبة التي تعلقت بآدم عليه السلام؟

فأجاب قائلا: كل ما نسب له من المخالفات، والاشراك، وما هو من هذا القبيل، راجع لما أثقل ظهره أو حَوَى صُلْبَهُ من ذريته المختلفي العقائد، فكان شبه سفينة، وهذا يطرأ في كل نبي ولد لـه، إلا من كـان خـالي الصلب من المشركين كـ « محمد » و « يحيى » و « عيسى » عليهم الصلاة والسلام، فإنه لم يرد فيهم ما يوهم صريح المخالفة.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: (**فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها**) « يونس : 108 ».

فأجاب قائلا: جاءت هاته الآية على ما يتبادره الفهم الخاص، تشعرنا بأن الهداية محصورة في معرفة النفس، كما أن الضلالة محصورة في عدم معرفتها، فكأنه تعالى يقول: فمن اهتدى هداية لا يشقى بعدها أبداً، ولهذا جاءت الهداية محصورة

بإنما، وبعبارة أخرى، فمن اهتدى فغاية ما يهتدي إليه، أن يهتدي لنفسه، أي يعرفها على ما هي عليه، والذي يشعرك بهذا، ما يروى في الأثر، أنه **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)** والعكس بالعكس، فمن جهل نفسه فقد جهل ربه، وهو قوله: **(ومن ضل فإنما يضل عليها)** فجاءت الضلالة أيضا محصورة بإنما فكأنه تعالى يقول: لا ضلال أضل ممن ضل عن نفسه أن يعرفها، فهذا هو الضلال البعيد، فأشد ما يعاقب به العبد أن يضل عن نفسه، من أن يعرفها، قال تعالى: **(نسوا الله فأنساهم أنفسهم)** « الحشر : 19 » قال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه: « طلبت ذاتي في الكونين فلم أجدها، إلى أن انسلخت عني فعرفت من أنا » قال تعالى: **(قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها)** « الشمس : 109 » نفعنا الله بخيرها وأعاذنا من شرها آمين.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن)** « النحل : 125 ».

فأجاب قائلا: إن القوم الذين أقامهم الله تعالى لدعوة الخلق، عرفهم أسلوب التذكير، فينقاد لهم بسبب ذلك الكبير والصغير، والجليل والحقير، كلامهم مقبول في الأسماع، لأن وعظهم بارز من القلوب، لا من الكتب، والكلام إذا برز من القلب وقع فيه، فلهذا أثرت في القلوب موعظتهم، وسارت في المريد إشارتهم، وقد فهموا من الآية الكريمة! ان الناس جاءت على أزواج ثلاثة، والرسول ﷺ يقول: **(أنزلوا الناس**

منازلهم) فالقسم الأول من الأقسام، لا ينقاد للمذكر إلا بالحكمة، وهم الخاصة من عباد الله، والقسم الثاني: تفيده الموعظة الحسنة، الواقعة بين ترغيب وترهيب، أي برفق وملاطفة، القسم الثالث: أهل المجادلة، وهو الذي أتعب المرشدين، رسولا ووليا، فأباح الله تعالى للرسول فتح باب المجادلة معهم، إلا أنه قيدها بالتي هي أحسن، وهكذا الأحسن فالأحسن، ولهذا كان السيف آخر درجات التبليغ، ومن تخلف عن هاته الخطة المشروعة للتذكير، ففي الغالب يكون أمره مردودا عليه، وكل ذلك يستفاد من قوله ﷺ: **(مَن أمر فليأمر بالمعروف)** أي برفق ولين، ليكون أدعى للقبول والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: **(واذكر ربك إذا نسيت)** « الكهف : 24 » ؟

فأجاب قائلا: أي إذا غفلت، وأما في حال الحضور، فغب عن الذكر في شهود المذكور، فسبب مشروعية الذكر معالجة النسيان، وعليه فمهما وقع النسيان وجب الذكر، ومهما كان الشعور تعين الحضور.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: **(ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه)** « طه : 114 » ؟

فأجاب قائلا: على ما تعطيه الإشارة، إن النهي عن العجلة جاء متعلق بتفسير معاني القرآن، كأنه يقول تعالى، لا تعجل يا محمد بتبيين جميع معاني القرآن، قبل أن يأتي أوانها، **(وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)** « الحجر : 21 » فالقرآن وإن انقضى لك وحيه من جهة الأحكام،

فهو لا ينقضي من جهة ما احتوى عليه من الإلهام، فلا يسمح لك إلا بإظهار ما هو مستحق الظهور، وما زاد على ذلك من غرائبه فاتركه لأوانه، يظهره الله تبارك وتعالى على ألسنة علماء أمتك، وقد أشار بعضهم إلى هذا المعنى بقوله: «الحق يجري على ألسنة علماء كل زمان بما يليق بأهله».

والمراد بالعلماء، العلماء بالله، المشار لهم في الحديث: (**العلماء ورثة الأنبياء**) والنكتة في قوله: (ورثة الأنبياء) بدلا أن يقول ورثة الرسل تفيدنا تحجيرهم على عدم مجاوزتهم على ما أحاط به القرآن.

والمعنى: إن الإلهام الذي خَصَّهُمْ به الحق عز وجل، وإن كان هو قسم من أقسام الوحي، جاءهم مقصوراً على القرآن، لا يتجاوزه لما وراء ذلك، فلا زالوا رضي الله عنهم يستخرجون من معاني القرآن، ما لا تحتمله الأذهان، وكل ذلك من أثر الوحي، وشعاعه المتصل إلى قلوبهم، من الحضرة النبوية، فلا زالوا ينفقون مما خصهم الحق عز وجل به من عجائب القرآن، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والقرآن لا تتناهى معانيه، والذي يشعرك به قوله ﷺ: (**القرآن لا تنقضي عجائبه**) والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: (**أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما، وجعلنا من الماء كل شيء حي**) «الأنبياء: 30» أين كانت مادة الماء، حالة كون السموات والأرض رتقا، أي مادة واحدة متصلا بعض أجزائها ببعض؟ فهل كانت مادته في مادتهما، أم منفصلة عنهما؟ وهل كانت مادة حياتنا في مادته إذ قال: (**وجعلنا من الماء كل شيء حي**)؟

فأجاب قائلا: بعد البسملة والصلاة على النبي ﷺ: أخي إن الآية الكريمة لم تتكفل بالتنصيص عن أول المواد، إنما نزلت في سياق الاحتجاج على إثبات المدبر لمن نفاه، ولهذا كان توجه الخطاب للذين كفروا أي بمدبر الكون، دون الذين آمنوا، وعلى كل حال، أذكر ما يتعلق بالآية وعلى الله البيان.

فأقول: ما من آية إلا ولها معنى قريب وأقرب، وبعيد، وأبعد، وهذه الأوجه الأربعة، هي المشار لها في الحديث الشريف: (**بالظاهر والباطن والحد والمطلع**) والأقرب منها، والمتيسر فهمه بديهة للعموم (**أن السموات والأرض كانتا رتقا**) فانفلقت السماء بالمطر، والأرض بالنبات، (**إن في ذلك لآيات**) وبهذا جاء الأثر، كما جاء بالوجه الثاني أيضا، من وجوه التفسير أن الأرض والسموات وما فيهن كانتا رتقا، أي مجتمعة في جوهر واحد، ثم وقع الفتق، **وهي رواية ابن عباس رضي الله عنهما، وقول العلماء قديما وحديثا، تبعا لسنة الكون من صدور الشيء عن يد القدرة مجملا، ثم يتلوه التفصيل، وإننا مهما صرفنا الآية لرواية ابن عباس، لا تصح أن تكون خطابا لعامة الذين كفروا، لقصور نظرهم عن التوصل لأول النشأة، نعم تصح أن تكون خطابا لحكمائهم، والله سبحانه** وتعالى يهدي من يشاء لما فيه الصلاح، لتكون له الحجة البالغة، وقد يكون من الحكمة الإلهية أن أدخرت معاني هاته الآية للمتأخرين، لما تضمنته، وتقرر لدى المخاطبين من استطلاعهم عن حسن الكون، وعلمهم أن التفصيل فرع الإجمال، وأن الأشياء كانت مجتمعة بجميع أفرادها، ثم وقع الانفصال، وهذه

الغاية لا يصل إليها إلا الخاصة من كل فريق، وأما عامتهم فيكفيهم أن يستلفتهم تعالى لظواهر الأجرام كقوله: **(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)** « الغاشية : 17 » وما هو من هذا القبيل.

ثم أقول: إن في الآية تلميحا يشير إلى ما وصل إليه غير المسلمين من علم الهيأة واكتشافهم عن مخبآت الكون، إلى أن اتضح عنده يقينا أن الأشياء كانت على مادة واحدة، ثم وقع الانفصال والتوالد، وإني أرى هذه الآية من معجزات القرآن، لأنها صريحة في بابها، أي فيما وصل المخاطبون إليه، وقد اتضح لدينا فتعين الاعتراف بسائر معلوماتهم، إلا ما كان له مساس بالدين، كنفيهم المثبتات وما هو من لوازم الإيمان، لأنهم جهلاء به، وإن كانوا علماء بغيره بشهادة القرآن **(يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون)** « الروم : 7 ».

وأما قولنا في الآية تلميح لما وصل إليه المخاطبون، فيستفاد من همزة التقرير من قوله تعالى: **(أو لم ير الذين كفروا)** لأن التقرير لا يكون إلا عن شيء تقرر ثبوته عند المخاطب، وفي التعبير بالرؤية بدل العلم، دلالة على صحة اكتشافهم، فكأنه تعالى يقول: أو لم يتضح ويتقرر عند الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا، أي مادة واحدة، كل يعبر عنها بمصطلحه ثم فتقهما من ذلك الرتق، وفرقهما غاية الفرق، ألا ترى من هو السبب في نشأة الرتق؟ وما هو السبب في تفصيل الفتق، عن الهيأة المتقررة للناظرين؟ وفي ظني لو أعار المنصف من شعاع

فكره، أدنى قبس للهيأة الاجتماعية من أجرام العالم، لا يلبث أن يقول: (**فتبارك الله أحسن الخالقين**) «المؤمنون: 14» لما يراه من حسن النظام، وبداعة الترتيب، والمقادير، والموازين العالية، التي وزن بها كل شيء، غير منقوص.

لقد تعاقبت الدهور والأعوام، واختلفت الليالي والأيام، ولم يقع ولا أدنى تعطيل في حركة الفلك، ولا تصادم في الأجرام، (**وكل في فلك يسبحون**) «يس: 40» فسبحان من رفع السماء، ووضع الميزان، فلا تميل إحدى الكفتين على الأخرى، يوزن به القمح والشعير، كلا، وإنما هو أشرف من ذلك وأعلى، ولعله هو القائم بين أجرام العالم، وبه كان كل شيء محكما في بابه، أي موزونا، ألا ترى من قدر ذلك التقدير وكور ذلك التكوير، ومسك الهيأة الاجتماعية من أن تتصادم مع بعضها، وأن تزول عن مركزها (**ولئن زالتا إن أمسكهما من احد من بعده**) «فاطر: 41» ولعلهم يقولون: ان الجاذبية اقتضت طبعا أن يستقر كل في مركزه، أو يسير على فلكه. فأقول: من قدر الجاذبية ووضع الميزان، وربط الأسباب بمسبباتها؟ وهل بعد البيان بيان؟ والمنصف من الذين كفروا يكتفي بإثبات المدبر بأقل من هذا (**ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا**) «الكهف: 17».

وأما قوله: (**وجعلنا من الماء كل شيء حي**) «الأنبياء: 30» فيجري فيه ما تقدم من الوجوه أيضا، ومعناه الأقرب غير خاف، قال تعالى: (**وينزل من السماء ماء فيحي به الأرض بعد موتها**) «الروم: 24» فكل ذي حياة إلا ومادة حياته وقوام وجوده مسبب عن الماء، لا فرق بين حيوان ونبات، فالكل نبات، قال

تعالى : (**والله أنبتكم من الأرض نباتا**) « نوح : 17 » فتساوى الحيوان والنبات بهذا الاعتبار ، فكل ذي جسم نامٍ مما هو على ظهر البسيطة يعتبر نباتا ، وخص الحيوان من جنسه العام ، الذي هو النامي بسبب كونه منفصلا عن الأرض ، يستمد من أعلاه ، وغيره ركز فيها يستمد من أسفله ، فما الحيوان إلا شجر فصل عن الأرض ، تارة يتحرك بإرادة ، وتارة يتحرك باضطرار ، وما الشجر إلا حيوان ركز فيها منع الاختيار ، ولكن لم يمنع حظه من التوحيد ، ونصيبه من الإيمان ، قال تعالى : (**والنجم والشجر يسجدان**) « الرحمن : 6 » وإذا علمنا أن الكل نبات ، فالنبات لا يستغنى عن الماء ضرورة ، ويتضح لنا أنه الحياة لكل جسم نام ، والمراد بالحياة حياة الأجسام ، أو نقول الحياة الدنيا ، التي هي عبارة عن تعلق الروح بالبدن ، المشار إليها في الآية بقوله : (**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح**) « الكهف : 45 » . وأما الحياة المجردة ، قبل تعلقها بالبدن ، فغنية عن المواد ، وما هو من لوازم الفساد ، وعلى هذا فتكون المواد شرطا في دوام قوامها بالبدن ، لا في وجودها بالخصوص ، لتقدمها على الأجسام كما جاء في معنى حديث (**خلق الله الأرواح قبل الأجسام بألفي عام**) ولا نفهم من حصر المدة ، إلا وجود السابقية للطائف على الكثائف ، سنة الله في خلقه ، وإليه الإشارة بقوله : (**الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله**) « الروم : 48 » فكان كل سبب ألطف من

مسببه، فالريح سبب في وجود السحاب، والسحاب سبب في وجود المطر، والمطر سبب في وجود النبات، والنبات سبب في قوام الحيوان، والله مسبب الأسباب، وإليه المرجع والمآب.

وأما سؤالكم عن مادة الماء، هل كانت متصلة الأجزاء بمادة السموات والأرض؟ فأقول: إن اتحاد النشأة ثابت كما ثبت تقدم اللطيف عن الكثيف، وأشد العناصر لطافة وأقواها تأثيرا، عنصر الأثير، وهو الرتق الأول، باعتبار العناصر، وكانت تسميه الأقدمون بالعنصر الناري، ثم عنصر الريح، ثم عنصر الماء، ثم عنصر المعادن، وكل عنصر أسفل مركب مما قبله، ومتولد عنه، وكل مركب مسخر لما أبسط منه، فالمعادن متولدة من العناصر الثلاث، الماء والريح والأثير، فلهذا كانت مسخرة لها، والماء مسخر للريح، لأنه متولد عنه فلو حللناه لوجدناه متركبا منه، ومما قبله، ولهذا يتجنس بالهواء عند تصاعده بخاراً سنة الله **(كما بدأنا أول خلق نعيده)** «الأنبياء: 104» والريح مسخرة للأثير لأنه متولد عنه، ولعله بواسطة الروح، والروح أبعد من أن تتوصل إليها الأفكار، **(ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي، وما أتيتم من العلم إلا قليلا)** «الإسراء: 85» والله بالهداية كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: **(وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)** «الأنبياء: 87» وقال السائل: إن الآية تفيد كأن يونس – عليه السلام – تخلله شك في قدرة القادر؟

فأجاب قائلا: حاشا لله أن يتشكك أحد من المرسلين في قدرته تعالى، إنما ظنه في قوله: **(فظن أن لن نقدر عليه)** أي أن لن نضيق عليه على حد قوله تعالى: **(ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله)** «الطلاق: 7» ولما كان الله عند ظن عبده المؤمن به، انتفع يونس بظنه، وأنت ترى كيف أنقذه الله من بطن الحوت، ولو لا حسن ظنه للبث في بطنه إلى يوم يبعثون.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: **(ألم تر إلى ربك كيف مد الظل، ولو شاء لجعله ساكنا، ثم جعلنا الشمس عليه دليلا، ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا)** «الفرقان: 45» فما هو فهم الخاصة من ذلك؟

فأجاب قائلا: كل خطاب تعتبر أهمية الفهم فيه باعتبار المخاطب به، ولا شك أن هذا الخطاب لم يكن ليحيل صاحبه على مجرد صنع القدرة، واعتبار الحكمة، لاحتمال أن يكون المخاطب على بصيرة من ذلك، نعم، في الناس من يتناوله بهذا الاعتبار، أما الخاصة العليا فلربما يقفون عند قوله: **(ألم تر إلى ربك)** ويفهمون من خطاب الحق أنه أحالهم تعالى على شهود المؤثر قبل شهود الآثار، ومن هذا القبيل ما يروى عن الصديق الأكبر حيث قال: «ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله» ومنهم من يرى أنه أحاله تعالى على شهود الكيفية في امتداد الظل، ومن أين مادته؟ لأنه سبحانه هو الذي مد الظل، فيردد بصره بين الكيف والمادة، فتنفذ بصائرهم لما وراء الكيف، فلم يجدوا له كيفا، لأنه جاء على غير مثال، لم يسبقه كيف، وهؤلاء هم الذين يقول أحدهم: «ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه» ومنهم من يعتبر

هذا بشهود المعية الحقة المستفادة من قوله تعالى : (**وهو معكم أينما كنتم**) ومنهم من يقع بصره على شهود الظل ، وهو المشهد العمومي المستدل على المؤثر بالآثار ، وعلى المخيل بالخيال ، ومن هذا يقول قائلهم : « ما رأيت شيئا إلا رأيت الله بعده » بما أنه إذا وقع بصره على الخيال ، لا بد أن يستلفته ذلك المشهد إلى شهود المخيل ، مهما كان مدركا ، لاستحالة قيام الخيال بنفسه ، وانفصاله عن مخيله، ولربما ينتقل إلى شهود المخيل بدون خيال بما يتضمنه قوله : (**ولو شاء لجعله ساكنا**) أو عند قوله : (**ثم قبضناه إلينا**) لأنه ما نصب الخيال إلا أنموذجا ومعراجا يتوصل به إلى شهود المخيل. وأما قوله: (**ولو شاء لجعله ساكنا**) أي ولو شاء لأبقاه على الوجود العلمي ، لا العيني ، أو نقول التقديري ، ولكنه لم يشأ ، بما أنه جعل الشمس عليه دليلا ، ولا يعني بالشمس في هذا المقام إلا ظهور النور المجرد ، المشار له بقوله : (**الله نور السموات والأرض**) فهذا الذي ميز الأعيان العدمية ، وقدرها تقديرا ، فتكون وظيفته في هذا المعنى تحديد المقادير ، كما حدت الشمس ظل الشخص ، مع التصريف فيه من جهة الكيفية والانتقال ، زيادة ونقصانا ، باعتبار الظهور والاخفاء فالشمس هي التي تعطيه ذلك ، لا من ذاته ولا من ذات المخيل ، بما أن حقيقة كل منها تأبى الانقلاب ، فصورة المخيل مركوزة في نقطتها الوجودية ، كما مركز الخيال في النقطة العدمية أيضا ، والشمس هي التي أعطت الانقلاب من جهة الكمون والحركة ، وكل ذلك لم يفد الانقلاب في ذلك المخيل ، ولا يعطي للخيال رتبة الإرادة من ذاته ولا الاختيار .

ثم أقول : إن الظل لا بد وأن يتوقف بثبوته على أصول ثلاثة :

- **الأصل الأول :** هو وجود المخيل الثابت الوجود لذاته، وليس هو إلا الحق بهذا الاعتبار، لأن وجوده غير مستفاد من وجود لغيره.

- **الأصل الثاني :** وجود المرتفع الذي يتوقف انبساط الظل عليه، وليس هو إلا الإمكان، والمعنى أن الممكن لا يظهر إلا في حيز الإمكان.

- **الأصل الثالث :** وجود النور، لأنه هو الذي يحدد مقادير الخيال، وإن كان من قبل موجودا بالقوة، فهو لا يظهر إلا في سببه، وليس هو إلا الإسم الظاهر بهذا الاعتبار ظهوراً ما، لا بالظهور الصرف، لأنه يقضى بانطوائه في ذات المخيل، وإليه الإشارة بقوله : (**ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا**) وبالجملة فإن الأسماء الأزلية، تعطي للممكن الوجود العلمي، والاسماء الأبدية تعطي له الوجود التقديري والكل تقدير.

ثم أقول : إن الإشارة كانت مقصورة على وجود الظل المشهود، لما جاءت الشمس عليه دليلا، لأن القاعدة تعطي دلالة على الشمس، بها نستدل على الزوال ونحوه، فكيف كانت الشمس في هاته الآية هي دليلا عليه؟ وثانيا لو عناه بمجرده لما قال : (**ثم قبضناه إلينا**) بالإضافة لنفسه، فكانت هذه الآية من مدخول قوله : و (**إلى الله تصير الأمور**) « الشورى : 53 ».

وسئل رضي الله عنه : عن قوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام : (**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**) « الشعراء : 84 » ؟

فأجاب قائلا: المراد بالآخرين هي الأمة المحمدية، فكانت دعوته مستجابة فيهم، فلا أرى في الأمم من حمل لسانه على الصدق اللائق بمراده، غير هاته العصابة الميمونة، لانه جاءهم بنبإ غريب، (**فلما جنَّ عليه الليل رآى كوكبا قال هذا ربي**) «الأنعام: 76» إلى آخره، فلم يقع هذا الخبر موقعاً حسنا في عقول الضعفاء و (**كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**) «يونس: 39» لأن الحقائق كانت عندهم غير متعاطية، فأدبروا عنه بعد الإقبال، فقال: اللهم أجعل لي لسان صدق في الآخرين، ليلا نفتضح، كما وقع لي عند المتقدمين، حتى بعث عليه الصلاة والسلام، فجاء بملة بسيدنا إبراهيم، فعلمت أمته مقتضاه من قوله: (**هذا ربي**) وحملته على محمل يليق به، وصدقته في شهوده، ولا تحسب يا أخي أن سيدنا إبراهيم قال: (**هذا ربي**) كان جاهلاً بالألوهية، فحشاه من ذلك، إنما كان مستغرقا في عظمة الله عز وجل، يراه في كل شيء شيء، ولما أخبر بما خصص به، أنكرت القوم عليه، فقال: (**إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**) «الأنعام: 79».

قيل للشيخ: هل سيدنا إبراهيم عليه السلام لما قال: للكوكب: (**هذا ربي**) كان غير عالم لمقام الألوهية؟

فقال رضي الله عنه: حاشاه من ذلك، وإنما كان في غاية الاستغراق في عظمة الله، هذا مع العلم أن الأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوءة وبعدها، فكيف يصدر من أحدهم ما يقتضى الجهل بمقام الألوهية، والذي يزيدك بيانا أن قوله:

(**هذا ربي**) كان بعد ما كشف له عن ملكوت السموات والأرض، قال تعالى: (**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**) « الأنعام : 75 ».

فالإيقان هو الذي دعاه أن يقول: (**هذا ربي**) والقاعدة إذا جاء الإيقان وقع العيان، على فقد الأعيان، فلاحظ ببصائر الإيمان وجود الحق في كل جهة ومكان، فباح وصاح وقال: (**هذا ربي**) بقوله: (**هذا**) أي أراد أن يرفع قومه من درجات الإيمان، إلى أعلى مراتب الإحسان، لكنهم أخلدوا إلى الأرض.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى : (**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر**) « العنكبوت : 45 » فكيف حتى كان الذكر أكبر، مع أن الصلاة تشتمل على أذكار وأدعية وغير ذلك؟ وعليه فما هو الذكر؟

فأجاب قائلا: إن معنى ذلك والله أعلم: أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كيفما كانت بحضور أو بغير حضور، ولذكر الله فيها، أي تذكر المصلي في صلاته بأنه مع الله، سواء كان على سبيل المراقبة، أو على طريق المشاهدة، فهو أكبر في النهي، والمعنى راجع إلى نفس الصلاة لا غير، والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: (**الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام**) « الفرقان : 59 »

فأجاب قائلا: ان الفعل مع فاعله كالشيء الواحد قبل بروزه، أي الفعل، وأما بعده فيكون وصفا له، وعلى كل فهو من تمام معناه، جاءت الأشياء من حضرة العلم، والعلم متصف بالقدم، ومن العجب أن يسمى هذا المقام بالعدم، فانحصار

الأشياء في سابق العلم يشعر به كل من له أدنى فهم، وهو اليوم الأول من أيام الله الستة، التي خلقت فيها السموات والأرض، فكانت الأشياء من حيث هي منحصرة في العلم القديم انحصاراً كلياً، وأما تخصيص الإرادة لها فهو عبارة عن اليوم الثاني، فلا شك أنها منحصرة في مراد الله، ما شاء الله كان، ثم تعلقت بها صفة الكلام بعد الإرادة، **(إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن، فيكون)** « يسٓ : 82 » وهو بمنزلة اليوم الثالث، ثم تلقتها القدرة عن كلمة **(كن)** وهو دخولها في اليوم الرابع من أيام الله، فما أبرزته القدرة برز، وما لا فلا، ثم تعلق بها السمع والبصر، لأنهما لا يتعلقان بالمفقود، وهما بمنزلة اليوم الخامس والسادس، فصارت الأشياء منحصرة فيها انحصاراً كشفياً، **(ثم قال لها وللأرض إتيا طوعا أو كرها، قالتا أتينا طائعين)** « فصلت : 11 » ثم إن إطلاق اليوم على الصفة، وارد في كلام الله، ومنه قوله تعالى: **(وذكرهم بأيام الله)** « إبراهيم : 5 » أي بصفات الله على ما قاله بعض المفسرين من أهل الله، ولا يخفى ما في ذكر اليوم من التورية، فإنه يحتمل كلا المعنيين إلا أن المعنى البعيد، أهم من القريب وأنسب لهذا المقام، لأنه ورد فيما قبل خلق اليوم الذي هو برهة من الزمان، الناشيء عن دائرة الفلك، فلهذا أضيف إلى الله، ولم يضف إلى الدنيا، قال في « روح البيان » في هذا المعنى: « أيام الله في الحقيقة، هي التي كان الله ولم يكن معه شيء من أيام الدنيا ولا من أيام الآخرة، فعلى السالك أن يتفكر، ثم يتذكر كونه في مكنون علم الله تعالى، ويخرج من الوجود المجازي المقيد باليوم والليل » إلى الوجود الحقيقي الذي لا يوم

عنده ولا ليل » اهـ. والمعنى هو أن نعتبر ما ذكرناه من انحصار سائر الموجودات في الصفة الأزلية، ونتيقن أن لا وجود لها في الخارج، عن الصفات الست، ولما كانت الحياة لا تتعلق بالممكنات، انفردت الستة السابقة دونها، نعم أخذت حظها من الاستواء عند قوله: **(ثم استوى على العرش)** « الأعراف: 53 » والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى في حق داوود عليه السلام: **(وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)** « ص: 20 ».

فأجاب قائلا: إنها لكلمة تجلها الأسماع الطاهرة، وتعتبرها النفوس الكبيرة بديهة، قبل أن تتصور معناها، لما يلوح عليها من لوائح المهابة والجلال، حتى كأن الراءي يخشى انهدام مبانيها، لغزارة معانيها، ولا علينا أن يقول بعض المفسرين: هي عبارة عما يفصل به الخطيب كلامه، يعني بذلك « أما بعد » حيث يقول غيره هي عبارة عما لا التباس فيه من الكلام، لمراعاة الفصل والوصل، والتقديم والتأخير، والعطف والاستئناف، والإظهار والإضمار، والحذف والتكرار.

وقد يقول أيضا: هي عبارة عن الكلام الفصل، الذي ليس فيه إيجاز مخل، ولا إطناب ممل، كما جاء في تعريف النبوءة اهـ. وهو أحسن التعاريف يعتبر.

أما « الفخر الرازي » فقد أتى في تفسيره بما هو أبسط من ذلك، حيث يقول في تفسيره فيما علقه على تلك الفقرة: ان الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير، عما في الضمير،

فمنهم من يتعذر عليه إيراد الكلام المرتب المنتظم، بل يكون مختلط الكلام، مضطرب القول، ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادراً على ضبط المعنى والتعبير عنه، إلى أقصى الغايات، وكل من كانت هذه القدرة في حقه أكمل، كانت الآثار الصادرة عن النفس الناطقة في حقه أكمل، وكل من كانت تلك القدرة في حقه أقل، كانت تلك الآثار أضعف، ولما بين الله كمال حال جوهر النفس الناطقة التي « لداوود » عليه السلام بقوله: **(وآتيناه الحكمة)** أردفه ببيان كمال حاله في النطق واللفظ والعبارة فقال: **(وفصل الخطاب)** وهذا الترتيب في غاية الجلالة. اهـ.

قلت يلوح من خلال كلمة فصل الخطاب، من غزارة المعنى ما هذا بعضه، على أنها كلمة أتى بها تعالى في معرض الامتياز بداوود عليه السلام، فيؤخذ من سياق استطرادها، أن معناها يضاهي الحكمة، ويرادف السلطان، حيث يقول جل ذكره: **(وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)** فبعيد وتالله أن تصرف هاته الكلمة لما ليس من شأنه أن يكون ثالث هاته الثلاثة، هذا ما ظهر لنا والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: **(وجزاء سيئة سيئة مثلها)** « الشورى : 40 » فما هو فهم الخصوص في هذه الآية؟

فأجاب قائلا: إن الناس في فهم هاته الآية، أزواج ثلاثة:

- **الصنف الأول:** يأخذ منها إباحة للمجنى عليه، أن يأخذ ثأره من الجاني **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)** « البقرة : 194 » وهذا لعموم الناس.

- **الصنف الثاني:** يفهم منها أنها أباحت الجزاء، إلا أنه مقيد بالمثل، وهذا متعذر في الغالب، أن يأخذ الإنسان ثأره من المقدار المباح إليه، بدون زائد، ففي الغالب يكون الجزاء أعظم، ولهذا يخشى أن لا يقيم حدود الله، فيقدم جانب الصبر، وهذا لخاصة المسلمين.

- **الصنف الثالث:** قاطع النظر عن الجزاء رأسا، لأنه يراه سيئة لقوله تعالى: **(وجزاء سيئة سيئة مثلها)** أي مماثل لها في كونها سيئة، وعليه: **(فمن عفا وأصلح فأجره على الله).**

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: **(إنا فتحنا لك فتحا مبينا)** « الفتح: 1 » هل المراد بالفتح فتح مكة، أو قصة الحديبية حسبما جرى عليه أكثر المفسرين، أم يشير إلى ما هو أعلى من ذلك؟

فأجاب قائلا: ان التعليل في قوله تعالى: **(ليغفر لك الله)** ينافي كون الفتح على ما جرى عليه بعض المفسرين، لأنه لا مناسبة لتعليق المغفرة على فتح مكة، أو نحوها من المدن، ولو كان المراد فتح مكة، لقال ليمكن لك في الأرض أو لينصرك، وما هو من هذا القبيل، وعليه فلزمنا أن نحمل الفتح على الفتح الأكبر ، الذي هو أخص وأحرى بهذا المقام، وليس المراد به إلا فتح البصيرة، وتمكن القلب من شهود الحق عز وجل، ولما كان الفتح قد يكون غير مبين، وهو المحتمل لعودة الحجاب قيده تعالى بالمبين، فقال: **(إنا فتحنا لك فتحا مبينا)** والمعنى أنه مأمون العاقبة مما يطرقه من الشوائب، وما فتحنا لك هذا الفتح يا « محمد » إلا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك، وهو

الذنب الذي كان يستغفر منه ﷺ، بكقوله: (**سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**) وقد يستبعد المؤمن صدور الذنب منه ﷺ، وكيفما كان لا يتصوره أنه ذنب، لكن النبي ﷺ تحققه من نفسه، ولولاه لما استغفر الله، ولنذكر لكم شيئا مما أطلعني الله عليه في هذا الباب، فأقول: إن النبي ﷺ يجب عليه أن يؤمن برسالته كما يؤمن به غيره وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: (**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه**) وبهذه المناسبة، لما تحقق من نفسه بالرسالة ظهر له وجود التقصير من نفسه، مع نفسه، حيث أنه كان يعاملها معاملة بدون اعتبار، لأنه غاية ما كان يرى نفسه أنه «محمد بن عبد الله» ولا شك، أن من كان مع أحد من رسل الله وهو لا يعلم بأنه رسول، لا يخلو من الإساءة والتقصير، على ما تقتضيه المعاشرة، وعند ما يتضح له، أنه رسول الله، تبين له هفواته وتقصيراته التي كان يرتكبها من قبل، ويعقبها من الكمد ما يفضى به إلى الالتجاء لله عز وجل من ذلك التقصير، وهكذا حاله ﷺ فإنه كان لا يرى نفسه إلا «محمد بن عبد الله» ولما فتح الله عين قلبه، بحيث أبصر ما هو عليه، وما يجب في حقه، من احترام مقامه الذي هو به رسول، كما يحترمه غيره، قال ﷺ: (**ظلمت نفسي**) فيما قبل من جهة عدم إعطائها ما تستحق، وما كنت أعترف لها بالرسالة، ولا أنها أشرف البرية، فقال له تعالى: ما فتحنا لك ذلك الفتح إلا ليغفر لك الله ما تقدم من ذلك الذنب، وما تاخر منه، إن كان أيضا. لأنه قد يتلاهى عن نفسه وربما ينظرها باحتقار، فأخبره

تعالى أنه يتجاوز عن مثل ذلك، ولما كان ﷺ قد يتخيل عدم تمام النعمة، فقيل له وما فتح لك ذلك الفتح المبين إلا (**ليتم نعمته عليك و يهديك صراطا مستقيما و ينصرك الله نصراً عزيزا**) وعليه فليؤخذ من ذلك أن كلا من غفران الذنوب وسلوك سبيل الرشاد والنصر، وسلامة العاقبة، معلق على الفتح المبين، فمن فتح الله عليه فتح العارفين الوارثين، لم يتردد في كونه مغفوراً له منصوراً ومهدياً، وما ارتد من ارتد إلا من الطريق وحصل له فتح غير مبين، وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: (**والعاقبة للمتقين**).

وسئل رضي الله عنه: عن كيفية نزول سورة (**والنجم**) وما يتعلق بالغرانيق وقصتها؟

فأجاب قائلا: سورة (**والنجم**) نزلت على سيدنا محمد ﷺ في مرة واحدة، جاءت على خلاف عادة الوحي، فأخذته ﷺ من جهة ظاهره وباطنه، وعرفته بمقداره عند ربه، وكيف لا وقد أعلنت بما يعز إعلانه بين الملأ، وهو حاله الشريف وسره الخفي اللطيف مع الله عز وجل من جهة الباطن، وكيفية قربه منه وَدُنُوِهِ، وتنزله له، فمن تأملها لا يبعد من أن يسجد قبل آية السجود.

ولهذا تمنى النبي ﷺ أنها إذا قرئت على المشركين ينقطع دابر الشرك بالتوحيد، فخرج ﷺ وهذه الأمنية آخذة بمجامعه، ولكن الشيطان قبحه الله ألقى في أمنيته أي فيما تمناه، إلا أن الله ينسخ ما تلقيه الشياطين ويحكم آياته.

دخل ﷺ إلى الحرم الشريف، على قريش وكان معه،

جماعة من المؤمنين، وهو يرى أن سورة « **والنجم** » إذا قرئت ولو على الشيطان يهوي ساجداً، بسبب ما حوته من الحقائق الباهرة، والسطوة القاهرة، وهو كذلك.

فلما تلاها ﷺ، وقد أخذت بمجامع السامعين، فسجد هو ومن معه من المؤمنين، وتبعهم المشركون في السجود، بدون شعور منهم بما أصابهم من سيطرة الوحي، فتحير المؤمنون في سجودهم، واشتدت أمنيته ﷺ فيهم أن يكونوا مؤمنين « لكن »

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ☆ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

قال الله تعالى في السورة نفسها: **(أم للإنسان ما تمنى)** « النجم : 24 » أي ليس له جميع ما يتمناه، ولذلك اهتز عرش الشيطان لسجودهم، ونفث في روع أحدهم أن يقول: ما سجدت لإله « محمد » إنما سمعته لما وصل لقوله: **(أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى)** « النجم : 19 » قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترجى، فسجدت لذلك، ولما سمع المشركون هذا القول، تشبث الجميع به، وقالوا كان سجودنا لهذا لا لغيره، تعضيداً لمذهبهم، لأنهم كانوا يرون سجودهم مع سيدنا « محمد ﷺ » من المعرة، ولما وقع منهم هذا التخبط، تغيرت أمنيته فيهم، ﷺ، لأنه كان يظن خلاف ما وقع منهم، وتغير صفو المجلس وانعكست أمنيته فيهم، وانقبض حاله ﷺ، إلى أن جاءه الفرج بتسلية الله له، فقال له: **(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيء إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقى الشيطان، ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم)** « الحج : 51 » أي فهذه سنة الله في خلقه، فكلما

تمنى نبي أو رسول ولا يتمنى إلا ما تمناه « محمد ﷺ » أن تكون أمته مؤمنة، فيلقي الشيطان في أمنيته، ويعود الصفو كدرا، ويشتبه الحق بالباطل، إلا أن الله ينسخ ما تلقيه الشياطين، ثم يحكم آياته، قال تعالى: (**إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**) « الحجر : 9 ».

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى حكاية عن الحواريين (**نحن أنصار الله**) « الصف : 14 » أو ليس الله كان في غنى عن نصرتهم؟

فأجاب قائلا: قول الحواريين، يشعرك بسعة علمهم وتمام ثقتهم بما عند الله، واحتسابهم على الله أن يكون الجزاء من جنس العمل، ولا يخفى ما كانوا عليه من احتياج نصرة الله لهم، فقالوا: (**نحن أنصار الله**) ليقول الله: وأنا ناصركم، (**إن تنصروا الله ينصركم**) « محمد : 7 ».

وأجاب رضي الله عنه مرة أخرى في هاته الآية فقال:

إن قول الحواريين: (**نحن أنصار الله**) **فيه دلالة على وسعهم في المعارف وتمكنهم في التوحيد المحض، لأنها جاءت جوابا لعيسى عليه السلام عندما قال: (من أنصاري إلى الله)** بإضافة النصر إلى نفسه، (**قال الحواريون نحن أنصار الله**) على حد قول عائشة رضي الله عنها: **« لا أشكر إلا الله »**.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله تعالى: (**أرأيت الذي يكذب بالدين**) « الماعون » إلى آخر السورة؟

فأجاب قائلا: بعد بسم الله الرحمن الرحيم إن قوله: (**أرأيت الذي يكذب بالدين**) هو في قوة قوله: هل عرفت

أيها المخاطب، من هو المكذب بالدين، ويعني بيوم الجزاء ؟ فكان في معنى الجواب أن يقول : إن التكذيب هو من الأعراض القلبية، فبم يستدل على من قام به ذلك العرض، إذا لم يبده من نفسه؟ وعليه فلا بد من الإيماء إليه، فقال : (**فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين**) فمن وجدت فيه نحو هاتين الخصلتين، هو مكذب بيوم الدين، أو على وَشَكِ التكذيب، حيث أنه لم يرج ثوابا بالحض على إطعام المسكين، ولا يتوقى عقابا من إداعته لليتيم، فكان أيضا في قوة الاستفهام أن يقال : وإن كان هذا المشار إليه مصليا، فقال تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن مطلوبية صلاتهم ساهون، الذين هم يراءون بأعمالهم الظاهرة ويمنعون الماعون) والمراد به، هو كل ما يستعان به بحيث يتعدى نفعه للغير، وينتج من هذا أن المصلين حقيقة هم الذين لا يجزعون، ولا يمنعون المستثنون من قوله تعالى : (**خلق الإنسان هلوعا إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين**) « المعارج : 20 » .



القســـــم الأول

ثانيا: أجوبته رضي الله عنه عن بعض الأحـــاديث الـنـبـويـــة

وسئل رضي الله عنه: عن قوله ﷺ: **(صل صلاة مودع)**

فأجاب قائلا: حمداً لمن نور بصائر العارفين، وجعلهم ينابيع الحكمة ومصابيح الدين، وصلاة وسلاماً على القائل: **(اتبعوا سنتي وسنة الخلفاء الراشدين).**

أما بعد أيها الحبيب، والصالح النجيب، قد طلبت مني البعض مما يفهمه العارفون، من حديث سيدى المرسلين، وهو قوله ﷺ **(صل صلاة مودع، كأنك لم تصل بعدها أبدا)** فأقول: لا يخفاك أن الكلام يختلف باختلاف الأفهام، فكل له مقام **(تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل)** «الرعد: 4» والناس في الفهم عن الله أزواج ثلاثة، فلكل نصيب مقسوم، فمشرب الخصوص لا تحتمله العموم، **(وفوق كل ذي علم عليم)** «يوسف: 76».

فالذي يتبادره الفهم العام، من الحديث لستم في احتياج من أجله، ولكم أكثر مما لنا فيه، وعلى كل حال نذكر شيئا منه يترتب عليه غيره، فأقول: إن رسول الله ﷺ، كان يخاطب الناس على قدر عقولهم، والعقول متفاوتة، ففهم العموم من الحديث، ليس هو عين فهم الخصوص منه، فكل بحسب طاقته،

قال باللسان العام وهو - **الوجه الأول** - من الحديث : صل أيها العاقل صلاة مودع ، لأنك غير مأمون البقاء ، ففي الغالب تكون آخر صلاتك ، فاجعل الانتقال نصب عينيك ، وبالغ في إتقان صلاتك ، وحافظ على أدائها من كل الوجوه ، قلبا وقالبا ، بسكينة وخضوع ، وحضور قلب وخشوع ، واعتبرها آخر صلواتك من الدنيا ، فإذا تمكن منك هذا الحال وسرت مع هذا المنوال ، جاءت الصلاة منك حسبما أمر بها الشارع وطلبه منك الإسلام وهذا ما يتبادره الفهم العام من ظاهر الحديث .

- **الوجه الثاني** : وهو فهم الخاصة ، فإن صاحب هذا المقام يرى أن النبي ﷺ يقول له : صل صلاة المودع ، والمعنى أن تصلي ولا ترى نفسك مصليا ، لأن المودع لصلاته يصليها ولا يلتفت إليها ، ولا يرى وجوداً لها البتة ، إنما هو غائب في شهود مجريها عليه ، فلا اعتماد له عليها ولا ركون إليها حتى كأنه لم يصلها ، ولهذا قال : (**حتى كأنك لم تصل بعدها أبدا**) أي كأنك ترى نفسك لم تصل أبدا ، وصاحب هذا المقام لو نودي في المحشر : يا تارك الصلاة ، فلا يجادل عن نفسه بأنه مصل ، لغيبته عن الصلاة في شهود المصلى له . قال صاحب الحكم العطائية : « لا عمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده » فهذه هي صلاة المودع لصلاته .

وأما من كانت صلاته نصب عينيه ، معتمدا عليها في ظاهره وباطنه ، فهو ليس بمودع لها ، وكيف يطيق على توديعه لها ، وهو يتمنى أن يحاجج بها الإله ، كأنه يمن عليه ، فمثل هذا لم

ترفع صلاته من عنده لأنه متعلق بها، **(والعمل الصالح يرفعه)** ولو رفعت عنه لنسيها، وغابت عنه، واحتقرت لديه ومن المعلوم أن المسألة إذا رفعت، ضعفت في الأبصار واحتقرت في الأنظار، حتى تصير لا ترى، وهذا ما يقتضيه الفهم الخاص.

- **الوجه الثالث**: وهو أشرف الوجوه من الحديث، لا يفهم صاحبه من إطلاق الصلاة إلا على صلاة الاتصال، المعبر عنها عند القوم بالطي أو نقول بالفناء، لأن الصلاة وصلة بين العبد وربه، ومهما تحقق الاتصال تلاشى وجود الخيال، ووقع العيان، على فقد الأعيان، وما سوى هذه الصلاة لا تعد صلاة عندهم، لأنها لم تحقق الاتصال، والمودع عندهم هو من ودع الكون خلفه، وانسلخ منه، وتركه، وقال: **(إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)** «الأنعام: 79» وله في ذلك أسوة حسنة **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا)** «الإسراء: 1» إلى أن **(دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى)** «النجم: 9» ما تحقق له الوصول إلا بعد ما ودع الكل، فلا مانع من أن يتصل الفرع بالأصل، فلهذا انحذفت الواسطة واستغنى عن الرابطة والقاعدة. إن المبتدأ إن صار عين الخبر لا يحتاج إلى رابطة **(كنت سمعه وبصره... الخ)**. فهذا هو السجود، وما سواه عندهم مردود، وقوله ﷺ: **(كأنك لا تصلي بعدها أبدا)** فهو كذلك، لأن صلاتهم غير منفصلة فسجودهم متصل ولهذا قيل: منذ سجدوا ما رفعوا، ومند وصلوا ما رجعوا، **(والذين هم على صلاتهم دائمون)** «المعارج: 23» وهذه قرة أعين الأنبياء والمرسلين، قال ﷺ: **(وجعلت قرة عيني في الصلاة)**.

اللهم أجعلها قرة أعيننا، واحفظنا في ظاهرنا وباطننا، وأنت خير الحافظين.

وسئل رضي الله عنه: عن معنى الظلم والإساءة المذكورتين في قوله ﷺ: (**سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**).

فأجاب قائلا: إن ظلمه ﷺ لنفسه، هو عدم إعطائه مستحقها من جهة التبجيل في أول أمره، حيث كان لا يعلم منزلتها عند الله، والحالة أنه رسول، لقوله ﷺ، بعد أن كشف له عن حقيقته: (**كنت نبيئا وآدم بين الماء والطين**) وبعد الاطلاع على ما هو عليه، ظهر له أنه كان لم يعط لنفسه مستحقها، وأنه كان مقصراً في فعله معها، فقال بلسان الإقرار حسبما هو أهله: (**سبحانك ظلمت نفسي**) في عدم اعتباري لها، ومثل هذا قول بعض إخوانه من النبيئين (**سبحانك إني كنت من الظالمين**) فكأنه يقول ﷺ، لا تواخذني ربي بعد انتباهي لحقيقتي الغيبية، والحالة أنها لمعة من أنوارك السنية، وطالما عملت سوءا مع نفسي من هذا القبيل، حيث نزلتها منزلة هي عنها أرفع، فاغفر لي ما مضى من هذا العمل، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، لأنه كان يرى وجوب اعتباره لنفسه عليه باعتبار الله لها، كما يجب عليه الإيمان برسالته، لقوله تعالى: (**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه**) «البقرة: 285» وأشير إليه بذلك في قوله: (**ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر**) «الفتح: 1» فالمتقدم من ذنبه ﷺ هو ما ذكرناه أولا، والمتأخر هو ما كان من ذلك القبيل، أي أثر ما بقي يطرأ عليه في بعض

الأحيان، حسبما يقتضيه الطبع البشري، وبه تتفاوت عمارة الأوقات، وتتباين الأحوال في الشعور وعدمه، وعلى ما يظهر له من التقصير من تلك الحيثية بالنسبة لمقامه ﷺ، كان يعبر بالران ومن ذلك قوله: (**إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله سبعين مرة في اليوم**). وأما قوله تعالى في الآية: (**ويتم نعمته عليك**) أي لا يستر عليك ما كشفه إليك في نفسك، من أنها إحدى الحقائق الإلهية، وقوله: (**ويهديك صراطا مستقيما**) وهو منتهى الغاية، إلى أن يصير أمرك لا يحتجب عنك طرفة عين، وقوله: (**وينصرك الله نصراً عزيزا**) أي على كل خاطر، يناقض ما أنت عليه من الاستغراق، في شهود الله عز وجل.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله ﷺ، فيما يرويه عن الحق عز وجل: (**أدعوني بلسان لم تعصوني به**).

فأجاب قائلا: ان المتبادر فهمه من الحديث، هو أن تلازم الإحسان لغيرك، حتى يدعو لك الله بلسانه، فلسان الداعي لك، لم يسبق لك به معصية، والأهم من هذا - والله أعلم - هو استلفات من الله للداعي، أن يدعو بالأدعية الموجودة في القرآن العظيم، فيكون دعاؤه معصوما من الخطاء، قريبا من الإجابة، لأن أكثر ما يحتوي عليه القرآن. أدعية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وألسنتهم معصومة من الخطأ، ولا يسألون الله محالا، فجاء التنبيه للداعي أن لا يدعو بلسانه الذي طالما تلطخ بالكذب، وقول الزور، ومن المعلوم، أن الإنسان لا يجد دعوة أبلغ وأفصح وأقرب للإجابة من نحو قوله تعالى: (**ربي قد آتيتني من الملك**

وعلمتني من تاويل الأحاديث، فاطر السموات والأرض، أنت ولي في الدنيا والآخرة، توفني مسلما، والحقني بالصالحين) « يوسف : 101 » وما هو من هذا القبيل، فإذا دعا الداعي بدعوة كهذه، يكون دعاؤه للإجابة أقرب، ويكون بغير لسانه، وهذا باعتبار، ولنا اعتبار آخر، إلا أنه يحتاج إلى استخدام، وهو أن لا يدعو الإنسان حتى يصحح قربته، ووصلته من الحق عز وجل، ولا تتحقق القربة إلا إذا كان الحق هو لسانه، ولا يكون لسانه إلا إذا أدى ما وجب عليه من الفرائض، وتقرب إليه بما زاد من النوافل، فإذا ثبتت محبة الله له، يكون الحق هو سمعه وبصره ولسانه، كما جاء في الخبر، فإذا صار الحق عز وجل هو جوارحه، فليدع حينئذ، لأن لسانه لسان الله، فهو غير اللسان الأول، قال تعالى: **(وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا)** « الإنسان : 28 » فلا مانع من إجابة دعوته، وقبل هذا لا يسوغ له أن يشتغل بالدعاء، والحالة أنه بعيد من الله، انما يتقبل الله من المتقين.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله ﷺ: (أباؤكم خير من أبنائكم إلى يوم الدين) فما معنى هذا الحديث؟ فعلى ما يظهر من ظاهر الحديث تشريف الأباء على الأبناء إلى يوم الدين، والحالة أن الواقع يقتضي خلاف ذلك، فإن كثيراً من الأبناء حصل شرفا لم تحصله الأجداد.

فأجاب قائلا: إن هذا الحديث، مما تداولته ألسنة العموم والخصوص، ولا أرى فيما أعلم من أفصح عن معناه، أو تدبر في مبناه، والحالة أنه أسهل من أن يستشكله اللبيب، لأنه لم يقل

ﷺ : الأباء خير من الأبناء، حتى يلتبس الأمر، إنما قال للمخاطبين، آباؤكم خير من أبنائكم، أي أباؤكم لكم والمعنى؛ أن كل إنسان في نفسه أبوه خير له من إبنه، وذلك لما كان يعلمه ﷺ من أن النفس تميل بالطبع للبنين دون الأباء، والحالة أن الإنسان أبوه خير له من ابنه دنيا وأخرى، ووجه الخيرية من جهة الدنيا، أن الأب لا يحمل الإبن على اقتحام المخاطر، بخلاف ابنه فإنه يحمله بالطبع **(إنما أموالكم وأولادكم فتنة)** «التغابن : 15» ومن جهة أخرى ان مادة الأجر الواصلة إليه من إحسانه لوالده، أكثر منها من الواصلة إليه من إحسانه لولده، وهكذا إلى يوم الدين.

وسئل رضي الله عنه : عن وجه الشبه الموجود في الصلاة الواردة من قوله ﷺ : **(قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم)** إلى آخر الصلاة. وقال السائل: قاعدة التشبيه أن المشبه لا يقوى قوة المشبه به، فيلزم على تلك القاعدة أن رتبة سيدنا إبراهيم أرفع من رتبة سيدنا محمد ﷺ ، ولهذا كان يسأل من الله اللحوق به.

فأجاب قائلا : إن الذي يظهر من وجه التشبيه والمقابلة، هو بين آل محمد وآل إبراهيم، وتكون المعنى صحيحة في كون المشبه لا يقوى قوة المشبه به، بالنظر لما يوجد في آل إبراهيم من النبيئين والمرسلين الذين من جملتهم نبينا على جميعهم الصلاة والسلام.

ونحن إذا أردنا استيفاء المعنى في الموضوع، نقول: إنه لما نزل على النبي ما يفيد حصول الصلاة من الله عليه، بمقتضى

قوله: (**إن الله وملائكته يصلون على النبيء**) « الأحزاب : 56 » لم ينص في تلك الآية على الآل، فاشتاقت نفسه الكريمة أن يكون لآل « محمد » كما كان لآل « إبراهيم » من صلاة الله عليهم، فاستلفت ﷺ الصحابة ليسألوا من الله ذلك بقوله: (**قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم**) وقد حصلت الإجابة بفضل الله، إلى أن نزل من الله ما يفيد كون الصلاة حاصلة من الله على عموم أمته، فضلا على آله وصحابته، قال جلت عظمته ممتنا على هاته الأمة: (**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور**) « الأحزاب : 43 » فتمت بذلك النعمة والحمد لله.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله ﷺ : (**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي ما أنا عليه وأصحابي**) ذكره في « الجامع الصغير ».

فأجاب قائلا: إن هذا الحديث مما يقضي على الأمة المحمدية بالهلاك، مهما فهمناه حسبما فهمه أغلب المفسرين، لأنه صريح في نجاة جزء من ثلاث وسبعين جزءا من الأمة المحمدية، وعليه فالمرجو من الله والموافق لرأفة رسول الله ﷺ بالمؤمنين، أن نحمل ذكر الأمة في الحديث على أمة الدعوة، لا على أمة الإجابة، لقوله ﷺ : (**أنا رسول من أدركته حيا، ومن يولد بعدي**) وتتضح لك المعنى، من أن الأمة هنا

المراد بها أمة الدعوة، قوله ﷺ: **(من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة)** وقوله أيضا ﷺ: **(من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة)** وقوله تعالى: **(إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** « النساء : 47 » وغير هذا.

ومن المعلوم أن أمة الإجابة لم تعدم حظها من توحيد الله، والإقرار برسالة رسول الله ﷺ، وإن تفرقت من حيث الفروع، فأصلها ثابت، وشفاعته ﷺ محيطة بمن إنتسب إليه، كيفما كان، والظن في الله حسن.

ومن المحتمل أن الملل كانت قبل بعثة موسى عليه السلام، بالغة إلى حد السبعين فرقة، والملة التي جاء بها موسى عليه السلام هي تمام الإحدى والسبعين فرقة، والجميع في النار إلا ما كان عليه موسى عليه السلام وأتباعه، ولما بعث الله عيسى عليه السلام، كانت ملته هي تمام الاثنى والسبعين فرقة، والجميع في النار إلا ما كان عليه عيسى عليه السلام وأتباعه، ولما بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا « محمداً ﷺ » بشريعة سمحة، عادت الفرق مع ما سبق ثلاثا وسبعين فرقة، والجميع في النار إلا ما كان عليه « محمد ﷺ » وأتباعه، والجميع أمته، من جهة الدعوة، حسبما سبق، والظن في الله جميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وسئل رضي الله عنه: عن قوله ﷺ: **(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا).**

فأجاب قائلا: نعم إنهم نيام، ومن ذلك أن الصحابة رضي الله

عنهم رأوا رجلا قدم على النبي ﷺ يسأله عن الدين، فأول لهم ما رأوه ﷺ بجبريل عليه السلام، بأن قال لهم : (**هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم**) لأنه مستيقظ وهم نيام، لقوله ﷺ : (**نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا**).



القســـــم الأول

ثـالثـا : أجـوبتـه رضي الله عنــه عـن المسائـل العلميـة والـدينيـة في التوحيد - والفقه - والتصوف

سئل رضي الله عنه: عن قول ابن الفارض رضي الله عنه مناجيا الله بقوله:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة ☆ فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

وقال السائل: فهل يريد ابن الفارض أن تكون له حظوة عند الله أكثر مما لموسى عليه السلام؟ وإلا فما معنى قوله: «ولا تجعل جوابي لن ترى»؟

فأجاب قائلا: حاشا لله أن يتوهم ابن الفارض ذلك، وبيان المسألة أن سيدنا موسى عليه السلام، بعد ما سد الله تعالى في وجهه باب الرؤية بقوله: **(لن تراني)** أعقبه بما فيه جبر لخاطره وهو قوله: **(ولكن أنظر إلى الجبل)** «**الأعراف : 142**» ولا شك أن في هذا الخطاب الأخير ما يستروح إليه طالب الرؤية، بخلاف ما لو قطع الحديث عند قوله: **(لن تراني)** وهو ما اختاره ابن الفارض أن يكون جوابا له، فكأنه يقول: إن وقع وسألتك أن أراك حقيقة، فلا تجعل جوابي مقصوراً على قولك: **(لن تراني)**، بل أعقبه بشبه استدراك مثل ما فعلت مع موسى، حيث أحلته على النظر إلى الجبل، لأن في استلفاتك له

أن ينظر إلى الجبل ما يسلّيه عن منع الرؤية المجردة، وهذا ما كانت تنحصر فيه مسألة ابن الفارض والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: عن مقالة سيدي «محي الدين بن عربي الحاتمي» رضي الله عنه: «عينان عينان لم يكتبهما قلم، في كل عين من العينين نونان نونان لم يكتبهما قلم، في كل نون من النونين عينان، عينان لم يكتبهما قلم».

فأجاب قائلا: بداهة من غير تكلف على سبيل المفاكهة، وهو جواب لم يخرج عن الحق قائلا: إن معنى هاته المقالة، وإن أشغلت أكثر المفكرين فهي أقرب شيء للمبتدئين، ومرجعها اللغة لا غير، فالمراد بالعينين التي لم يكتبهما قلم المذكورتين في الأول، هما عينان من الماء فإنهما حقيقة لم يكتبهما قلم.

والمراد بقوله: في كل عين من العينين نونان نونان أي سمكتان، لأن النون من أسماء السمك، فهما أيضا لم يكتبهما قلم.

وأما قوله: في كل نون من النونين عينان، أي المعدتان للبصر، في كل حيوان، والمعنى أن العين في الجملة الأولى عائدة على العين الجارية، والعين في الجملة الأخيرة عائدة على الموجودة في السمك وغيره، والنون عائد على السمك.

ثم قال رضي الله عنه: وإن هذا التأويل وإن لم يحتو على فائدة كبيرة إلا أنه مخرج أقرب إلى الحق، بعيد عن التكلف، والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: عما يجري للقوم من مشاهدة جمال الله في هذا الوجود، الأمر الذي أنكره عليهم غيرهم، واستبعدوا أن يكون لله من الظهور في هذا العالم، أكثر من أنه دليل عليه.

فأجاب قائلا: كان إنكارهم سببا عما فاتهم من الفناء في الله، والا لما استبعدوا أن يرى العاشق الفاني صورة محبوبه في مرآة غيره، ومن تلك الحيثية ما ينقل عن مجنون بني عامر، قيل إنه مر على منازل ليلى بنجد فأخذ يقبل الحجارة ويمرغ وَجْنَتَيْه على التراب، فلاموه على ذلك، فحلف أنه لا يقبل في جميع ذلك إلا وجه ليلى، ولا ينظر إلا جمالها، وقد رِىءَ مرة أخرى في غير ذلك المكان، وهو يفعل ما فعله من قبل، فلاموه على ذلك، وقالوا: إن هاته البقاع ليست من منازل ليلى فأنشد يقول:

لا تقل دارها بشرقي نجد ☆ كل نجد للعامرية دار
فلها منزل على كل أرض ☆ وعلى كل دِمْنَةٍ آثار

وأنت إذا تأملت ذلك، يجدر بك أن تنشد ما قيل في شبه هذا الموضوع:

إن كان حب الهائمين من الورى ☆ بليلى وسلمى يسلب اللب والعقل
فما ذا عسى يصنع الهائم الذي ☆ سرى قلبه شوقا إلى العالم الأعلى

وبالجملة فإن الأمر كما قيل:

لا يدرك الشوق إلا من يكابده ☆ ولا الصبابة إلا من يعانيها

وسئل رضي الله عنه: عن امتناع بعض الصالحين والمشايخ الزهاد من التوسع في المباح، مع أن الله تعالى قال: **(قل من**

حرم زينة الله التي أخرج لعباده) « الأعراف : 32 ».

فأجاب قائلا: إن مشايخ الزهد، وأكابر الصالحين، لا يقولون بحرمة المتروك من المباح، وغاية ما في ذلك أنهم نظروا فيما زاد على القدر اللازم منه، فوجدوه لا يخلو من مصلحة، أو نقول لذة تميل إليها النفس، كما أنه لا يخلو من مفسدة، من جهة مراعاة طرق التحصيل على نيله والتمتع به، والمسألة تتصور فيما لذ وطاب من الطعام، فإنك تدرك وجه المصلحة فيه، بعد تهييئه ونضجه، ولكنك إذا نظرت إلى ما ينجم عن ذلك من الأتعاب في حال تهييئه من لزوم الطحن والطاحونة، والنخل والمنخل، والعجين وجفنته، والطبخ وما يطبخ به، والنار التي توقد عليه، وأضف إلى ذلك ما يحتاج إليه من الابزار، وهذا في غير الجيد من الأطعمة، تجد ما يحصل لك من اللذة السريعة الزوال، في مقابلة تلك الاتعاب، تعتبر كلا شيء، وهذا بقطع النظر، عن مراعاة طرق تحصيله، من جهة ما يعارضها من شبه المعاملة وغير ذلك، لوجدت ترك تلك اللذة، مع ما يحفها من الأتعاب أقرب للسلامة، وأهنى للبال، وأصلح للفطرة، والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: عن قول من يقول: إن تعظيم المخلوق والخضوع بين يديه، والتذلل على أعتابه، يعتبر عبادة، وعبادة غير الله تعتبر شركا كما هو في نفس الأمر، وإذاً فما هو المخرج؟

فأجاب قائلا: إنه لو كان تعظيم المخلوق، والخضوع بين يديه يعتبر شركا بالله لسقطت حرمات النبيئين والمرسلين،

وحرمات أتباعهم، من أيمة الدين، وأصبح الناس فوضى، لا فرق بين رفيع ووضيع، وتابع ومتبوع، في حال أن الشرع الشريف جاءنا بخلاف هذا المبدأ على خط مستقيم، ولا نطيل الكلام فيما يقوي حجتنا في الموضوع، لأن الأمر واضح.

وبعبارة أخرى، أن لو كان ما رآه هذا الفريق، من أن التعظيم للمخلوق يعتبر مخلا بالتوحيد، لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، فسجدوا وهم المبرءون من المخالفة، فضلا عن الإشراك، ولا شك أن السجود هو أقصى غايات الخضوع والتذلل والتعظيم، فحقه أن لا يكون إلا لله.

وهل يستطيع أحد أن يقول: إن الله شرع لهم عبادة غيره، بمقتضى أمره لهم بالسجود، حاشا لله أن يقول به مؤمن.

وأيضا، لو كان شيء من ذلك مزاحما لمرتبة التوحيد الخالص، لما سجد يعقوب الصديق وزوجه وأبناؤه الأحد عشر ليوسف عليه السلام، حسبما أخبر الله عنهم في التنزيل، وأيضا فهل يعتقد مؤمن أنهم أشركوا بسجودهم ليوسف، وأن الله أحبط أعمالهم بسبب ذلك، كلا، وألف كلا!

ونحن لا نريد أن نثبت بهذا جواز السجود للمخلوق، بما أنه لا علم لنا بكيفيته، وغاية الأمر، نعتقد أنه لا تزاحم بين تعظيم المخلوق إذا صحت إضافته لله، وبين تعظيم الله عز شأنه، بل نعتقد تعظيم ذلك المخلوق، هو تعظيم لله، على حد قوله تعالى: (**من يطع الرسول فقد أطاع الله**) « النساء : 79 » بناء على أن في ضمن النص – ومن يعظم الرسول فقد عظم الله – ولا نقصد بالتعظيم هنا إلا التعظيم الشرعي، والتعظيم الشرعي هو أن تسلم

معه رتبة الخالقية لله عز وجل، ورتبة المخلوقية لما سواه، هذا بعبارة، وبعبارة أخرى، أن لو كان الامتناع من تعظيم المخلوق وعدم الاكتراث بمكانته يعد مكرمة، ومحافظة على التوحيد الخالص لله عز وجل، لفاز إبليس بتلك الخلة قبل كل أحد، لأنه أول الزعماء يعتبر في هذا المبدأ، وفي ظني أنه لم يزل محافظا عليها.

وبالجملة فإن التعظيم الشرعي لأصفياء الله إذا ارتفع من القلوب - والعياذ بالله - لم تبق بعده إلا الإهانة، عصمنا الله، والسلام.

وسئل رضي الله عنه: من أحد الكاثولكيين عن سورة « **سبح** » قائلا: إن القرآن يقول فيها إنها بصحف إبراهيم وموسى، فتتبعنا العهد القديم(1) ولم نجد لها أثرا؟

فأجاب قائلا: لو أنكم جعلتم الإشارة في قوله: (**إن هذا**) عائدة على مجرد قوله تعالى: (**بل توثرون الحياة الدنيا، والآخرة خير وأبقى**) « الأعلى: 16 » لما فاتكم أن تجدوا معنى تلك الآية في أسفار الأقدمين.

وبعبارة أخرى إن صحف إبراهيم وموسى لا وجود لها بين دفتي « العهد القديم » وهذا ما تعترفون به، ما عدا أسفار التوراة وهي غير الصحف المنصوص عليها، فكيف تطلبون وجود سورة « **سبح** » في شيء لا وجود له بأيدكم؟

1) العهد القديم: هو التوراة.

وسئل رضي الله عنه: عن سبب إقبال الناس عليه على اختلاف نحلهم ومشاربهم؟

فأجاب قائلا: مثل المرشد في القيام بدعوته، كمثل الإمام، إذا أحرم في صلاته فإن الناس من خلفه كلهم يركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده، ولا ينفض عن متابعته أحد، ولكن ما دام متوجها إلى الله، فإذا أطلق السلام وتوجه إلى الخلق مدبرا عن الحق، انتشر كل منهم لمصالحه الدنيوية. ثم قال لسائله: فأقبل أنت على الله، ولا تطلب إقبال الناس عليك والله يتولاك.

وسئل رضي الله عنه: في أي عهد تأسست جموع المنتسبين إلى الله بتلك الصفة التي امتازوا بها عن غيرهم، من نحو اجتماعاتهم على ذكر الله، وملازمة التوجه لله؟

فأجاب قائلا: قبل قوله تعالى لنبيه ﷺ: **(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)** «الكهف: 28».

وسئل رضي الله عنه: هل قول المجتهد حجة على قول غيره من المجتهدين، وهل يسوغ التمسك به مع تقبيح التمسك بغيره؟

فأجاب قائلا: إنه يجب على من يريد الاستدلال على فساد مذهب من المذاهب، أن يدرك قبل كل شيء كون أقوال الأيمة، أو نقول العلماء، لا توخذ في بعضهم مهما كانت المراتب متقاربة من بعضها، وإلا لكانت المذاهب قاضية على نفسها بنفسها، بالنظر لما قالته وما قيل فيها، وبالجملة فإن كل من يحتمل أن يقول ويقال فيه، لا يعد قوله حجة على نظيره، وبهذا يسلم

الحد لمحدوده، لأن المجتهد إذا نفى حكما وأثبته الآخر، لا يكون بدعة، فمن ذلك الإشارة باليد في الصلاة، فقد نفاها أبو حنيفة، وأثبتها باقي الأيمة، لثبوت أدلتها عندهم، ونفيها عنده، ومن ذلك الأربع ركعات التي بعد الظهر، كونها بتسليمتين أو تسليمة واحدة، ومن ذلك البسملة في الفريضة إلى غير ذلك.

وسئل رضي الله عنه: عن إذاية الناس لخاصة المرشدين، والعلماء العاملين مع وضوح حججهم.

فأجاب قائلا: إن المرشد المخلص لا يكون دأبه دائما إلا عاملا على إقامة سنة، أو تحطيم بدعة، ومن يأت ذلك لا بد وأن يلقى ما يسوءه **(سنة الله في الذين خلوا من قبل)** «الأحزاب: 62» يشعرنا بذلك إذاية النبيئين من قومهم مع وضوح حججهم، وإذاً فالعيون التي لم تدرك براهين النبوءة مع وضوحها، فهي بعدم إدراك براهين الولاية أحرى.

وسئل رضي الله عنه: عن معنى الشريعة، والطريقة، والحقيقة، وقال السائل: إن من الناس من يقول بوجود التنافر بين الحقيقة والشريعة، وأن الباطن قد يباين الظاهر، وغير ذلك مما يستعصى تطبيقه على مراد الشارع فيما يظهر.

فأجاب قائلا: لا تنافر ولا هناك ما يستعصى تطبيقه على مراد الشارع مهما استقصينا المسألة من أصلها، وعبرنا عن الأشياء بكنهها وحقائقها.

نعم قد يظهر شيء من التنافر، ولكن سببه ضعف التعبير، وإلا فأي خلاف أو تناقض إذا قلنا أن الشريعة هي عبارة عن الاحكام المنزلة على سيدنا «محمد ﷺ»، المستفادة من قوله

تعالى : **(وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا)** « الحشر : 7 » والطريقة عبارة عن تطبيق تلك الأحكام على أعمال المكلف، ظاهرا وباطنا، تطبيقا محكما. والحقيقة هي ما يحصل للمريد من المعارف والعلوم الناشئة عن أعماله، قال تعالى : **(واتقوا الله ويعلمكم الله)** « البقرة : 282 » وإذاً لا تنافر بهذا الاعتبار، إنما هي ألفاظ منها ما وضع لتدل على الأحكام المجردة باصطلاح، ومنها ما وضع لتدل على العمل بها، ومنها ما وضع لتدل على النتائج الحاصلة عن ذلك العمل، وإذا حققت لم تجد هناك إلا الشريعة.

فقال السائل : ولم سمينا تطبيق أوامر الشرع على أفعال المكلف - بالطريقة، وما هي المناسبة ؟

فقال الأستاذ : إن تطبيقه ذلك يعتبر منه تزحزحا في سبيل القرب إلى الله عز وجل، لما في الحديث القدسي، **(ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)** فيصح أن يطلق على ذلك العمل سيرا وطريقا أيضا، فتأمل رعاك الله.

وسئل رضي الله عنه : عما يستعمله القوم الصوفية من الرموز في حديثهم، وعما يأتون به من المتشابه في مؤلفاتهم، هل لهم في ذلك مستند من الشرع ؟

فأجاب قائلا : نعم، مستندهم في ذلك مفتتح أول السور من كتاب الله، وما اشتبه منه، ومن سنة رسول الله ﷺ.

وسئل رضي الله عنه : عن كرة الأرض أهي مستديرة، أم غير مستديرة ؟ وقال السائل : إن الأُرُبَوِّيِّينَ قد استفادوا كروية الأرض من كونهم إذا خرجوا من محل، وجدوا السير إلى

المشرق مثلا ، واستمروا على ذلك ينتهي بهم السير إلى المحل الذي خرجوا منه، فاستفادوا من ذلك كروية الأرض، ولم ندر أعلماء الإسلام يقولون بقولهم، أم لهم رأي آخر؟

فأجاب قائلا: أما نحن فإننا قد استفدنا كروية الأرض من قوله تعالى: **(فامشوا في مناكبها)** « الملك : 15 » إذ لا يتأتى المشي في جوانب الجرم إلا إذا كان كرويا والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: عن قول من يقول بحذف الوسائط بين العبد وربه، وأن وجودها يكون مزاحما للتوحيد، وأن الله لم يترك بينه وبين خلقه ما تحل به الواسطة ما دام أقرب إليه من حبل الوريد؟

فأجاب قائلا: إنه يسوغ هذا القول لمن تحقق قرب الله منه، ولكن لا يمنعنا أن نسأل حضرة هذا القائل:

هل النبي ﷺ كان ينقصه ذلك القرب، حتى اتخذ جبريل واسطة بينه وبين الله؟ وهل اتخاذ ذلك يعتبر مزاحما للتوحيد، أم القرآن لم يصب في قوله: **(وابتغوا إليه الوسيلة)** « المائدة :38 » أم ما هاته المغالطات وما هذه التشكيكات؟

وسئل رضي الله عنه: لِم لَمْ يحض الله تعالى على تعمير الدنيا مثل حضه على الآخرة في كتابه، مع أن الدين غالبا لا يستقيم إلا بشيء من الدنيا؟

فأجاب قائلا: نعم إن الدنيا تطلب الإنسان بما تطلبه الآخرة، وهما ضرتان جاء الإنسان لعمارتهما، ونعني بالإنسان الجنس، فلا يتأتى منه إلا أن يسير على سنن الكون، ولا يقال إن الله تعالى لم يندب الإنسان لعمارة الدنيا مثل ما ندبه لعمارة

الآخرة، لأن الدنيا تسخره لها بالطبع، فهو يعمل فيها بالسجية، بما ركزه الحق في فطرته، وقد أشار لذلك بقوله: **(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا)** «آل عمران: 14» وهذه سنة الله في معاملته مع خلقه، مهما كانت الطبيعة كفيلة بشيء مما تطلبه الحكمة، اكتفى بها عن الحث، ولربما يأخذ في رد جماحها، لئلا تفرط النفس من جهة الرغبة، فتنعدم الموازنة، كما نهينا عن الإفراط في حب الدنيا، ويشعرك بما ذكرنا، عدة نوازل، فمنها تحريم الخمر والبول مثلا، فهما يشتركان في المنع على السَّواء، ولما كانت الطبيعة كافلة في اجتناب شرب البول، فلم يكترث تعالى في النهي عنه، مثل ما أكترث في النهي عن الخمر، وهكذا أيضا فيما يجب على الإنسان من إعطاء حق الوالد والمولود، بما أن الإنسان كان ميالا إلى بنيه بالطبع، جاء التنزيل بتعضيد الشق الآخر، لتحصل الموازنة، وإلا لا ندرس حق الوالد بما يغمر القلب من حب المولود **(إنما أموالكم وأولادكم فتنة)**« التغابن: 15 ».

وسئل رضي الله عنه: إنه إذا كان للروح إحساس قبل تعلقها بالبدن، بحيث يتأتى منها الإقرار المخبر عنه في قوله تعالى: **(ألست بربكم؟ قالوا بلى)** فلم لا تشعر الآن بذلك العهد؟

فأجاب قائلا: ان الكل يعلم أن للصبي إحساسات يدرك بها ,وريته، بدليل احتياجه إلى الثدي، فيتأنس بوجوده وينزعج

عند فقده، وهكذا؛ ولما ينتقل من ذلك الطور، لم يشعر بما كان له من الإحساس في ذلك، ولا سبب إلا ترادف الأطوار عليه، فكل طور ينسيه ما قبله، قال تعالى: (**وقد خلقكم أطوارا**) « **نوح : 14** » ولا يبعد من أنه كان له إحساس في الرحم يناسبه، وما أنساه عن ذلك إلا طول المدة.

وبهذا الأنموذج يتأتى لنا أن نثبت ما أثبته الشرع، من أن للروح إدراكا قبل حلولها بالبدن، ثم نَسِيَتْ وما سمي الإنسان إنساناً إلا لنسيانه لما كان عليه، ولهذا احتاجت الروح إلى تصفية على مصطلح الحكماء قديما وحديثا لتتزكى، فتنتقل من حضيض الطبيعة، إلى أوج الكمال الأرفع المشار إليه في قوله ﷺ حال احتضاره: (**اللهم الرفيق الأعلى**).

وسئل رضي الله عنه: عن العلة في تحريم الصدقة عليه ﷺ وعلى آله.

فأجاب قائلا: قد علل التحريم بعضهم برفع اشتباه ما تتوهم بعض النفوس من أن محمدا ﷺ، فرض الصدقة لتدفع له ولآل بيته، فارتفعت الشبهة بامتناعه منها، وهو تعليل حسن، وبالأخص لما فرض على آل بيته أن تدفع صدقاتهم لغيرهم، وقد ظهر لي أيضا في علة التحريم شيء آخر زائداً عما تقدم، وبيانه أن النبي ﷺ جاء بشريعة تسوي بين أفراد المتمسكين بها بقطع النظر عن أنسابهم، ومن أجل ما يعلمه من رغبة المتشبث بهذا الدين الحنيف من أن نفسه لا تسمح في الغالب أن يدفع صدقته لغير آل بيت النبي ﷺ، وهو الحق، غير أنه خارج عما شرعت الزكاة لأجله، وهو مدخلة الضعفاء، حتى يقع الإكتفاء

لهم نوعا ما، وسبب ما تعودته نفسه الكريمة ﷺ من حسن التدبير، ولين الطبع، والمحافظة على القلوب، منع الصدقة من آل بيته بكيفية حتى لا تبقى نفوسهم طامحة لأخذها، فقال: إنها أوساخ محرمة على «محمد وآله» وأباح لهم ما يصلهم على وجه الهدية، فوقعت التسوية بين أفراد المسلمين، فهذا له الصدقة، والآخر له الهدية، فإن قلت: فعلى هذا وصفه ﷺ للصدقة بالوسخ، هو مجرد تنفير لآل البيت من التشوف إليها، فأقول: إني دائما - والحمد لله - لا أحمل قوله ﷺ على معنى مجرد، بل أرى تحته معاني أكثر من أن تشتمل عليها الألفاظ، منها ما هو قريب، ومنها ما هو أقرب، وها أنا أقول: إن وصفه لها بالوسخ يتناولها من وجهين:

- **الوجه الأول**: من حيث أنها كفارة للخطايا، وعليه فإنها تخرج بخطايا المتصدق، وهذا وإن كان أقذر من الوسخ، فلا تستقذره النفس، بسبب عدم إحساسها به.

- **الوجه الثاني: إن النفس الشريفة لا تسمح طبعا أن تتناول طعاما لم يكن بطيب نفس من صاحبه، والزكاة من البخيل أخرجت عليه قهراً، فهي أشبه شيء بالغصب عليه، ولهذا اشمأزت نفسه ﷺ من أخذها، وكان أهل البيت أولى بالتنزه** عنها، **فجاء** منع الزكاة **على «محمد وآله» حسنا من كل** الوجوه والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: عن ذات الله، هل هي حسية أو معنوية؟

فأجاب قائلا: الحس شيء، والمعنى شيء، والحق ليس كمثله شيء.

وسئل رضي الله عنه: أين كان ربنا في الأزل؟

فأجاب قائلا: كان فيما هو فيه الآن، ولم يزل.

وسئل رضي الله عنه: عن بعض الذاكرين، أنهم في حلقة الذكر، لا يقولون إلا: (ها ها ها) فما معنى ذلك؟ وَكَأَنَّ السائل يريد الاعتراض على الذاكرين.

فأجاب قائلا: وهل عرفت معاني بقية الأذكار الإلهية، ولم يبق لك إلا هذا المعنى تعرفه؟ فقال السائل: وهل هذا من جملة الأذكار؟ فقال له الأستاذ: وما يدرك أن يكون منها! فقال السائل: فأين جاء، ومن أين يؤخذ؟ قال الأستاذ: في قوله تعالى: (**كٓهيعٓصٓ ذكر**) «مريم: 1» وهل ترى أن هذه «الهاء» لا معنى لها في الواقع، حفظنا الله من سوء الظن. ثم قال:

إن إسم الجلالة لا يتغير بنقص بعض الحروف منه، فالكمال فيه غير متفرق على الحروف، وانما هو موجود في كل حرف حرف، فلو استعملت حرفا منه، ودمت عليه، لجاءك الفتح كما يجيئك من أصله، ألا ترى لو حذفت «الألف» لبقي «لله» وهو من أسمائه معقول المعنى، ولو حذفت من «اللام» الأولى لبقي «له»، ولا يخفى ما في ذلك لفظا ومعنى، ولو حذفت «اللام» الثانية لبقيت «الهاء» وهي هوية الشيء، أي عين الإسم، وضمير المسمى، لأن الضمة إذا أشبعت يتولد عنها واو فتقول: «هو».

وسئل رضي الله عنه: عن بعض الذاكرين الذين يغيرون كلمة الإخلاص بزيادة بعض الحروف فيها؟

فأجاب قائلا: عليك يا أخي بحسن الظن في الذاكرين،

ولتعلم أن كلمة الإخلاص مثل الماء الكثير، لا يغيره قليل النجاسة، فمعنى لا إله إلا الله، لو وضعت فيه السموات السبع، والأرضون السبع، لم يؤثروا نقصانا في ذلك، وتبقى لا إله إلا الله على ما هي عليه، قال تعالى: (**إنا نحن نزلنا الذكر، وانا له لحافظون**) وقال بعضهم:

فلي ذكرها يحلو على كل صيغة ☆ وإن مزجوه عُذَّلي بخصام

ثم قال: ان العوام في تداول الأسماء الإلهية حالة دخولهم الطريق مأجورون على ذلك، كيفما كان الذكر، لأنهم في حالة التعليم، وأنت تعلم يا أخي أن الشارع أباح لأطفال المسلمين تداول كتاب الله العزيز قبل أن تتم قابلية الصبي في تعليمه، ولا يخفى ما في ذلك من تعفين الألفاظ، فلا بأس إن حملت المبتدئين في الذكر على هذا المحمل، والله يوفقنا وإياهم لصالح الأعمال.

وسئل رضي الله عنه: عن معنى الفناء المتعاطى عند القوم؟

فأجاب قائلا: ان الفناء عبارة عن إصلاح الغلط لا غير، لأن السوى عند القوم ليس بموجود حتى يفنى، وان وجوده عندهم كوجود الحصير مع الحلفاء.

وسئل رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ أنه هو أشرف المخلوقين، فكيف حتى جاء جبريل عليه السلام بينه وبين رب العالمين؟ وكان يريد هذا السائل أن النبي ﷺ هو الواسطة بين الحق والخلق، فكيف جاءت واسطة قبله ووقف دونها؟

فأجاب قائلا : إن جبريل عليه السلام ، ليس هو بأجنبي عن محمد ﷺ ، وانما هو روحه ، فظاهره محمد ، وباطنه جبريل ، فهو عليه الصلاة والسلام متصل بالخلق من جهة شبحه ، ومتصل بالحق من جهة روحه ، فكانت له المناسبة من الوجهين ، والروح واسطة بين ما يتلى على سره ، ويظهر على شبحه ، **(وأوحينا إليك روحا من أمرنا)** « الشورى : 52 » فلا يجنح بك الانفصال ، وتحتجب عن المعاني بالأقوال ، بقدر ما تحتمله العقول .

وسئل رضي الله عنه : عن رجال التصوف ، لماذا أكثرهم من المغرب ؟

فأجاب قائلا : إن المشرق جاء بما فيه من الأنبياء الذين بلغت كثرتهم إلى حد الغاية ، فتعين على المغرب أن ينفق عليه بما في وسعه من الأولياء ، **(كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك)** « الإسراء : 20 » والفضل للسابق **(لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى)** « الحديد : 10 » والمراد بالفتح هنا الفتح الأكبر وهو بعثة المصطفى ﷺ فلا يستوي من قام بالدعوة لله من الأنبياء والمرسلين قبلها ، أولئك أعظم درجة من الذين دعوا بعدها من الأولياء **(وكلا وعد الله الحسنى)** .

وسئل رضي الله عنه : هل يكون في الأمة المحمدية من خواصها من يقوم مقام الأنبياء ؟

فأجاب قائلا : لو لم يكن فيها من لم يقم بذلك المقام ، لما تصرف المجتهدون في الأحكام ، فمنهم من حلل ، ومنهم من

حرم، لكن على شرط أن يكون ذلك من مدخولات الشرع العامة.

وسئل رضي الله عنه: عن قول المعتزلة: بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية؟

فأجاب قائلا: إن كان الأمر كذلك، لم لا يخلقون فعلا اختياريا يقيهم من الأفعال الاضطرارية؟

وسئل رضي الله عنه: عن وجه الأفضلية في **« لا إله إلا الله »** على سائر الأذكار، مع أن غيرها من الأذكار لم يشتمل على نحو النفي والإثبات، بل هو خالص الذكر.

فأجاب قائلا: كانت **« لا إله إلا الله »** أفضل وجوه الذكر على الإطلاق لاشتمالها على كل وجه من وجوهه، معقول ومجهول، لأن الذكر فيه ما هو معقول المعنى، ومنه ما هو مجهول المعنى، إلا عند **(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)** « الزمر : 18 » والوجه المعقول منه لا يخفى على العموم، قال تعالى: **(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)** « الأعراف : 180 » وهو ذكر الموحدين من عباد الله. والوجه الذي هو مجهول المعنى، متعذر الإدراك، هو ذكر بقية المخلوقات، قال تعالى: **(وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم)** « الإسراء : 44 » ولا تقل تسبيح الشيء هو دلالته على وحدانية الله تعالى، فلو كان كذلك لما قال: **(لا تفقهون تسبيحهم)**، فأين الفقه؟ والحق يقول: **(لا تفقهون)**، والواقع أن الأشياء تسبح لله عز وجل كغيرها من الموحدين بلسان ناطق حسبما يليق بجلاله، ولا نتوصل لنطق الجامد على ما هو عليه،

(سنة الله التي قد خلت من قبل) « الفتح : 23 » .

كان ﷺ يخبر في كثير من النوازل على أن كل شيء يسمع، ومن ذلك خبره أن الميت يصيح إذا خرج من محله صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، فأثبت السمع لكل شيء، كما أثبت النطق للميت مع أنه من الجمادات، والذي يشعرك بأن الأشياء من حيث هي ناطقة نطقا لا نسمعه، قوله تعالى حكاية عن نطق الجوارح، وهي من الصوامت، حيث قال: **(يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)** « النور : 24 » فأثبت تعالى النطق للجوارح، ثم أثبت في آية أخرى: على أن الأشياء من حيث هي ناطقة، قال تعالى حكاية عمن استغرب شهادة الصوامت، **(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء)** « فصلت : 21 » فبعد ما نطقت الجلود، أخبرت على أن كل شيء ناطق، وعلى كل حال، نعتبر أن جميع الأشياء تسبح الله عز وجل، إلا أن إدراك التسبيح في شرك المشرك متعذر، إلا لمن **(ألقى السمع وهو شهيد)** يجد ما من كلام يتلى، إلا وفيه سر يجلى، والجميع مندرج تحت **(لا إله إلا الله)**، لأنها جاءت على شقين: نفي وإثبات، فما كان من قبيل الجحود، فهو داخل تحت شق النفي، وما كان من قبيل الإقرار، فهو داخل تحت شق الإثبات، ومجموع الكلمة ذكر نفي وإثبات، ومن المعلوم أن الإنسان يؤجر على جميع الكلمة بسائر حروفها، فقولك: (لا إله) كقولك: (إلا الله) بالنظر لعموم الفائدة، مع أن الشق الأول بقطع النظر عن انضمامه للثاني، هو جحود محض، ولو لم

يكن تسبيحا لله لما أجرنا عليه، ومن هنا نعلم أن جميع الأصوات فيها دلالة على تنزيه الذات، وإن لم نتوصل لمعناها، فإنه تعالى مذكور بكل لسان، ومن ذكره بكلمة الإخلاص، فكأنه ذكره بكل لسان، وفي الخبر ما يدل على أن من قال: **(لا إله إلا الله)** يعطى ثوابا بعدد كل مشرك ومشركة، وقد جاء في فضلها ما لا يدخل تحت حصر.

وسئل رضي الله عنه: عن الشدة التي جاءت على « اللاَّمِ » من إسم الجلالة فلأي شيء تشير؟

فأجاب قائلا: بعد بسم الله الرحمٰن الرحيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم، قد كنتم سألتمونا عن الشدة التي جاءت على « اللام » من إسم الجلالة، ولضيق المقام، لم يسمح الوقت بالكلام، وعند ما انفردت، ولله توجهت، ظهر لي بسبب سعيكم المشكور، ما فيه شفاء للصدور، قلت: جاءت الشدة والله أعلم على « اللام » لتستلفتنا لمعناها، حتى لا نتجاوزه بدون ما نفهم مقتضاها، لتضمنها ما لا يتضمنه غيرها من حروف أبنية اسم الجلالة، ولما كانت الأفكار في الغالب تنبو عليها بدون أن تتدبر في معانيها، جاءت الشدة لتلزمنا بالوقوف عليها هونا ما، لعل أن نفهم شيئا من معناها، أو ندرك بعضا من مبناها، وإن كان أعز من أن يدرك، لعموم القراء، فقد ألقى الله في بعض قلوب عباده إلهاما وعبرة، ثم أذن في الاعتبار، فقال: **(فاعتبروا يا أولي الأبصار)** « الحشر: 2 » وعند ما اعتبرت، وفيما أشارت إليه الشدة تأملت، وجدنها « لاَماً » وَأيُّ لاَم، اتضح لنا أن منزلتها من اسم الجلالة، بمنزلة الروح من الأبدان، أو

نقول: إنسان العين من الأجفان، وكيف لا، وهي التي كسته حلة التعريف بعد الإنكار، كان الإسم قبل دخول اللام عليه، من أفراد النكرة، كغيرهِ غير مخصص من جنسه، يقال فيه إله كغيره من الآلهة، وربما دخل في عموم النفي في الشق الأول من كلمة الإخلاص، فجاءت هذه اللام الشريفة بحلة التنزيه، والتعريف، غيرةً منها على الاسم أن يشتبه بغيره، فاستنقذته من بين اللفيف، وصيرته في رتبة يعبر عنها بأعرف المعارف، بعد أن كان من أفراد النكرات، **(إن في ذلك لآيات)**. ثم اقتضت من غيرتها على الإسم الشريف، أن يكون جميع ما في الوجود للإسم المختص به، لا لغيره، إما بالملك، وإما بالاستحقاق، وتتضح المعنى بحذف الحرفين الأولين، «الألف واللام» من إسم الجلالة، فيبقى في الرسم «له» فتتضح حينئذ ما تطلبه حقيقة «اللام» والمعنى أنها تقتضي شيئا تسنده للضمير، فهي تقول: لا اكتفى بأن يكون شيء في الوجود لغيره، ولهذا لا يتم **معناه إلا إذا أسندت «له» ما في نفس الأمر، فتقول حينئذ: (له ما في السموات وما في الأرض) «النساء: 170» أو (له الملك وله الحمد) «التغابن: 1» أو (له الخلق والأمر) «الأعراف: 53» فيتم حينئذ مراد «اللام» من إسم الجلالة.**

ثم أقول: إن هذا «اللام» لما تحققت مزيتها في الاسم الأعظم، خصصت من بين ابنية الاسم بامتيازات؛ منها تشديدها، لنعلم أنها تعدل بحرفين، وحقها أن تعدل بألفين، لولا تكن الحرفان من ابنية الإسم نفسه، ثم جعل لها في النطق مخرج خصوصي، لم يشاركها فيه أي «لام». وبالجملة فإنها أشرف «لام»

تعلق بها النطق، أو نقول الكلام في صحف الأولين والآخرين، أشارت إليه الشدة، وحقها أن تشير.

وسئل رضي الله عنه: عمن يتكلف للبحث الشديد عن صفات الله عز وجل، بدون ما يدعوه داع؟

فأجاب قائلا: إن البحث الشديد عن مثل ذلك، ففي الغالب يحرك فتنا قلبية يعجز الإنسان عن معارضتها، قال ﷺ: (**الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها**) فالواجب على معلمي الخير، أن لا يلقي للسامع إلا ما يعود عليه بالخير، بحيث لا يذكر له أي اعتقاد من عقائد الملل الفاسدة، لأن النفس جبلت على التشبث، والقلب غير معصوم، وبالأخص مع فراغ الذهن قبل التعلم، حالة كونه على الفطرة، أي مسلما طاهراً، قال ﷺ: (**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) فليحذر المعلم أن يهوده أو ينصره أو يمجسه، وإذا صح أنه ولد على الفطرة، فما فائدة ما تذكره المعلمون من تصوير الدور، والتسلسل في ذات الله عز وجل، وغير ذلك من الألفاظ الثقيلة التي يأبى الله ورسوله والمؤمنون أن تذكر أمام الضعفاء من المسلمين.

وسئل رضي الله عنه: عن حكمة تعذيب العصاة، والحالة أن جميع ما صدر منهم بقضاء الله وقدره، فإن كان الكل بقدره تعالى وقضائه فما الحكمة في تعذيبه للعاصي بذنوبه؟

فأجاب قائلا: إذا ثبتت حكمته تعالى، فالحكيم الماهر لا يعترض عليه، لأن أفعاله لا تخلو من أن تكون محشوة بصلاح، ولا يمكنه أن يطلع العموم على دقائق سره، لقصورهم في الفهم،

لأن الطبيب إذا كان بصدد تشريح ذي علة، لا يمكنه أن يطلع العموم على وجه الحكمة تفصيلا، وإذا أطلعهم لا يمكنهم إدراك وجه الفائدة حالة التشريح، وبعبارة أخرى إن الدنيا والآخرة كفتان مستويتان، والناس فيهما سواء، فمن آثر الحياة الدنيا على الآخرة، بمعنى كان مسترسلا في نعيمها يتبوأ منها حيث يشاء، فقد خفت موازينه من جهة الأخرى، فلا يمكنه أن يكون مسترسلا فيها، لأنه كان مسترسلا في الدنيا، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **(أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)** «الأحقاف: 20» فلا يباح له في الآخرة إلا شيء قليل، كشجرة الزقوم مثلا، فإنها طعام لا يسمن ولا يغني من جوع، بنسبتها لنعيم الآخرة، ويكون الكل حراما عليه، لأنه كان لا يجانب الحرام في الدنيا اختياراً، فيجانبه في الآخرة اضطرارا، وصارت له الآخرة أضيق ما يكون، لأنه لم يألف التقييد في الدنيا، وأما من كان مقيدا في الدنيا بالطاعة، محجورا عليه من جهة الشرع، له حدود لا يجاوزها، فهو في السجن بالنسبة لغيره، قال ﷺ: **(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)** بمعنى أن من كانت مؤونته من جهة النعيم قليلة في الدنيا، خفت موازينه في الدنيا وثقلت في والآخرة **(فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية)** ويكون مسترسلا في نعيمها يتبوأ منها حيث يشاء، **(كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية)** «الحاقة: 24» بحيث ليس على من ثقلت موازينه من جهة الأخرى حرام حتى الجحيم قال تعالى: **(وإن منكم إلا واردها)** «مريم: 71» والحكمة في ذلك لئلا يتشوف المؤمن لما وراء ذلك، ولو لم يردها لرأى نفسه أنه

محجور عليه، ويعود الوسع عليه ضيقا، لأن النفس لا ترضى بالتقييد، والله أعلم بما في صلاح العبيد.

وسئل رضي الله عنه: عن زوجة متهومة من زوجها؟

فأجاب قائلا: إن نظير ما ذكرتم: (أن أعرابيا أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن امرأتي لا ترد يد لامس، بمعنى أنها متهومة عنده. فقال له رسول الله ﷺ: طلقها، فقال الأعرابي: أني أحبها، فقال له: فأمسكها). وعليه فإنه يستفاد من هذا أن الطلاق أولى، والامساك جائز، وكل هذا ما لم ير الانسان بعينه، وإلا فالترك أولى، والله أعلم.

وسئل رضي الله عنه: أن الله تعالى لم يترك أي تأثير لما سواه على مقتضى قوله: **(والله خلقكم وما تعملون).**

فأجاب قائلا: والذي أكبر من ذلك، إذا جعلت «ما» الموصولة نافية.

وسئل رضي الله عنه: عن أصوات النساء هل هي عورة بحيث يحرم استماعها، أم غير ذلك؟

فأجاب قائلا: إن أصواتهن على ما يظهر - والله أعلم - تختلف باختلاف متعلقاتها، فما ارتفع منها بالعلم أو التلاوة أو الذكر، ليس هو كالمرتفع في غير ذلك، وعليه فالصوت إذا كان خاليا من الشبهات لا يعد عورة، وقد نبه الشيخ «يوسف السفطي» على مثل هذا، وذكر من أفتى به من مشايخه، وذكر البخاري أيضا ما رواه عن ميمونة زوج النبي ﷺ أنها قالت: **(كان النساء يكبرن في أيام التشريق، خلف أبان بن عثمان).** نقله في «حسن الأسوة». وما ذكرناه راجع لعموم

النساء، وأما القواعد منهن لا يحرم رفع أصواتهن ولو بغير الذكر، والعبرة بالمقاصد.

وسئل رضي الله عنه: عن معارضة الشيطان لعنه الله بكقوله فيما حكى الله عنه: **(فبعزتك لأغوينهم)** «ص: 82» وما هو من هذا القبيل، ومكالمته مع الحق بلا واسطة مع بعده من الله، واحتياج سيدنا «محمد ﷺ» للواسطة مع قربه من الله؟

فأجاب رضي الله عنه: إن الشيطان عصمنا الله من كيده، كان في حالة لا يمكن المزيد عليها، تقضى بحذف الوسائط، وفيها يسبل على الواصل رداء العز، **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)** فلذلك يستطيع أن يواجه الألوهية، ولولا ذلك لتلاشى، وبذلك كان الشيطان متعززا في حضرة الله، يقابل الحق بكل ثبات، وكل ذلك لما كان له من العز السابق، ولم يشعر بالضعف إلا بعد قوله تعالى: **(اخرج منها مذءوما مدحورا)** «الأعراف: 18» فضعفت حينئذ قوته وطمست أنواره، وصار الآن يحترق بذكر الإسم، فضلا عن الانتصاب في حضرة المسمى.

وأما احتياج سيدنا «محمد ﷺ» للواسطة، فقد كان في أول أمره، أي حالة ترقيه، وقد انتهى ﷺ إلى غاية قال فيها: **(لي وقت لا يسعني فيه غير ربي)** ومنها قضية المعراج، فقد تخلف سيدنا جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى، والذي يشعرك من أن صاحب هذا المقام تحميه أنوار العناية، حتى يستطيع أن ينتصب في حضرة الألوهية، ويراجعها في أمور، هو ما وقع للنبي ﷺ من المراجعة لما فرض الله سبحانه وتعالى على

أمته خمسين صلاة، فأخذ في المراجعة حتى انتهت لخمس صلوات، ولولا ما اكتسبه من شعاع العزة، لما استطاع القيام، فضلا عن الارتقاء والمراجعات.

وقد كنت نستشعر في الخيال كأني اجتمعت بالشيطان قبحه الله، وعصمنا منه، فقلت له: ما هذا الكبر الذي أصابك، والعجب الذي استفزك، حتى وقعت في سخط الله عز وجل، وكنت نعني بذلك امتناعه من السجود «لآدم» عليه السلام، فقال لي: يوجد فيكم من هو أشد كبراً مني، فقلت له: من هم؟ فقال: الممتنعون من أداء الصلاة، فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: لأنهم تكبروا على الخالق، وأنا تكبرت على مخلوق، يريد امتنعوا من السجود لله عز وجل. أما هو فلم يمتنع إلا من السجود لمخلوق، فصح بهذا أنهم أعظم جريمة منه. فقلت له: أنت شيطانهم، وأنت مانعهم من ذلك، فكأنه تبسم ضاحكا وقال: إن كنت أنا شيطانهم، وأنا مانعهم، فأنا من هو شيطاني يا ترى الذي منعني من السجود؟ فأبهتني والله، ولم نزد على أن قلت: عصمني الله منك. وبعد مدة فهمت معنى قوله ﷺ: (**النفس أخبث من سبعين شيطانا**) لأن آدم أوقعه الشيطان فيما وقع فيه، والشيطان أوقعته نفسه فيما وقع فيه، والملتجأ لله من كيدهما.

وسئل رضي الله عنه: عن قول بعض العارفين: «البلاء عافية المقربين»؟

فأجاب قائلا: كأنهم يقولون -والله أعلم- إن البلاء مستوطن المقربين، لا يبغون عنه حولا، يرتاحون إليه كما

يرتاح غيرهم إلى العافية، وهم في ذلك قسمان: قسم كان في حقه عافية باعتبار ما يؤول إليه في دار البقاء من تمام الأجر الجزيل، فهو يكابد نزول البلاء بالصبر الجميل، وقسم كان عنده عافية في العاجل، فهو غائب عن الفعل في شهود الفاعل **(وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً)**.

ثم قال: كل ما يطرأ على العارفين من أنواع البلايا، هو من مقتضى الأسماء والصفات، مقدمة لما يطرأ عليهم من البلاء الذاتي المقتضى اضمحلالهم ومحوهم من لوحة الوجود، وهو المعبر عنه عندهم بالفناء الأكبر، ومنه ينتهي البلاء وتتم لهم العافية.

وسئل رضي الله عنه: هل المعاني المستفادة من القرآن من طريق الدلالة والالزام والاشارة المتعاطية عند القوم رضوان الله عليهم، أو اتباع سر الترتيب الذكري، أو سر التعبير بلفظة دون نظيرتها في المعنى، لا في الاستعمال ونحو ذلك، هل هو مقصود لله تعالى بسائر دلالته أم لا؟

وأنه لما سئل هذا السؤال، كان في مجلسه أفراد من أتباعه، **فقال لهم:** أجيبوا السائل عن سؤاله، فقال بعضهم: إنه ما من معنى أُستفيدت من القرآن وصح احتمالها كيفما كان، فهو مقصود لله سبحانه وتعالى، وهذا من التوسع في نطاق فهم معاني كتاب الله وأسراره، في غاية شاملة ينطبق عليها قوله تعالى: **(ما فرطنا في الكتاب من شيء)** «الأنعام: 38».

وقال بعض منهم: إن المقصود من الله هو ما فهمناه من طريق المنطوق والمفهوم أو الالزام، وما عدا ذلك نقول فيه مقصود لله

على سبيل الاحتمال بدون ما نجزم بذلك.

ولما سمع الأستاذ جوابهما، **قال رضي الله عنه:** إن الفهم المتناول للآية من جميع وجوهه، هو أن جميع ما فهم منها مقصود لله سبحانه وتعالى، كيفما كان مخطئا كان صاحبه أو مصيبا، وذلك يستفاد من قوله تعالى: **(يضل به كثيراً ويهدي به كثيرا)** « البقرة: 26 » فما كان من طريق الإصابة هو داخل في الشق الأخير من الآية، وما كان من طريق الخطأ هو داخل في الشق الأول منها، فاتضح من هنا، أن كل فهم من كتاب الله، هو مقصود لله عز وجل، فليتثبت الإنسان في كتاب الله ما استطاع، فَسُرَّ الجميع حينئذ بهذا المخرج اللطيف، والحمد لله.

وسئل رضي الله عنه: عن بعض ما صرح به القوم من الحقائق كقولهم: ما في الوجود إلا الله، وأن الخلق لا وجود لهم؟

فأجاب قائلا: إن غاية ذنب القوم، من جهة ما تكلموا به فيما بينهم، أنهم نزلوا المخلوق منزلة المعدوم بالنسبة إلى واجب الوجود، فصح لهم نفيهم بهذا الاعتبار، كأن يقولوا: لا موجود إلا الله، وهكذا أيضا لما نظروا ما بين الخالق والمخلوق من علاقة التأثير، فصح لهم أن يقولوا: « ما في الوجود إلا الله »، وكل هذا بما خصصوا به من النظرة النافذة في هذا الوجود المرءي، فاشتبهت أقوالهم على من لا خبرة له باصطلاحاتهم، بسبب ما أطلقوه من الألفاظ التي لم ترد في الصدر الأول، ولا شك أن لكل قوم من الاصطلاحات، ما لا يوجد لها حسيس في الصدر الاول أيضا.

وسئل رضي الله عنه: عن بعض الفقراء أنهم يدعون المقام الأرفع في معرفة الله، مع أنهم لم يحققوا ما هو واجب عليهم من ذلك كأحكام الوضوء وغيرها؟

فأجاب قائلا: أنتم الذين قررتم أن أول واجب على المكلف أن يعرف الله، فكيف بكم تنكرون على من حصل على معرفة الله، وقد اشترطتموها قبل كل شيء، وهل يصح منكم أن تقولوا: نحن ما اشترطنا عليه أن يعرف المعرفة الكاملة، أم كيف جوابكم؟ **فقال السائل:** والله إن هذه لحجة علينا، وما كنا بمستيقظين.

وسئل رضي الله عنه: عمن يطلقون ألسنتهم في المنتسبين على أنهم مقصرون في عدة أمور، وأغلبهم أميون لا يحسنون الكتابة، وما هو من ذلك القبيل؟

فأجاب قائلا: بديهة بما معناه: إن الإسلام والله لهو دين الأميين، وقد بعث الله فيهم رسولا من أنفسهم، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، فالحكمة أمية، ولا تكون غالبا إلا بين الأميين، وإني قد رأيت الأميين والله في شغب من أهل الكتاب قديما وحديثا، فبهت الجميع حيرة، مما وقعوا فيه.

وقد كان - رضي الله عنه - ذات يوم بمحضر من الفقراء وغيرهم، ولما أخذ في الكلام كعادته التي حقها أن تعد من خرق العوائد، بما يبديه من الأسرار التي تعجز عن تصويرها الأفكار، قال له أحد المشايخ كان بجنبه: يا سبحان الله قد بلغنا عنك عدم اشتهارك بملازمة الدروس حالة التعليم، فقال له: **(وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه)** «الأنعام: 83».

وسئل رضي الله عنه : عن قصة فرعون، وكيف بعث الله له رسولين موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، وكان التكليف شاملا كلا منهما على ما يقتضيه الضمير من قوله تعالى : **(اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له)** «طه : 24» فقال السائل : يستفاد من هاته الآية أنه يسوغ للمريد اتخاذ شيخين في سلوك الطريق إلى الله.

فأجاب قائلا : وهو كذلك، غير أنه يستفاذ منها أيضا أن المريد الذي يأخذ عن شيخين، يحصل على النتيجة التي حصل عليها فرعون من موسى وهارون.

وسئل رضي الله عنه : عن نزول القرآن فما معناه عندكم ؟

فأجاب قائلا : المراد بذلك والله أعلم، التنزل من المكانة، لا النزول من المكان، لما يترتب على ذلك من الطلوع والنزول، والاتصال والانفصال، فكل ذلك محال، ولا يخفى أن القرآن العظيم قبل نزوله كان منزها عن الحروف والأصوات، والتقديم والتأخير، إلى أن صار كما ترى حروفا وأصواتا، أو ليس هذا من تنزلاته ؟ ولولا ذلك لما فهمته العقول، وحملته النقول، فإنه تنزل بقدر ما تعالى، **(ونزلناه تنزيلا)** «الإسراء : 106» فلا تفهم النزول، وتنكر التنزل، فإن الثاني أشرف من الأول.

وسئل رضي الله عنه : عن صفة الله تعالى، أهي متصلة بالذات، أم منفصلة عنها ؟ وهل هي عين الذات، أم غيرها ؟ وكان يريد هذا السائل الاعتراض.

فأجاب قائلا بعد الديباجة بما نصه:

فإن كنت أيها الفقيه تعتقد أن الصفة متصلة بالذات اتصال

الشيء بالشيء، فأنت معتقد التركيب في ذات الباري جل وعلا، وإن كنت تقول إنها منفصلة عنها، فأنت تعتقد تحيز الذات، وقيام الصفة بنفسها، وإن كنت تعتقد أنها عين الذات، فأنت معطل، لأنك تقول بعدم الصفة في نفس الأمر، وإن كنت تقول إنها غير الذات، فأنت مشرك، وإن كنت تقول إنها ليست متصلة ولا منفصلة، ولا بعين ولا بغير، فأنت مقلد تحكي قول الغير، ومقلد في التوحيد الخلاف في كفره على ما تقولون، وقد قالوا أيضا: «لا فرق بين مقلد ينقاد، وبين بهيمة تقاد» وإن لم تكن بالمقلد، فأتنا بدليل من عندية نفسك على أنها ليست متصلة ولا منفصلة، ولا بعين، ولا بغير، وإن لم تستطع. فاتق (**النار التي وقودها الناس والحجارة**) «البقرة: 23» واجتهد لتعتر على من ينقذك من ورطتك، وينشلك من وحلتك، وبعيد أن تجده لعدم حسن ظنك به، وبأمثاله والسلام.

قال له بعض الأصدقاء: وعليه فما هو مصداق قول أهل السنة في كونها ليست بعين وليست بغير، فهل يصح قولهم بهذا الإعتبار؟

فقال رضي الله عنه: قولهم ليست بعين، لأنه ليس جميع ما في الذات موجوداً في الصفة، وقولهم ليست بغير، لأن ما في الصفة موجود في الذات.

وسئل رضي الله عنه: عن قول الإمام الغزالي رضي الله عنه: «ليس في الإمكان، أبدع مما كان، وإلا لكان بخلا» أوليس في قوله هذا ما يشم من نسبة العجز لله تعالى؟

فأجاب قائلا: هو بمثابة قوله: كل ما يمكن إيجاده هو

كائن الآن، وعدم الاطلاع صير الكائن في حيز الامكان، وثم الأمور لا تحتملها الأذهان، لأن الغزالي - رحمه الله - أعلم بمقام القدرة من المعترض عليه، وهو الأمر الذي دفعه أن يقول: «ليس في الإمكان، أبدع مما كان... الخ». وإلا فما يدرينا أن يكون كل ما يتخيله الإنسان أن يكون في المستقبل هو كائن الآن، والمعنى أنه يراه داخلا في حيز الإمكان، وهو كائن الآن، إنما فاته عدم الوقوف عليه، والمسألة تتصور عند من رفع نظره عن هذا العالم المرئي لنا، وجال فيما وراءه من العوالم التي تفوق حد الحصر في الكثرة المنتشرة فيما لا يتناهى من الفضاء المطلق، واستحضر أن في كل عالم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فحقيق به أن لا يستبعد أن يكون ما تخيل إمكان وجوده، هو موجود في عالم غير عالمه، وبعبارة أخرى أن ما يتخيله في ذهنه إلا لوجوده في الخارج، وبهذا الطريق يستطيع أن يدرك البعض من منازل القدرة، وما يدخل تحت القدرة من العجائب، ثم بعد ذلك ينظر هل الغزالي كان مصيبا في قوله، أم مخطئا ؟ وإلا فلا يجمل به أن يوازن بين فهمه وفهم الغزالي، ما دام لم تنفذ بصيرته إلى ما وراء هاته الظروف المشخصة في نظره.

وسئل رضي الله عنه : عن الأسباط، أي إخوة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، هل ثبتت نبوءتهم، وإن كان كذلك فما وجه فعلتهم مع يوسف وأبيهم يعقوب على جميعهم السلام ؟

فأجاب قائلا : أما من كونهم أنبياء، فهو الأقرب بما يتضمنه النص السماوي، حيث أجملهم في ذكر الموحى إليهم، قال

تعالى: (**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيئين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط...** الخ الآية) «النساء: 163» ومما يفيد الاهتمام بشأنهم، قول يوسف فيما حكى الله عنه: (**إني رأيت أحد عشر كوكبا**) «يوسف: 4» ففي تمثيلهم في عالم الرؤيا بالكوكب دلالة على نبوءتهم، لأن الكواكب مما يهتدي به، قال تعالى: (**وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها**) «الأنعام: 97» ومثل ذلك قول سيدنا يعقوب في جوابه ليوسف، فيما حكى الله عنه: (**ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب**) «يوسف: 6» ولا يعني بالآل إلا الأسباط، ولا يعني بالنعمة، إلا نعمة النبوءة، والله أعلم.

وأما من جهة فعلهم مع يوسف، فهو قابل للتأويل لو تأملناه مع مراعاة الداعي لذلك، فلا نجده إلا شدة حبهم ورغبتهم في أبيهم، والعبرة بالمقاصد، والعلة غير خافية، من أنهم ما أرادوا بتغريب يوسف إلا ليخلو لهم وجه أبيهم، فكأنهم اشتروا بذلك صفاء الوقت مع رسول الله عليه السلام، بدليل قولهم: (**اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا، يخل لكم وجه أبيكم، وتكونوا من بعده قوما صالحين**) «يوسف: 9» أما القتل، فكان مجرد اهتمام لم يبرز إلى حيز الفعل، وأما الترغيب فهو المقصود، بدليل قولهم: (**يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين**) «يوسف: 10».

وبالجملة: فإن يوسف كان كالمانع لإخوته من التلقي عن سيدنا يعقوب لما أشرب في قلبه من حب يوسف، فكان اجتهاد

إخوته أن لا تحصل لهم تمام النعمة التي من أعظمها إنعطاف يعقوب عليهم، إلا بتغريب يوسف، والمجتهد قد يخطىء في اجتهاده، وغاية فعلهم معه أن وضعوه في الجب، لأجل أن يلتقطه بعض السيارة، ولو أرادوا به غير ذلك لما كان واردهم يأتيه بالأكل والشرب مدة بقائه في الجب، وبعبارة أخرى لولا مزية الأسباط على يوسف بوضعهم له في الجب، لما حصل على ملك مصر، إن كانت الأشياء تعتبر بالعواقب.

أما رجوعهم إلى أبيهم يبكون، فلاحتمال لما لحقهم من الرقة والأسف على فعلهم الذي كانوا يرونه مما لا بدّ منه، وإلا لما خَلاَ لهم وجه أبيهم.

وأما قولهم له: (**ان إبنك أكله الذئب**) ففيه استلفات لما جرى على لسان يعقوب من قوله: (**إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب**) «يوسف: 13» لأن خوف يعقوب على يوسف عليهما السلام، ليس هو في الحقيقة من أن يأكله الذئب، انما كنى به من الغدر، الذي كان يتوقعه من أبنائه في حق أخيهم، المشار إليه بقوله: (**لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا**) «يوسف: 5» فاستعمل يعقوب عليه السلام قوله: إني (**أخاف أن يأكله الذئب**) بدل أن يقول لهم: إني أخاف أن تغدروا به، فكان جوابهم بعد ذلك من جنس ما كنى به، وهم على علم من أنه لا يأخذ كلامهم على ظاهره، ولهذا قالوا: (**وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**) «يوسف: 6» من أن الذئب حقيقة أكله لكون يعقوب عليه السلام على علم مما يؤول إليه أمر يوسف، بدليل قوله: (**وكذلك يجتبيك**

ربك ويعلمك من تاويل الأحاديث ويتم نعمته عليك).

أما قول يوسف لإخوته: (**أنتم شر مكانا**) «يوسف: 77» وإن كانت كلمة ذم فما أتى بها يوسف إلا تعجبا من دهائهم، وجودة فكرهم، حيث أرادوه وقصدوه بما أرادهم يوسف، لما جعل السقاية في رحل أخيه وقصدهم بقوله: (**إنكم لسارقون، قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين**) «يوسف: 73» وفي هذا دلالة على أنهم متحسسون من أن يكون هو يوسف، وإلا لما اقسموا يمينا من أنه على علم من شأنهم، ولما أخرجت السقاية من رحل أخيه، وتحققت تهمتهم، لزمهم أن يقصدوه بما قصدهم، فقالوا: (**إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل**) «يوسف: 77» فكأنهم يقولون: فإن كانت هذه سرقة، فمن وضعها في الرحل فحقه أن يتصف بها (**فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم**) «يوسف: 77» ولو أن بغضهم ليوسف كان مما يقتضيه الطبع، من جهة كونه أصغرهم سنا، وأخا لأبيهم فقط، لكانت سرقة «بنيامين» أخيهم الثاني، مما يسرهم، لأنه شقيق يوسف، والحالة أنهم رضوا أن يتركوا أحدا منهم بدله، وكفى مروءة أن يفدي الإنسان السارق بنفسه، بمعنى يسلم نفسه أن يجرى عليه ما يجري على السارق من القصاص، وهذا ما قضى به الحال، والله أعلم بما وراء ذلك.

ثم قال رضي الله عنه: ويستنبط من هاته القصة أنه يجري للقلب الذي يريد الله تعالى أن يستخلصه لنفسه مع النفس الأمارة، مثل ما جرى ليوسف مع امرأة العزيز، لأن النفس تريد أن تستميل القلب بكل وسيلة، لتستعمله في غرضها، لما يشغفها

من حبه، وهكذا تراوده إلى أن تغلق عليه الأبواب، وتقول له: (**هيت لك**)، فيقول القلب المخلص لله: (**معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي**) «يوسف: 23» لما خلقني من أجله، (**إنه لا يفلح الظالمون**) «يوسف: 23» فيستبقا الباب، هو لينتصل، وهي لتحصل، وبمجرد إلتجائه يجد مولاها لدى الباب، فتقول النفس على ما اعتادته من الغدر والخديعة، وقد كانت قدت قميصه من دبر، (**ما جزاء من أراد بأهلك سوءا**) «يوسف: 25» فيقول القلب: (**هي راودتني عن نفسي**) «يوسف: 26» فيشهد شاهد من أهلها لفصل الخطاب، وهو العقل قائلا: (**إن كان قميصه**) «يوسف: 26» الذي هو الإيمان قُدَّ من قُبُل الذي هو وجهة إيمانه بالغيب، فصدقت، ويكون دليلا على فساده، وعدم صلاحيته لحمل الأسرار، (**وإن كان قميصه قُدَّ من دبر**) «يوسف: 27» الذي هو عبارة عن بعض تقصيراته في المأموريات، فيكون ذلك من خيانة النفس، وتقصيرها في القيام بلوازم الإيمان (**فلما رآى قميصه قُدَّ من دبر**) قال الحكيم: (**إنه من كيدكن، إن كيدكن عظيم**) «يوسف: 28» وإدخالها في ضمن الجمع، يستفاد منه تهمة بقية النفوس، وإن تجوهرت، (**وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها**) «الأنعام: 70» وعند ما يستخلص القلب من ورطة النفس الأمارة، تنقلب لوامة، فتعود على نفسها باللوم، ويطرقها طارق الندامة، وإليها الإشارة بقوله تعالى: (**واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين**) «يوسف: 29».

وأما قوله تعالى: (**وقالت نسوة في المدينة، امرأة العزيز**

تراود فتاها عن نفسه، قد شغفها حبا) « يوسف : 30 » فيشير بالنسوة إلى بقية النفوس، كاللوامة، والملهمة، والراضية، والمرضية، والمطمئنة، والكاملة، فلا نفس من هاته النفوس، إلا وتريد قضاء غرضها من القلب، بما يستولى عليها من حبه عندما يكشف لهن عن وجهته الخاصة، فيقلن (**حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم)** « يوسف : 31 » وهكذا يستخلص الله بعض القلوب لنفسه، ويجعلهم أمناء على خزائن الأرض، ولولا خشية الغلو لقلنا : وعلى خزائن السموات.

وسئل رضي الله عنه: عن ختم النبوءة؟

فأجاب قائلا: إن الختم هو عبارة عن تمام الشيء ونهايته، وقد ينتهي الشيء في نفسه **(إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد)** « القصص : 85 » وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ : **(إن الزمان قد استدار كهيأة يوم خلق الله السموات والأرض)** وإيضاح ذلك، إن النبوءة خط مستدير كخاتم متألف من نقط وهي الأنبياء، والنقطة الجامعة بين طرفي حلقات الخاتم، هو سيدنا « محمد ﷺ »، وبمناسبة ما له من المزايا من جهة اختصاص نقطته باختتام دائرة النبوءة عن بقية النقط، قال : **(أنا سيد ولد آدم ولا فخر)** ثم إذا اعتبرنا حلقة خاتم النبوءة، بعد تواصل الأطراف بعضها ببعض، ظهرت لنا كل نقطة من نقطها جامعة بين طرفيها، لو جردتها لوقع الانفصال، فتساوت النقط بهذا الاعتبار، ولهذا قال ﷺ : **(لا تفضلوني على أخي يونس) (لا نفرق بين أحد من رسله)** « البقرة : 285 » لأن التفريق وصمة في دائرة النبوءة، وقد تقدم لنا أنها واحدة متألفة

من نقط متواصلة ببعضها، ومنتهى الدائرة عين مبدئها، قال ﷺ: **(نحن الآخرون السابقون).**

وسئل رضي الله عنه: عن الحكمة في تقديم الصحابة الثلاثة للخلافة على «علي» رضي الله عنهم أجمعين، وكان يشم من السائل، رائحة التشيع؟

فأجاب قائلا: الحكمة من الله تعالى في ذلك، مراعاة الآجال، لأنه كان لكل واحد من الأربعة الحق الثابت في الخلافة، لما توفي عليه الصلاة السلام بحيث لا واحد إلا وله الحق الصرف في ذلك، وبهذه المناسبة، تأبى الحكمة أن يتصدر سيدنا «علي» كرم الله وجهه للخلافة، لأنه يحجب ما بعده من الثلاثة، بما أنه أطول الأربعة عمراً، وهكذا لو تقدم «عثمان» لحجب ما بعده، لأنه أطول الاثنين عمراً، وهكذا لو تقدم «عمر» لحجب «أبا بكر» لأنه أطول منه عمراً، وهذا بقطع النظر عن مراعاة الأفضلية.

وسئل رضي الله عنه: عن العلة في تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها أو أختها؟

فأجاب قائلا: حرم ذلك خشية قطع الرحم الذي أمر الله به أن يوصل، لما ينشأ بين الضرتين من التنافر غالبا، ولهذا قال ﷺ: **(لا تنكحوا المرأة على عمتها، ولا على خالتها، فانكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامهن).**

وسئل رضي الله عنه: عن معنى العظمة والكبرياء، والالوهية، هل هي جامعة لسائر الصفات كما يقولون؟

فأجاب قائلا: والذي يظهر أن الألوهية هي التي تمتاز

بجميع ما تفرق في غيرها، أما باقي الأسماء والصفات، فلكل منها معنى خَاصٌّ، فلا شك أن لفظ الكبرياء يفيدنا معنى غير معنى العظمة، وهكذا العظمة وقس على ذلك. وهنا تظهر فائدة تعدد الأسماء والصفات.

وسئل رضي الله عنه: عن إدراك الروح للأشياء، هل هو في اليقظة أقوى أم في النوم؟

فأجاب قائلا: إن الإدراك بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين، لأنه إما أن يكون متعلقا بالإلهيات، كذات الله وصفاته، وإما أن يكون متعلقا بالمخلوقات، فإن كان راجعا إلى القسم الأول فهو في اليقظة أقوى منه في النوم، لأن الإنسان ربما يرى في نومه الألوهية على صفة ليست من حقائقها، بخلاف ما يدركه منها في اليقظة، وبالأخص إن كان بواسطة الشهود.

وإن كان راجعا إلى القسم الثاني، أي المتعلق بالمخلوقات، فينقسم على ثلاثة أقسام، لأنه إما أن يكون راجعا لإدراك ما هو في الماضي، أو إدراك ما هو في الحال، أو إدراك ما هو في المستقبل.

فالقسمان الأولان كذلك من ذلك القبيل الأول، أي من إدراك الروح في اليقظة، وعليه فلم يبق للنوم إلا ما هو من قبيل الاستقبال، لأنه جزء من الإنباء، لقوله ﷺ: **(لم يبق من النبوءة إلا الرؤيا الصالحة)** وكان يراها عليه السلام فتأتي كفلق الصبح.

وسئل رضي الله عنه: عمن يقول في الأشياء، هذا مكروه وهذا حرام، وقد يريد بذلك الاحتياط؟

فأجاب قائلا : ان الحرمة والكراهة حكمان شرعيان ، لا بد لثبوتهما من دليل ، ولا أظن أن يكون الافتراء على الله بالقول في دينه هذا مكروه وهذا حرام بغير دليل ، يعتبر من قبيل الاحتياط ، وقد توقف ﷺ في تحريم الخمر مع وضوح مضرته ، في حال أنه ﷺ هو المشرع ، حتى نزل عليه بما فيه حكم الله .

أبعد هذا يتجرأ أحدنا على القول بالحرمة أو الكراهة في شيء من الأشياء من عنديته أو لمجرد اختياره ؟

وسئل رضي الله عنه : هل علم التصوف يوجد في بقية الأديان من غير الدين الإسلامي ؟

فأجاب قائلا : إن دين الله واحد ، والتصوف زبدته ، ولهذا تجد في كل الملل آثاره ، وفي الملة الإسلامية الآن جوهره ، فمن أخذ به أخذ بالغاية من الدين ، وهذا مُسَلَّمٌ ما دمنا نعتقد مقام الاحسان منتهى سير المتدينين . **(إن رحمة الله قريب من المحسنين)** « الأعراف : 66 » .

وسئل رضي الله عنه : عمن يقول : إن الهداية كل الهداية تنحصر في العلم وفي أهل العلم ؟

فأجاب قائلا : تنحصر في العلم وفي أهل العلم صحيح ، لو لم يقل الله تعالى : **(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم)** « الجاثية : 23 » فليحذر العالم متابعة هواه .

وسئل رضي الله عنه : عن حاله فقيل كيف أنت ؟

فأجاب قائلا : تراني كما قيل : نتقلب بين أحزان يعقوبية ، وآلام أيوبية ، شأن من يحاول سياسة قلوب شاردة ، ونفوس متمردة ، إن حاسنتهم طغوا ، وإن عاتبتهم بغوا ، وقد جربتهم

وكررت التجارب، فوجدتهم لا يسرهم إلا ما يحزنني، ولا يرضيهم إلا ما يسوءني، وقد كنت حاولت جهدي أن أقلب هاته الحقيقة، أو أعكس هاته الطريقة، ولكني حاولت محالا، وضيعت آجالا، وفي الأخير ما وسعني إلا أن سلمت لحكم القدر، يفعل بي وبهم كل ما من شأنه أن يفعله في البشر، والله يخلق ما يشاء ويختار.

وسئل رضي الله عنه: عن الممكن في أي شيء ينحصر؟

فأجاب قائلا: الممكن كل شيء يتصوره العقل، ما عدا الشريك لله، وإن لم يحتمل العقل وقوعه لضيق دائرته، فهو محتمل في خارجها، لأنه لا إحاطة له بما أحاط به العلم **(وكان الله بكل شيء محيطا)** «النساء : 125».

وسئل رضي الله عنه: عن علاج التعصب، والتخلق بحلية الانصاف؟

فأجاب قائلا: كان بعض أصدقائنا ذكر أنه إذا سمع مقالة ممن يتحسس من جهته تأباها نفسه، وينكر على صاحبها، ولو كانت وجهة الحق فيها غير خافية، فالتفت يوما إلى نفسه، وقال لها: افرضي أن هاته المقالة صدرت منك، فماذا ترين فيها؟ أهي غير صحيحة حقيقة خالية من الحق تماما، أم غير واقعة موقعها؟ فقالت له: كلا بل زيادة على صحتها ووقوعها موقعها، فهي حسنة من كونها كذا وكذا، إلى آخر ما أبدته له من تحسينات وجوهها.

ثم قال: وبهذه الكيفية تمكن ذلك الصادق بالاتصاف بحلية الانصاف.

ونحن إذا أردنا دواء لعلاج النفس أنجع وأنفع من هذا، فلا شيء يمكن صاحبه من حلية الانصاف، والرجوع إلى الحق، على كل حال، مثل الفهم عن الله في جميع النوازل، حيث قلّ أن تخلو نازلة من جزء حق يكون مكنونا فيها، ولو من جهة ما، وكفى لو أننا أمعنا النظر في الباطل نفسه، ودققنا الفكر فيه، لوجدناه غير فارغ تماما من كل الحق، وهو مبنى الحكمة الإلهية، والنواميس الكونية، قال تعالى: (**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا**) «المؤمنون: 115».

ويشهد لهذا قول الإمام «علي» كرم الله وجهه: «لننقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه» نقله في «نهج البلاغة». ثم قال: وبهذا نفهم أن ما نسخ من الكلام الغير البالغ بما أصابه من الحق الدامغ، ليس هو لخلوه من الحق تماما، إنما أصابه ذلك، بسبب ظهور ما هو أعلى منه، ولا يخفى أن من خاصية النور أنه ينسخ بعضه بعضا، مهما كان بعضه أقوى من بعض كما ينسخ الظلمة أيضا، وأما نسخ النور لبعضه فمعناه واضح من نسخ الشمس لنور القمر، والكل يحتاج إليه في وقت ما.

وأما من كان موساوي المقام، فهو يتلقى كلمة الحق من أي لسان برزت، لأن الإنسان كيفما كان من جهة غلظ الطبع، وجفاوة الأخلاق لم يبلغ غلظ الجبل، وكيفما كان من جهة الطيش والفظاظة، لم يبلغ حرارة النار، وموسى عليه السلام أخذ عن كل منهما، ولم يحتجب عن الله فيهما، فتلقى عنه من الجبل، كما تلقى عنه من النار، والله يقول: (**فاعتبروا يا أولي الأبصار**).

وبعد ما أنهى هذا الجواب: قال له بعض الحاضرين: إن في بني الإنسان من هو أثقل من الجبل، لأن الجبل محمول على الأرض، والثقيل من بني الإنسان يحمل على القلب، ولهذا يحس الإنسان من نفسه أن يأخذ عن بعض الجمادات، أيسر عليه من أن ياخذ عن الثقيل على القلب من بني الإنسان.

فقال رضي الله عنه: أنتم تتكلمون على القلب الطبيعي ومقتضاه، ونحن نتكلم على القلب الذي يسع العرش وما حواه.

وسئل رضي الله عنه: عن اهتزاز الصوفية ورقصهم بالأذكار، الأمر الذي لم يكن له مستند في صريح الشرع، هكذا يقول السائل، وإذا فما دعاهم لذلك؟

فأجاب قائلا: إن الصوفية لا يقولون بوجوب ذلك، ولا بتبديعه، حتى يعتبروا أنهم زادوا في دين الله ما ليس منه، إنما يبعثهم على نظير ذلك ما يهاجمهم من الشوق والوجدان حالة الذكر.

وفي استطاعة القائل أن يقول لكم: إنه دعاهم إلى ذلك ما دعا سيدنا «أيوب» عليه السلام، أن يركض برجله، ودعا الإمام «عليا» كرم الله وجهه «وجعفراً» أن يخجلا بين يديه ﷺ، ودعا الحبشة أن تَزْفِنَ في مسجده وبحضوره ﷺ.

وفي ظني أنك لا تنكر من كون الداعي في جميع ذلك هو باعث السرور، وإذا فلم يباح لأولئك ما يمنع في حق غيرهم، مهما كان الداعي واحدا، مع سلامة الطوية، والعبرة بالمقاصد؟

فقال السائل: ولكن يقول المعترض، فلم لم يهتز رسول الله ﷺ بالرقص، وهو أشد من الجميع سروراً بالله؟

فقال رضي الله عنه: إني قد كنت قرأت في التوراة: أن سيدنا داوود عليه السلام، لما جيء إليه بالتابوت، كان يرقص فرحا، وكان الجيش من خلفه، فلما رأته زوجته على تلك الحالة أنكرت عليه، وسقطت هيبته في نظرها، وإذا فيقال لذلك المعترض، إن النبي ﷺ لم يفعل ذلك شفقة على مثله، من أن تسقط حرمته في نظره، فيرتد عن دينه والعياذ بالله.

وسئل رضي الله عنه: ما هي عقيدة الإسلام، فيمن سواه من الملل؟

فأجاب قائلا: إن عموم الملل بالنظر إلى الإسلام على صنفين: موحدين، ومشركين، فالموحدون هم الذين يعتمدون إحدى الشرائع الإلهية كالموساوية، فالموسويون والمسيحيون الغير القائلين بالوهية المسيح موحدون. الصنف الثاني: وهم الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، المتخدون من دون الله ألهة، فمنهم من يعبد الحجر، ومنهم من يعبد الكواكب، ومنهم من يعبد النار، ومنهم ومنهم، مع أنهم ليس بأيديهم ما يعتمدون عليه في عبادة تلك الآلهة إلا مجرد قولهم: **(وجدنا آباءنا لها عابدين)** «الأنبياء: 53» فهؤلاء لا يعترف لهم الإسلام بالإنسانية، لأن الإنسان يمتاز عن جنسه العام الذي هو الحيوان بالفكر، فهو الذي يعطيه تفصيل المراتب، بحيث يقدر على الأقل أن يميز بين درجات العبودية، ودرجات المعبودية، وحيث لم توجد فيه هاته الحاسة، أو وجدت فيه ولكنه لم يستعملها فيما خلقت من أجله، تعين على الإنسانية أن ترفضه، وعلى الشرائع الإلهية أن تحاربه، حتى يرجع عن غيه وينتبه من نومه، وإلى ذلك يشير

الحديث من قوله ﷺ : **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)** وبالجملة فإن الإسلام يرى هذا الصنف بعيداً عن الانسانية بمراحل، وإلى أولئك إشارة القرآن **(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل)** « الفرقان : 44 » وأي ضلال أضل ممن بلغت به الغباوة إلى الاعتكاف تلقاء شمس، أو حجر، أو صورة مموهة مسبوكة من صنعه، والحال أن فضله عليها أكثر.

وسئل رضي الله عنه: عن التيمم، إذ الضربة الأولى فريضة، والثانية سنة، والضربة الأولى هل هي للوجه فقط، أو يتم بها ما بقي من الفرض في اليدين؟ لأن الضربة الثانية عندنا سنة، ومسح اليدين إلى الكوعين فرض، هل يجوز مسح اليدين بالضربة الثانية، التي هي عندنا سنة؟ وهل تجزىء للفرض، أم كيف الأمر؟

فأجاب قائلا بعد الديباجة:

الفقيه النبيه صديقنا في الله سيدي (....) عليكم جزيل السلام.

أما بعد: أيها المحب، فقد تصفحت سؤالكم عن مسألة التيمم، والوجه الذي ظهر لي أن مرادهم - والله أعلم بذلك - أن الضربة الأولى فرض، يعنون بذلك وضع اليد على الصعيد من أصله، هو فرض، وكونه مكررا مرتين، هو من السنة، فمن اقتصر على ضربة واحدة، فهو آت بالفرض، والأولى أن يأتي بالسنة، ليكون، الضرب مرتين، وهذا الذي ظهر لي في هذه النازلة والله أعلم بمراده.

وسئل رضي الله عنه: عن النبي ﷺ ليلة الإسراء على ما

في بعض الأثر ، جيء إليه بأوان ثلاثة، آنية من خمر ، وآنية من لبن، وآنية من ماء، فاختار اللبن على غيره، فما الحكمة في ذلك ؟

فأجاب قائلا : إن الخمر كان مشربا عيساويا ، والماء مشربا موساويا ، واللبن مشربا إبراهيميا ، فهو واسطة بين الصحو والاصطلام، قال تعالى: **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا)** «البقرة: 143» وقال ﷺ : **(خيار الأمور أوسطها)** الخمر سكر محض ، والماء محو محض ، واللبن بين ذلك ، يستعمل بدل الماء عند العطش ، ويستعمل بدل الخمر إذا اشتدت حموضته ، جامعا بين المقامين ، ولهذا كان ﷺ كلما تناوله يقول : **(اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه).**

وسئل رضي الله عنه : عن قول سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه : « لا شيخ بعدي » وهل هي قولته محققة ؟ وإن كان كذلك ، فما هو معناها ؟

فأجاب قائلا : فكونها صدرت منه ، الله أعلم بذلك ، وإن ثبتت نسبتها إليه ، فمن المحتمل أن يكون نفي الشيخوخة خاص بطريقه ، أي عمن بقي من أتباعه بعده ، عند ما أطلعه الله على ما هم عليه في نفس الأمر ، فوجدهم غير مستعدين لحمل أعباء المشيخة ، فأخبر بذلك ، وقد تحققت الآن في أصحابه ، فإني حتى الآن لم يبلغني من ادعى منهم المشيخة ، بطريق الاستقلال ، ولا نسمح أنه أراد بذلك نفي الخصوصية في الأمة المحمدية ، والحالة أن نبيها يقول : **(الخير في وفي أمتي إلى يوم الدين)** وقوله أيضا ﷺ : **(أمتي مثل المطر ، لا يدري أيه أنفع أوله أم آخره)** وقوله ﷺ **(يبعث الله على رأس كل**

مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها) وغير هذا مما لا يحصى، ولم تزل القدرة صالحة أن تتعلق بكل ممكن، والحمد لله.

وسئل رضي الله عنه: عن مسألة السفور؟

فأجاب قائلا: الحمد لله الموصوف بنعوت الكمال، والصلاة والسلام على مظهر الرحمة ويعسوب الجمال، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحابته، والتابعين له في الأقوال والأفعال.

أما بعد: فقد كنت توصلت برسالة من إخواننا في الله الأعزة، المقيمين في أرض فلسطين بمدينة « غزة » أصلح الله لنا ولهم الحال والمآل، تتضمن سؤالا في شأن ما نشره بعض الكتاب في إباحة السفور، ورفع الحجاب، ونشرت الرسالة ملخصة في جريدة « البلاغ » الجزائري (1) الأغر، والذي بعثني على أن أكتب بعض كلمات في الموضوع، هو تلهف أولئك الاخوان للجواب، وإلا فعلم الله أنني ضعيف، فليكتف حضرات الاخوان بما يصلهم، فإن فيه ما يفي بالغرض، والمنة لله، وان لم يكن فالأمر لله وحده، والتقصير ليس وصمة في وجود أمثالنا، ومضمون السؤال ملخصا: إنه تصدر بعض الكتاب العصريين، لبسط القلم في مسألة السفور، وكتب في جريدة فلسطين بما مضمونه:

إن مسألة ستر الوجه لا دليل عليها من الشرع، بل الدليل

---

1) صحيفة أسسها الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي سنة: 1925 م إلى سنة: 1934 م تاريخ وفاة الشيخ - رضي الله عنه - ثم انتقلت إلى أتباعه.

الصريح هو كشفه، مستدلا بقوله تعالى: **(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)** « النور: 30 » إلى آخر الآية وقوله ﷺ: فيما أخرجه أبو داود والترميذي وغيرهما عن بريدةِ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخيرة)** فإباحة النظرة الأولى لأنها فجائية غير مقصودة، دليل على أن المرأة تكون مكشوفة الوجه، وإلا فلا فائدة في غض البصر، ويجري في الحديث ما يجري في الآية، هذا ملخص ما جاء به فيما بنى عليه استدلالاته، وخلاصة الجواب والله الملهم للصواب:

إنه لا يستفاد من الآية الكريمة، ولا من الحديث الشريف على القطع، لا بإثبات ستر الوجه، ولا بعدمه، إنما الحكم مقصور فيه على غض البصر، وبيان المسألة ينحصر في أمرين، فلينتبه لهما حضرات السائلين، فإنهما جديران بالاحتفاظ بهما في الموضوع:

- **الأمر الأول:** مما ينبغي أن يعلمه كل مسلم، أن النظرة بشهوة لأي عضو من أعضاء الأجنبية حرام، ولو عليه ساتر، وإذاً فتخصيص الوجه بالحكم في المسألة هو مجرد تحكم، إذا الحَقُّ أَمَرَ في الآية الكريمة المؤمن بغض بصره عن كل ما يحرم عليه من بدن المرأة، ومهما كان كذلك، فحمله على خصوص الوجه، دون ساعد المرأة، وساقيها، وعنقها، وشعرها، وغير ذلك من أعضاء بدنها، حكم مبني على عدم التثبت، فلينتبه القارىء إلى ذلك.

- **الأمر الثاني:** إن جزيرة العرب، لم تخلص لنساء المسلمين

دون المشركات، أو الكتابيات في ذلك العصر الأول، والإنسان ممنوع عليه أن يمد بصره بشهوة لكتابية، كما هو ممنوع عليه أن يمده للأجنبية المسلمة، وهاتان الطبقتان كن يخرجن سافرات ضرورة (1)، وهذا الحكم يجري في عصرنا، كما كان يجري من قبل، وعليه فلم نخصصه بالمسلمات، ونستخرج من ذلك دليلا على أنهن كن سافرات الوجوه، في ذلك العصر.

وبالجملة: فإن حضرة الكاتب ينقصه وجود الاستعداد الفطري في استنباط الأحكام من الكتاب والسنة، الذي خص الله به من شاء من عباده.

ثم نختم الكلام بشيء نقدمه لحضرة الكاتب كسؤال مضمونه: فهل المبالغة في الاحتجاب، الأمر الذي أدى الكثير من النساء إلى ستر الوجه، هل يعتبر فضيلة أم رذيلة؟ ولا أظنه أن يقول فيها رذيلة ما دام يبلغه أمر النبي ﷺ بالتحفظ على ذلك، وإلا لزم أن يكون النبي ﷺ يأمر نساءه برأهن الله، بارتكاب الرذائل.

وعليه فمهما كانت المسألة مسألة فضيلة، لا يسوغ لأي عاقل عفيف محاربة الفضيلة، لأنه يكون بفعله ذلك من أنصار الرذيلة، والعياذ بالله والسلام عليكم ورحمة الله.

وسئل رضي الله عنه: عن اليومين الذين خلقت فيهما الأرض، حسبما جاء في التنزيل (2)؟

---

1) يعني: المشركات والكتابيات.

2) يريد قوله تعالى: (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين)

فأجاب قائلا: إن اليوم هو قطعة من الزمان، إما باعتبار زماننا المختص بعالمنا هذا، وإما باعتبار ما عند الله من بقية العوالم، فلكل زمان ما يخصه، فالزمان المبهم تختلف قطعه باختلاف ما يمر عليه، وما يمر عليه الزمان غير محصور العدد، فلكل زمان ما يناسبه، فعمر الدنيا عندنا كالسنة بالنسبة لعمر غيرها من بقية الأجرام العلوية، والعوالم الغيبية، قال تعالى: **(وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)** «الحج : 47» مع أن تاريخ عمرها غير معقول، مع القطع بحدوثها. قال محي الدين بن عربي - رضي الله عنه - في باب التسعين والثلاثمائة من فتوحاته: «إنه لم يبلغنا أن أحدا عرف مدة خلق العالم على التحديد، وذلك أن أكثر الكواكب قطع الفلك الأطلس الذي لا يكون فيه إلا فلك الكواكب الثابتة، والاعمار لا تدرك حركتها، لظهور ثبوتها للأبصار، مع أنها سابحة سبحا بطيئا، والعمر يعجز عن إدراك حركاتها لقصره، فإن كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الأقصى في مائة سنة، إلى ان ينتهي إليها، فما اجتمع من السنين فهو يوم تلك الكواكب الثابتة» اهـ.

ولا يخلو أن توجد أيام عند الله، تقدر فيما بين ذلك من العدد، أي ما بين الألف إلى الخمسين ألف، وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: **(في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)** «المعارج : 4» باعتبار عددنا، ان كانت تبدل الأرض غير الأرض والسموات، وعلى هذا لا نحمل اليوم مهما سمعناه في كلام الله، على اليوم المعلوم عندنا، لاحتمال أن يكون عائدا على غيره من ايام الله تعالى، جاء في خلق الأرض ما يدل صراحة على أن

الأرض خلقت في يومين، فلا نحمل اليوم على اليوم المقدر عندنا بالأربع والعشرين ساعة، لئلا يصير الشيء مظروفا لنفسه، من أجل أن اليوم هذا ناشىء عن حركة الأرض، مع مشاركة الشمس لها، وهاته الهيأة المجتمعة وقعت بعد خلق الأرض، مع جرم الشمس، فكيف يصح أن تكون الخلقة فيها، وثانيا إن مدة اليوم المعلوم عندنا لا تصح أن تكون ظرفا، لوقوع خلق الأرض فيها، لا من جهة القدرة المجردة، ولا من جهة ارتباطها بوجود الحكمة والتدريج، كما هو الواقع، إذ لو كانت من جهة القدرة المحض، لجاءت الأرض على هيئتها دفعة في القدر القليل من الزمان، في الجزء الذي لا يتجزأ منه، فما أبطأها إلى أن مرت عليها الثمانية والأربعون ساعة، والحق **(إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن، فيكون)** « يس : 82 » وهذا إن كان من جهة القدرة المجردة، وإذا كانت الخلقة وقعت مع القدرة المرتبطة بوجود الحكمة، فمدة اليومين لا تسع وقوع الخلقة فيها أيضا، لأن عادتها جاءت على التدريج، والثاني في العمل، حسبما نراه في سائر التركيبات الجزئية، فأقل القليل منها لا تتركب بنيته إلا في مدة تناسبه، فانظر إلى تركيب ماهية النبات، كيف يجمع الله، لأجله سحابا، ثم يؤلف بينه، ثم يجعله ركاما، ثم يشق له الأرض شقا، ثم يصب منه الماء صبا، ثم يخرجه حبا ونباتا، وهو قادر على أن يبرزه دفعة واحدة، ومنه تركيب الجنين في بطن أمه، والملخص من هذا، أن الأرض ما تم نظامها الحالي، إلا بعد ما مرت عليها قطعة من الزمان تناسبها، فلا نتوهم أنها جاءت على هيئتها دفعة، وإن كانت القدرة صالحة، فحكمته تعالى

تأبى ذلك، قال تعالى : **(إنا كل شيء خلقناه بقدر)** « القمر : 49 » وهكذا جميع ما نراه من تركيب الجزئيات، إلا ومجيئه على الترتيب والتراخي، إذ لا يعجل بالشيء إلا من يخشى فواته، وعلى هذا فمن المحتمل أن يكون اليوم الذي وقعت فيه خلقة الأرض وكذلك السموات، غير اليوم المعلوم عندنا، ولا مانع من أن يصرف على غيره من أيام الله، فإنها لله جميعا، ويكون أنسب إلى هذا المقام، سواء كان مما طوله كألف سنة، أو من غير ذلك.

والحاصل من هذا، أن الأرض ما تمت هيئتها المجتمعة من العناصر، وتشعبت أطرافها، ونصبت جبالها، الا بعد ما مرت عليها قرون عديدة، ودهور مديدة، قال محي الدين بن عربي رضي الله عنه، في الباب السابع والستين والثلاثمائة : « قد أكمل الله تعالى خلق المولدات من الموجودات والنباتات والحيوانات عند انتهاء أحد وسبعين ألف سنة، من خلق العالم الطبيعي، ثم قال : لما انتهى خلق العالم الطبيعي، وانقضى من مدته أربع وخمسون ألف سنة، خلق الله هذه الدنيا » اهـ.

وفي هذا ما يعضد جوابه رضي الله عنه : على أن خلق الأشياء جاء مرتبطا بوجود الحكمة على سبيل التدريج، وكانت تختلف باختلاف الأوقات، إلى أن وصلت إلى الحالة المرئية لنا، من أنها نار ملتفة في تراب، والتراب مغموس في ماء، الا القدر المرتفع منه، يقدر بالربع من الأرض متشتتا على أطرافها، ثم إحاطة الهواء بالجميع، والله أعلم بما وراء ذلك.

وسئل رضي الله عنه : وهو على مائدة الغداء بين تلاميذته،

عن قوله تعالى: **(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)** «الزلزلة: 8 - 9».

فأجاب قائلا: إن الضمائر من حيث هي ترجع لله غالبا، وبالأخص ما هو كأنا وأنت وهو، فهي أسماء لله حقيقة سمى بها نفسه في سابق علمه، وعليه فإن أهل الفهم الخاص، مهما وجدوا ضميراً، إلا ويروه ملتصقا بمسماه حقيقة، راجعا له بتأويل يعقله العالمون، وعليه فيكون الضمير من قوله: **(يره)** عائدا على الله، والخطاب في ذلك للمتوجهين، فكأنه تعالى يقول: من يعمل منكم أدنى شيء من الخير الخالص، ولو مثقال ذرة فإنه يره تعالى، وهذا مما يقتضيه الفيض الرحماني، والجود المطلق المستفاد من بعض الأحاديث القدوسية: **(إذا تقرب إلي عبدي شبراً تقربت منه ذراعا)**. فقيل له رضي الله عنه: وعلى هذا، فكيف الضمير في الشق الثاني، فهل هو عائد على الله، والحالة أنه يقول: **(ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)**؟ وهل يكون فعل الشر من الوسائل لرؤية الله؟

فقال رضي الله عنه: إن عود هذا الضمير على الله، هو أيسر مما قبله، لأن صاحب هذا المقام ذكره تعالى بفعل الخير، وذلك يستفاد من قوله: **(ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)** فكأنه يقول: أما الذي ليس له من الشر إلا مثقال ذرة، فهذا لا يعوقه عن السير إلى الله، وعليه فالأول يتصور فيمن كان ليس له عمل، ثم أخذ يتزحزح لله بإقلاع وإخلاص في التوجه، فأول ذرة من فعله الخيري، يكون له معراجا لحضرة الله، والثاني لم يفعل من الشر إلا مثقال ذرة، فذكر تعالى أنها ليست من العوائق في طلب الله، والله أعلم. اهـ

تمت بحمد الله وجميل عونه أجوبته المرونقة المعربة عن غريب ذوقه، وكمال عقله، ووفور علمه، الأمر الذي لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان شاهداً على مرتبته المعبر عنها بالغوثانية، والمعنى أنه كان مطمح الأمة الإسلامية وإمامها الوحيد، الذي يلجأ إليه في تحليل العويصات من المسائل الدينية، التي عليها مدار حياة المسلم، الذي يريد أن يعيش مسلما ويلقى الله على عهده، طاهر الجنان شريف الوجدان، وقد أغاث من التجأ إليه بأوضح عبارة، وأحسن أسلوب، حتى لا يحرم من الانتفاع بتلك الأجوبة كل من وقف عليها من أهل الاسلام والإيمان.

أما أهل التعنت والعناد، فلا يبعد أن يتعاموا عن رؤية تلك اللآلىء المنثورة التي كانت كل لؤلؤة منها فريدة في بابها، ولا غلو أن قلنا إن أجوبته تلك عبارة عن عقد منظم من فرائد، ولا شاهد أعدل من الواقع، وأن المتعنت في استطاعته أن يقول: إن الفرائد ما هي إلا أحجار، فنقول له نعم، ولكنها ليست كالحجر **(ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)** « الشعراء: 183 ».

ولإتمام الفائدة وقياما بواجب النسبة، نذيل هذه الأجوبة برسائله المفيدة التي هي أشبه شيء بأجوبته، وتمثل القسم الثاني من الكتاب.



القسم الثاني

رسائله رضي الله تعالى عنه

ذووا الأقدام الراسخة، والأحوال الشامخة، إخواني الفقراء، عليكم من الله أشرف السلام، هذا ساداتنا، وإن رسائلكم اتصلت بيدنا بارك الله فيكم، فبلغوا جميعكم منا أشرف السلام، مع اعتذاري لهم عن القيام بحقوقهم، وكان من حقي أن أجيب كل فرد منهم على حدته، ولما كان التقصير من لوازمنا، فها أنا أخطيء تارة وأصيب أخرى، وكنتم بعثتم لنا جوابا يتضمن أسئلة، وقد كتبت ما سمح به الفهم باختصار، فإن ظهر لكم غيره، فالوسع من لوازم الطريق، ونحن شركاء في التحقيق.

سؤالكم بارك الله فيكم عن ظهور الحق سبحانه وتعالى في الانسان في أي فرد من أفراده يشتد ظهوره، فهل في الصغير، أو في الكبير، أو في المتوسط؟

قلت وبه المستعان: إن ظهوره بالنسبة لنفسه لا تنوع فيه، كما لا خفاء فيه، وأما بنسبته لأفراد الإنسان، فهو يختلف باختلاف الإنسان، فكل يدركه بما سمح به الإدراك، والصغير لا يدركه أو نقول لا يلاحظه إلا في الكبير، كما أن الكبير لا يظهر له غالبا إلا في الصغير، وهذه حكمته تعالى التي قام بها ناموس هذا الوجود، فمن ظهوره تعالى للكبير في صورة الصغير، ما نراه من ترحمات الكبير على الصغير، وشفقته عليه، وميلانه له، حتى ربما يلقي بنفسه إلى الهلاك لوقاية الصغير، وكل ذلك بسبب ما يلاحظه من لوائح الجمال التي ظهر الله بها

على الصغير، وكفاه أنه أطلق له العنان إلى أن صار لا يسأل عما يفعل، وكل كبير يشهد من نفسه وجود الانعطاف على الصغير، ومن قول الكبير: **(يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)** « يوسف: 84 » وهو راجع لقوله ﷺ: **(رأيت ربي في صورة شاب أمرد)** وأما ظهوره تعالى للصغير في صورة الكبير، هو ما يجده الصغير في نفسه من الهيبة والجلال، صفتان تلوحان على الكبير، فتكسبانه احتراما له بدون استعمال، وليس ذلك إلا ما يلاحظه من سلطان الجلال الذي ظهر الله به في الكبير، وهكذا تراه إلى أن قال الصغير للكبير: **« يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين)** « الصفات: 102 » والأب من أسمائه تعالى في اصطلاح العبرانيين فافهم. وهكذا كل صنف يدركه في مقابله، ويخفى عنه في نفسه، أو نقول في أبناء سنه، ومن خفائه قول القرين لقرينه: **(يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي)** **« طه: 94 »** وعليه فكل يلاحظه تعالى فيما فوقه، وفيما تحته، وغافلا عنه فيما بين ذلك، وأما من احترمه في الجميع فهو العارف بالله حق معرفته، والله أعلم بغيبه.

وأما سؤالكم عن ظهوره في الذاتين الكريمتين أعني « محمدا » و « جبرائيل » عليهما السلام، في أيهما كان أشد وأتم؟ فأقول: والمعنى أرق وإدراكها أدق، تتنوع بتنوعات المظاهر، منها ظهوره تعالى لنفسه بنفسه، وظهوره لجبرائيل بجبرائيل، وظهوره لمحمد بمحمد، وكل ظهور له حيثية، فمن حيث ظهوره تعالى لنفسه بنفسه، فهو ظهور مستوى الطرفين،

كما تقدم في الجواب الأول، وأما ظهوره في محمد لمحمد، فهو عين بطونه عنه، لولا أن حصل عليه بواسطة جبرائيل عليهما السلام، عند ما ضمه لصدره، فشاهد صورته التي تجلى الله بها إليه، في مرآة جبرائيل، لأن المؤمن مرآة أخيه، إن كان كُفْؤاً لَهُ، ولا مرآة تلائم الصورة المحمدية، مثل المرآة الجبرائيلية، كما لا مرآة تحوط بالحقائق الجبرائيلية، مثل الصورة المحمدية، **(فتمثل لها بشراً سويا)** «مريم : 17».

وعليه فإن ما يظهر به الحق للإنسان في نفسه، لا يستطيع أن يدركه إلا في غيره، **(فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه)** «يونس : 108» والله أعلم بغيبه.

وأما سؤالكم عن معرفة الملائكة في الإلهيات، أهي أتم من معرفة البشر، أو غير ذلك؟ فأقول: إن النبي ﷺ قال: **(إن الله احتجب عن العقول، كما احتجب عن الأبصار، وإن أهل الملاء الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم)** فتحصل من هذا اشتراك الصنفين في التقصير كاشتراكهم في المعارف، لكن المعارف تمتاز بامتياز المواد، فإن كانت معرفتهم مستمدة من معرفة نبينا ﷺ، بملازمته لهم، وبالخصوص سيدنا جبرائيل عليه السلام، فإنه كان يترقى بترقيه ﷺ، فلا وجه حينئذ للتفاضل، وإن كانت مستمدة من غير ذلك، فلا مانع حينئذ من أن تكون معرفة هاته العصابة أتم من غيرها، من طريق الإرث النبوي، إذا ثبت أنه انتقل على هيئته، **(والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا)** «الكهف : 46» والله أعلم بما وراء ذلك.

الرسالة الثانية

إن حضرة الشيخ المرسل إليه هذا الكتاب المفيد، يعد من أساطين الذين تظاهروا بالاصلاح، ومن الذين لم يألوا جهداً في تقبيح أعمال الذاكرين، حتى أدى به غلوه إلى نكرانها بجميع أنواعها، من أنها لا أصل لها في أصول الدين الحنيف، وقد ظهر بهذا الكتاب في صورته التي ينبغي أن يعرف بها لخاصة المسلمين وعامتهم، قال مولانا الأستاذ رضوان الله عليه:

إلى جناب العلامة المفضال، الشيخ السيد العربي بن بلقاسم التَّبَسِّي، أرشدني الله وإياكم إلى سبيل الرشاد، وسلام من الله تقينا وإياكم بركاته من جراثيم الفساد، وعوامل الاستبداد.

أما بعد: فإن واجب النصيحة يقضي علي أيها الأخ بأن نستوقفكم شيئا قليلا، في مراجعة ذلك المقال المنشور على صفحات الشهاب عدد «166» المعنون [ببدعة الطرائق في الإسلام]!... وقد كنت قبل أن نستوعب المقال بما فيه، ذهب الظن بي إلى أنكم تريدون محاربة ما لا يتفق مع الدين بحال، مما هو من عمل بعض الملتصقين بطريق القوم الصوفية، والتي لم يقل باستحسانها أي عاقل، كأكل بعضهم الحشرات واتخاذهم ضروب المعازف والشبابات وغير ذلك، وإذا أنت تنكر توقيت الأوقات، وتحديد الأذكار، وأخذ العهود والمواثيق على المريدين، قائلا: هي من البدع الضالة المنكرة التي لا أصل لها في الإسلام...! وهكذا كنت تبرق وترعد بكل ما لديك من الحول والطول، الأمر الذي أفادنا الذهول، واكسبنا الحيرة، على

أني ما كنت أظن، أن يبلغ الحال بمن ينتسب إلى العلم، إلى حد يصير معه ينكر وجود الضروريات، أو نقول تلتبس عليه الحسنات بالسيآت، نظير ما يؤخذ من كلامكم أيها الشيخ....

وإني لست أدري إلى الآن، هل ذلك هو ما تعتقدونه، أم دعاكم إلى القول به عدم الإطلاع؟ أم تريدون بذلك مجرد التشويش على الضعفاء من الناس، لأجل أن يتركوا ما التزموه على أنفسهم من الأذكار آناء الليل وأطراف النهار؟ ولما كان هذا الآخير لا تطاوعني نفسي أن نحملكم عليه، لأنه عمل **(من يعشو عن ذكر الرحمٰن)** « الزخرف : 36 » ولأنه بعيد كل البعد أن يتفق مع نسبتكم العلمية وصبغتكم الدينية، تعين عندي أن نحملكم على المحمل الأول، وهو وجود تقصيركم في المعلومات، وقلة اطلاعكم على الأصول والأمهات، وإلا لما صدر منكم نظير ما سطرتموه، ولكن قَلَّ أن يخلو الإنسان من وجود التقصير في شبه إدراكاته ومعلوماته، وليس عليه لوم، انما اللوم على من يجهل وجود التقصير فيه، فيحمله جهله بقدره على أن ينسب لنفسه الاحاطة بكل شيء، ولولا ذلك لما رأيتك أيها الأخ، تستدرك على المجتهدين الأولين، والصوفية العارفين، وليس ذلك فقط، بل تراهم مبتدعين ضالين مضلين، ولم ذلك يا ترى؟

لا لشيء، سوى أنهم وقتوا للذكر أوقاتا، الأمر الذي لم يجد له حضرة العربي بن بلقاسم أي دليل، ولا مستند في الشرع، فسبحانك هذا بهتان عظيم.

وكأني بكم يا حضرة الشيخ، ما صرحتم بهذا القول، حتى

تصفحتهم سائر الكتب والدفاتر، واستحضرتم سائر الأشباه والنظائر، فلم تجدوا ولو دليلا واحداً، ولا ما هو شبه دليل تستريحون إليه، وإلا للتمستم لهم المخارج، كما هو شأن العلماء العاملين، فإنهم يحملون دائما أفراد هاته الامة على المحامل الحسنة، مهما تسنى لهم ذلك.

وكأني بكم تقولون: إنهم يفعلون مثل ذلك فيما هو أهون، أما توقيت الأوقات إلى الأذكار، وأخذ العهود على التلاميذة، فليس هو مما تتسع له دائرة الشرع، ولكنه شرع العصر الاخير الذي قام يدعو إليه الناس حضرة العربي بن بلقاسم...!

أما الشرع الذي جاء به رسول العرب والعجم، ﷺ، فإنه لا يلتفت إليه، وحقيق أنكم لا تلتفتون إليه يا حضرة الشيخ، وإلا لعملتم بما يطلبكم به، فيمنعكم ذلك من أن تجردوا على الصوفية سيف العدوان وترموهم بالزور والبهتان، من غير أن تراقبوا الله فيهم حرمة، ولا للنبي فيهم ذمة، ولا استثنيتم منهم ولا واحداً، ولكنك لا تستطيع أن تستثني منهم ما دمت تراهم أنهم زادوا في الدين ما ليس فيه، بما ألزموا به أنفسهم وألزموا به أتباعهم من الوظائف التي ما أنزل الله بها من سلطان، يفعلون ذلك بعد ما أكمل الله دينه، وأتم نعمته على المسلمين...!

ولا شك أن أقوالكم تلك من جنس العصي والحبال، التي تخيل أنها تسعى! وقد فعلتم ذلك، وكانت لكم الغلبة حسبما اعترفتم به لأنفسكم عند حلولكم بمدينة خَنْشَلَة(1).

---

1) مدينة بالجزائر، ناحية الشرق.

ذكرتم يا حضرة الأخ: انكم نصحتم وحذرتم أهل تلك المدينة، وإنهم عملوا بنصحكم، وإني لا أنكر أن يجد الجزار لشفرته غِمَداً، ولا الصياد لكلبه جرذا، وعلى تقدير صحة ما أخبرتم به، فيصير المستمعون لنصحكم بُرَءَاءُ مما كان يجري على ألسنتهم من الأذكار، وينصحون بمثل ذلك إخوانهم وعشائرهم، ولا شك أن جميع ذلك وما ينشأ عنه في المستقبل، هو ثمرة جهودكم، فلتبشروا بهاته الخصال التي أجراها الله على أيديكم! إذ لولا وجودكم بين أهل خنشلة، وأهالي تَبَسَّة أيضا، لدام أكثرهم مقيدا بالأذكار، وقد انقذتموهم من ذلك الغل المثقل، فاحتسبوا أجوركم على الله...؟

ثم إن ما جئناكم به في هذا الباب، هو مجرد تمثيل للمقام الذي سلكتموه في ذلك الحين، بدون شعور منكم..! فواجب النصيحة يقضى على أن نمثله لكم تمثيلا، ليدرك جنابكم وَخَامَة الموقف، وخطارة السبيل، عساكم ترتدعون فتقلعون **(إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)** «الأعراف: 200».

على أن الظن فيكم جميل، فلا تحملني أيها الأخ في تذكيري هذا، إلا على النية التي دفعتكم أنتم لتذكير غيركم **(والأعمال بالنيات)**.

ولما كنت أظن بل أتيقن، أن ما حملكم على ما ارتكبتموه الا قلة التثبت فيما دلت عليه النصوص، وأتبتته القواعد، أراني ملزوما بإيراد جمل من الآثار، تقوم عندكم - إن شاء الله - مقام الدليل، وإلا فعلى الأقل تكون لديكم شبه الدليل على ما التزمه

القوم من توقيت الأوقات للذكر، وتحديده في بعض الأحيان، وأخذهم العهود على التلاميذة، عساكم أن ترتاحوا لشيء من ذلك، وعلى الأقل ترونهم ممن اجتهد فأخطأ فلا تبخسوهم حقهم من أجر الاجتهاد الذي وعدهم به نبيهم ﷺ، فإذا اجتهد المجتهد فأصاب الخ الحديث...

وفي ظني أن الانصاف يقضي عليكم بمثل ذلك، وعلى فرض أن يفوتكم أنتم فهو لا يفوت غيركم، ممن سيقف على هذا المكتوب، مهما كانت له مسكة من العقل، أو نصيب من التمييز.

على أن الأمر لا يحتاج إلى نظر، والمعنى أنه ليس مما يستعصى إدراكه، ولو تعصى علينا إدراك ما عليه القوم أن يكون من السنة، لكان ما استنبطه المجتهدون من بعض الأحكام أولى بالتعصي والاستبعاد، بأن يكون من السنة، لما ربما توجد في دلائلهم ما هو من طريق الخفاء.

أما ما عليه القوم، فلا شيء منه يلتبس على من له أدنى إلمام بعلم الرواية، وطرق الاسناد، على أن الحديث الشريف طافح بما يثبت بالصراحة ما اشتملت عليه طريق القوم، وسنورد في هاته العجالة ما هو من ذلك القبيل، ليعلم الواقف عليها مصداق الحديث، غير أني أرجوكم يا حضرة الأخ، أن لا تقف في صدر ما سأجلبه لكم من النصوص وقفة من لا يرى للشرع عليه سلطانا، وإني أذكركم بقولكم الذي كنتم سقتموه حيث قلتم: إن من المدون في علم العقائد والسنن، أن رد النصوص استهزاء بها، وايثارا لغيرها عليها كفر - والعياذ بالله - ولا شك أن ذلك مما

يبعد عن ساحتكم وساحتنا - إن شاء الله - بمراحل.

وعليه فلتتربص قليلا أو تتأمل كثيرا، ولا يحملكم حب الغلبة والتظاهر على رد ما هو أصرح من الصريح، وثق بأني لا أنقل لكم من النصوص إلا ما يعتبر عندكم - إن شاء الله - حجة، وعندنا محجة بناء على أن ما قلتموه من أنكم لا تنقادون إلا لما يؤخذ من الصحاح، ولما كان اعتراضكم منحصراً في مسائل ثلاثة:

- المسألة الأولى: توقيت الأوقات للأذكار.

- المسألة الثانية: تقييدها بالعدد.

- المسألة الثالثة: أخذ العهد على التلاميذة، وكان نظركم في جميع ذلك، أنها من البدع المنكرة التي لا يوجد لها أي أصل في الشرع ترجع إليه، ولا هي مما درج عليه السلف أيضا! ظهر لي أن نخصص هاته النقط بالذكر، ونستجلب لكم من النصوص ما نراه كافيا في الاستدلال، ومن الله الإعانة وعليه الاتكال.

فأقول: أما الذكر فقد جاء في كتاب الله تعالى ما يفيد الاطلاق، من جهة استغراق الزمان والمكان في الذكر، آناء الليل وأطراف النهار، غير أن ذلك الإطلاق، لا يمنع أن يوجد معه في الشرع ما يفيد تقييده في بعض الأوقات شبه الاسحار، والعشي، والإبكار. إما مراعاة لأحوال المكلفين من جهة فراغهم، وإما مراعاة لأوقات الإجابة من الله عز وجل، وإنه كثير ما حض الشارع على أوقات مخصوصة، يخبركم عن بيان ذلك التنزيل الذي تمرون عنه مصبحين، إذ منه استفاد رجال التصوف وأكابر العلماء وجه التخصيص لبعض الأوقات، فرغبوا المنتسبين إليها

في تعميرها، إما لضعفهم، وإما نظراً لأنها أوقات رغب فيها الشارع أن تكون معمورة، وثم رجال جعلنا الله وإياكم من أمثالهم، استغرقوا الزمان والمكان حتى قيل فيهم مجانين ومرائين، حسبما يخبر بذلك الحديث الشريف: **(أذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون)**، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يذكر الله على كل أحيانه حسبمارواه الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنهما.

ومع ما عزمت عليه من استجلاب بعض الأحاديث المثبتة للتوقيت، وتحديد الأذكار، قد يظهر لي أن عملي هذا أشبه شيء بمن يقول: السماء فوقنا، والأرض تحتنا، وما كان في الحسبان أن يفوتكم نظير ذلك، حتى نورده عليكم، وأنتم تتلون الكتاب بالعشي والإبكار، آناء الليل وأطراف النهار، ولو لم يكن بيدكم إلا قوله تعالى لنبيه ﷺ: **(واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا)** « الإنسان: 25 - 26 » لكان لكم في النازلة أقوى دليل، حيث أنه خصص هذين الوقتين بالذكر، وزيادة على ما في الكتاب، فإن السنة طافحة بنظير ذلك. أخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **(لئن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، أحب إلي من الدنيا وما فيها)** وفي حديث أخرجه أبو داوود أيضا: **(لئن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إلي من أن أعتق أربعا من ولد إسماعيل، ولئن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس، أحب إلي من**

أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل).

وفي نظير هذا، ما ورد في السحر أيضا، في الثلث الاخير من الليل، أخرج مسلم وأبو داود والنساءي عن أبي هريرة رضي الله عنه: **(أقرب ما يكون الرب من عبده في ثلث الليل الأخير، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن).**

وإذاً فأي شيء تفهمه يا حضرة الشيخ من تخصيصه ﷺ لهذه الأوقات؟ وهل لا يؤخذ من ذلك وجوب المحافظة من جهة تعميرها، بأنواع القربات، وأحرى الذكر المنصوص عليه؟ وهل ترى أن من فهم ذلك من الحديث، فألزم نفسه وأتباعه بتعميرها بشيء من الأذكار الواردة والدعوات الثابتة، يعتبر مبتدعا ضالا؟ فإن كان كذلك فقد هلكت الأمة عن آخرها، من عهد الخلفاء إلى يومنا هذا، على ما ذهبتم إليه يا حضرة الأخ، بناء على ما من مؤمن إلا ويلزم نفسه ومن له نفوذ عليه بتعمير تلك الأوقات، بما يراه صالحا، بناء على أن الدال على الخير كفاعله. وحديث **(لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه)** وهذا هو المتعارف من الدين في الغابر الماضي.

أما اليوم، فقد انعكست الحقائق، والتبست الطرائق، وإلا لما تخيلتم السنة في صورة البدعة، فقمتم تحاربونها بما في وسعكم، وتجلبون عليها بخيلكم ورجلكم، فاستبعدتم أن يكون تعيين الأوقات، وتقييد الأذكار من السنة، وها نحن قد نصصنا لك على المسألة الأولى بما يكفيكم حجة.

وأما مسألة تحديد الأذكار بالعد، فليست دلائلها بأقل وضوحا

مما قبلها، حسبما سأحشر لكم جملة من ذلك، مع علمي بأن الذكر ورد فيه أيضا ما يفيد الإطلاق، وورد فيه أيضا ما يفيد التقييد، كما تقدم في توقيت الاوقات، نظراً لأحوال المكلفين، أما أنتم فقد أنكرتم جميع ذلك يا حضرة الأخ بالمرة، من أن يكون في كتب السنة ما يدل على ذلك، وأنتم تمرون عنها مصبحين، وفيها ما يكفيكم قليله، ولو لم يكن من ذلك إلا مجرد أمره ﷺ، بذكر الباقيات الصالحات عقب الصلوات، لكان كافيا في جواز تحديد الأذكار، وظبطها بالعد، وتلقينها للعموم، لأن ذلك منه ﷺ يعتبر تلقينا، وإذا فهو أصل في النازلة، والمعتمد على أصل في الشرع لا يعتبر مخطئا، وهذا إذا عدمنا صريح النص، أما إذا كان بأيدينا ما هو أصرح في النازلة، فيكون أولى بالتنصيص عليه، ولهذا أراني ملزوما أن أذكر لكم ما هو من ذلك القبيل.

فأقول: أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، ومالك في موطاه واللفظ له، قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل ما جاء به، إلا أحدا عمل أكثر من ذلك)** وأخرج الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم في صحيحيهما، عن أبي ذر رضي الله عنه: **(ليس من عبد يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة**

البدر، ولم يعرف لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله إلا من قال قوله أو زاد عليه) وأخرج أبو نعيم والخطيب في رواية مالك، والديلمي في مسند الفردوس، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قال في كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، كانت له أمانا من الفقر، وأنسا من وحشة القبر، وفتحت له أبواب الجنة)** وأخرج البزار عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قال إذا أصبح وإذا أمسى لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر)** وفي الصحيح: أن من قال: **(لا إله إلا الله، سبحان الله وبحمده، في كل يوم مائة مرة، حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر).**

فانظر يرحمك الله إلى ما ورد من العدد المقيد في كلمة الإخلاص من الترغيبات، ونظير ذلك ما ورد في الاستغفار وفي غيره من بقية الأذكار. أخرج ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد حسن: **(ماأصبحت غداة قط إلا استغفرت الله مائة مرة)** وأخرج الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية عن سلمان الفارسي رضي الله عنه: **(ما من عبد ولا أمة استغفر الله سبعين مرة إلا غفر الله تعالى له سبعمائة ذنب، وقد خاب عبد أو أمة عمل في اليوم والليلة أكثر من سبعمائة ذنب)** وأخرج أحمد والدارمي والترمذي، وحسنه

ابن السني والطبراني في الدعاء، والبيهقي في شعب الإيمان، عن معقل بن يسار رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **(من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه، حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، وإن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة)** وأخرج ابن مردوية في تفسيره عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **(من تعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاث مرات، ثم قرأ آخر سورة الحشر، بعث الله له سبعين ألف ملك يطردون عنه شياطين الجن والانس حتى يمسي).**

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **(من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر)** وروى أبو داود في سننه بسند جيد عن النبي ﷺ أنه قال: **(من قال حين يصبح: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدا عبدك ورسولك مرة، أعتق الله ربعه من النار، أو مرتين فنصفه، أو ثلاثة فثلثه، أو أربعا فكله)** ويقال في المساء: (اللهم إني أمسيت بدل أصبحت لأنه المناسب). وأخرج الطبراني في الأوسط، والخرائطي وابن مردوية، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قال إذا أصبح: سبحان الله**

وبحمده ألف مرة، قد اشترى نفسه من الله، وكان آخر يومه عتيق الله).

أو ليس هذا بكاف يا حضرة الشيخ، في إقامة الحجة على كون تحديد الأذكار ببعض العدد، وتوقيت الأوقات لها، كالغدو والآصال، هو من مدخول الأوضاع الشرعية، والتعاليم النبوية؟

وقد كان في ظننا أن فضائل الأعمال تثبت بأقل من هذا، كما هو المنصوص عليه، بخلافه في الأحكام، وعلى تقدير ذلك، وعلى اعتماد ما ورد، فأي محظور يلزم إذا دل المرشدون تلاميذتهم على فعل بلغهم عن النبي ﷺ الترغيب فيه، ووعدهم على ذلك أجورهم كاملة، ثقة بما وعدهم به نبيهم ﷺ، فهل ترون في ذلك من بأس يقضي بعقوبتهم من الله فيما ارتكبوه؟ قل لا أشهد. وتعالى الله عما يقول الظالمون.

يقول حضرة العربي بن بلقاسم: انه لم يرد عن النبي، ولا عن السلف ما يشبه هذا التلقين الذي تفعله الصوفية مع تلاميذتهم! وإذا فما ذا عساني أن نفحم من لا تفحمه هاته النصوص؟

أتظن يا حضرة الأخ، أن القوم الصوفية رضي الله عنهم، يقدمون على شيء قبل أن يعلموا حكم الله فيه، حتى قاموا يفعلون شيئا لم يأذن الله ورسوله به، ولا هو مما له علاقة بالشرع البتة؟ على أن في استطاعتي أن نجلب لكم من الآثار ما يفيدكم بالصراحة من كون النبي ﷺ، كان يلقن البعض من أصحابه على الكيفية التي أنكرتم أن يكون لها وجود في الشرع، وهذا زيادة على ما تقدم من الإذن المطلق منه ﷺ في الأذكار

المحدودة بالعدد، المقيدة بالأوقات. أخرج الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**كبري الله مائة مرة، واحمدي الله مائة مرة، خير لك من مائة فرس ملجم مسرج في سبيل الله، وخير لك من مائة بدنة، وخير لك من مائة رقبة**) قال ذلك لبعض الصحابيات رضي الله عنهن.

وأخرج النسائي والبزار والحاكم وابن أبي الدنيا والمستغفرى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة الزهراء رضي الله عنها: (**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، فأصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**) وأخرج المستغفرى عن «علي» رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**قل إذا أصبحت وإذا أمسيت، ثلاثا: بسم الله الرحمٰن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإنها شفاء من تسعة وتسعين داء، أدناها الهم**) وفي الصحيحين أنه ﷺ، أمر البراء بن عازب أن يقول عند منامه: (**رب إن قبضت روحي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**) وأخرج البزار عن أبي المنذر الجهني قال: قلت يا رسول الله، علمني أفضل الكلام قال: (**قل لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، مائة مرة في كل يوم، فإنك يومئذ أفضل الناس عملا إلا من قال مثل ما قلت**).

أوليس هذا يا حضرة الأخ ما يفيدك اليقين، في كون النبي

ﷺ كان يلقن أصحابه من الأذكار الموقتة المقيدة، نظير ما أنكرتموه من أعمال المتصوفة؟

وفي ظني أنك لا تنكر كون الكثير من الصحابة كانوا ملازمين على أورادهم المقيدة، وداموا على ذلك مدة حياتهم، كل ذلك مما استفادوه من تعاليم النبي ﷺ، وأنه كثير ما كان ﷺ يحضهم على ذلك، ويرغبهم فيما هنالك. أخرج الطبراني في الكبير، من حديث أبي ذر والحاكم، وصححه ابن حبان، قال: قال رسول الله ﷺ: **(من كان عليه ورد من صلاة أو صوم أو غيرهما، فمنعه منه مرض أو هرم أو سفر، كتب له الأجر تاما).**

وإذاً فقل لي بربك، وأنصفني بشرفك، ما ذا ترى يا حضرة الأخ في هاته النصوص؟ وهل يحسن بأمثالكم أن يضربوا بها وجه الحائط، أو يرغبوا عنها، أو عن القول بها، بناء على أنها لم توافق أهواءهم، أما المؤمن فحقه أن لا يكون له هوى يقارع به نصوص الشريعة، وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: **(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به).**

أيها الأخ، فإن التلقين قد ورد عن النبي ﷺ من عدة طرق، وبكيفيات مختلفات، منها ما كان يعمم فيه، ومنها ما كان يخصص، وبالتعميم أخذ البعض من رجال العلم وعامة المتصوفة، وبالتخصيص أخذ البعض من رجال التربية، ولكل سند يعتمد عليه، ومما في علمكم أن السند هو من خصائص هاته الأمة، وهو ما بنيت عليه دعائم دينها، فالتجريح فيه، وعدم التعويل عليه، مما يهدم عظيم مجدها، وقواعد أركانها، وإليكم

كيفية من طريق التلقين الخاص، أخرج الجلال السيوطي وغيره من طرق متعددة حسنٌ أسانيدها عن « علي » كرم الله وجهه قال: سألت رسول الله ﷺ: دلني على أقرب الطرق إلى الله عز وجل، وأسهلها على عباده، وأفضلها عند الله تعالى؟ فقال ﷺ: (**يا علي، عليك بمداومة ذكر الله سرا وجهراً**، فقال علي: كل الناس يذكرون الله، وإنما أريد أن تخصني بشيء، فقال ﷺ: **يا علي أفضل ما قلته أنا والنبيؤون من قبلي: لا إله إلا الله، ولئن السموات السبع والأرضين السبع وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت لا إله إلا الله. ثم قال ﷺ: لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله، الله.** فقال علي: كيف أذكر يا رسول الله؟ فقال ﷺ: **غمض عينيك، واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع**).

وإذا فهل يحسن منك يا حضرة الأخ مع وجود هاته الأحاديث المتواترة والنصوص الكثيرة، ترى أن القوم الصوفية قد ابتدعوا وأحدثوا في الدين وابتكروا، والحق أنه (**ما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا**) « البقرة: 102 ».

ثم إني بعد ما فرغت من تبييض هاته الجمل راجعت ما قد كتبه الغربي بن بلقاسم، وإذا به قد ساق فيه من الدلائل ما يثبت وجود التقييد في الأذكار، وتوقيت الأوقات لها، بكيفية موجزة، وعبارة مختصرة، تكفي في إثبات ما قد كان نفاه من قبل، ولو كنت مستحضراً ما قد كان ساقه حضرته في النازلة، لاكتفيت بذلك، وغاية ما نفعل أن نحيله على نقله ونحكمه

لعقله، أو إلى غيره ممن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وإلى القارىء ما أثبته هذا الأخ. قال حضرته بعد ما استطرد عدة أحاديث، في فضل الذكر والذاكرين، جديرة أن تكتب بماء الذهب، ختم التقرير بما نصه قال: أخرج البخاري عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **(مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، كمثل الحي والميت)** وقد كان بوب رجال الصحاح للدعوات والأذكار أبوابا وفصولا جمعوا فيها ما ثبت عن رسول الله ﷺ من الأذكار والدعوات، وما دار بها لا مطمع لي في تسطيره، وقد اعتنت الأئمة عناية فوق هذه، وألفوا كتبا صحاحا في عمل اليوم والليلة، رووا فيها ما ثبت من الأذكار والأدعية، بأساندها، فمن هذه الكتب «عمل اليوم والليلة» للإمام ابن عبد الرحمن النسائي، وكتاب الإمام أبى بكر أحمد ابن محمد بن إسحاق السني، وكتاب الإمام النووي وغيرها مما هو معروف، وقد أتوا على حالات الإنسان وتاراته اليومية والليلية، وساقوا فيها من أحاديث وآثار الخ. هذا ما ساقه حضرة الشيخ بنصه وفصه.

ونحن نقول لهذا الأخ: فإن كان قد ثبت عندكم كون السلف نقلوا عن النبي ﷺ ما هو كاف في إثبات مشروعية الأذكار المحدودة في الأوقات المعينة، حتى قيدوا ذلك بعمل اليوم والليلة، فألفوا في ذلك تآليف وصنفوا فيها تصانيف، ففيم هذا التهارش، وعلام هذا التناجش؟

وهل زاد الصوفية على أكثر من أنهم قيدوا بعض الأذكار بالصبح والمساء، والليل والنهار؟ فلتراجعوا يرحمكم الله ما

نفيتموه، وما اثبتموه، فعساك ترشد فتعجل إلى الله بالإنابة، **(إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)** « النساء : 16 » فإن نازلة كهذه يا حضرة الأخ، يتأتى للإنسان أن يدرك منها تصرفات الله التي يجريها على مسترذل طريق القوم، الطاعن في إرشاداتهم، فإنه بعد ما يفرغ ما في وسعه، ويبذل ما في قصارى جهده، لم يزد على أن يفضح نفسه بنفسه، سنة الله التي في المغرضين، **(يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين)** اللهم تجاوز عنا وعن كتابنا فيما يكتبون، فقد رأيت حضرة العربي بن بلقاسم التبسي في هاته النازلة، ممن يستوجب الرحمة من الرحماء، وكيف لا يستوجبها من يستطرد في كتابته كل ما له وعليه، هكذا يفعل فاقد الرشد بنفسه أكثر مما يفعل العدو بعدوه.

أما ما قد كنتم أنكرتموه من أخذ العهود والمواثيق عن المريدين، فظهر لكم أن جميعه مخالف للسنة، فإنه يجري فيه من الاستغراب نظير ما مر في تحديد الأذكار، ولكن لا يستغرب نظيره ممن كانت نيته مجرد إدخال الشكوك على الضعفاء، ليتركوا ما عاهدوا الله عليه، ونذروا على أنفسهم الوفاء به، وإني دائما أنزه حضرتكم على أن يكون العمل منكم بتلك النية، ولكن ضيق العبارة ومقتضى السياق، يدفعني لشبه تلك المعاملة.

وهب يا حضرة الأخ، أنه لم يوجد أي أصل في الشرع يستند عليه في هذا الباب، فأي مفسدة تترتب إذا أخذت العهود الخاصة عن العامة، أن لا يعثوا في الأرض فسادا، وأن لا يتعدوا حدود الله، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وغير ذلك مما هو من

قبيل جلب المصالح، ودرء المفاسد، فهل ذلك العمل مما يزاحم مقاصد الشرع؟ كلا! إنما حقه أن يعتبر من الشرع بمنزلة الروح من الجسد، ولو أن علماءنا وصلحاءنا تظافروا جميعهم على أخذ العهود من العامة على امتثال الأوامر، واجتناب المناهي، وحسم المنكرات، وقام كل بواجبه بين قومه وعشيرته، فهذا في بلده، والآخر في قريته، لأصبح الدين بين قومنا غضا طريا، كما أمسى اليوم من بينهم رثا بالياً.

وقد ظهر لي أن هذا مما يستحسنه العقل، ويثبته الشرع، لو لا أن حضرة العربي بن بلقاسم رآه من قبيل البدع المنكرة التي لا يوجد لها أصل، ولا هي من عمل المؤمنين أيضا...!

فما أجسره من رجل يقول هذا! وهو يقرأ قوله تعالى: (**يا أيها النبيء إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن، ولا ياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصينك في معروف، فبايعهن**) «الممتحنة: 12».

فتأمل قوله: (**إذا جاءك المؤمنات**) فإنه لم يقل: إذا جاءك الكافرات، وهو قادر على أن يقول ذلك، ولكنه تنصيص على أن تبقى البيعة سنة جارية بين المؤمنين والمؤمنات، تؤخذ من عامتهم لخاصتهم؟

كل هذا وحضرة العربي بن بلقاسم يقول: انه لا يوجد أي دليل في الشرع يبرر عمل المتصوفة فيما يفعلونه من أخذ العهود، وغير ذلك!

وعلى فرض أنه لم يتضح عندكم أيها الأخ في النازلة ما هو

وجه الدليل، كان الواجب يقضي عليكم بالتأمل، حتى تدركوا ما هي أقوال العلماء في ذلك، فتتكلموا إذ ذاك على بصيرة، لأن المسألة لم تكن من المسكوت عنها، وقد نص على ذلك الكثير من العلماء، وأغلب المحدثين، وقل أن تجد مفسرا لم يتعرض للبيعة، وأخذ العهود من العامة وعلى الأقل كنت تجعل ذلك من قبيل المختلف فيه، فلا تجزم بأنه لا يوجد له دليل بالمرة، وكأني بك تقول: إنه لم يقل أي عالم بذلك، وهذا بعد ما أغفلت ما جاءت به السنة، وأثبته الأصل حسبما تقدم، من أن النبي ﷺ كان يأخذ العهود عن العرب، ويأخذ عن الصحابة، كل وقت بما يناسبه، وإذا فما هو المانع أن تقوم العلماء مقامه ﷺ، في أخذهم العهود عن المفرطين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون؟ قال تعالى: (**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**) «آل عمران: 104». بناء على أن العلماء ورثة الأنبياء.

ذكر العلامة ابن الحسن، في شرحه: «عون الباري في أدلة البخاري» آخر تفسير عبادة بن الصامت ما نصه: فالبيعة على أقسام، إلى أن قال: وكذلك بيعة التمسك بحبل التقوى، كانت متروكة، أما في زمن الخلفاء الراشدين فلكثرة الصحابة الذين استناروا بصحبة النبي ﷺ، وتأدبوا في حضرته، فكانوا لا يحتاجون إلى بيعة الخلفاء، ومع ذلك لم يكونوا فارغي الذمة، فبيعة الخلفاء دامت في رقابهم، إلى أن لقوا الله، وأما في زمن غيرهم فخوف من افتراق الكلمة، وأن يظن بهم مبايعة الخلافة، فتهيج الفتن، ثم لما اندرس هذا من الخلفاء، انتهز أكابر العلماء

والمشايخ الفرصة، وتمسكوا بسنة البيعة...) اهـ.

ونقل الشيخ اسماعيل حقي في تفسيره «روح البيان» عند قوله تعالى: (**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**) «الفتح: 10» ما نصه: «تبين بهذا سنة المبايعة، وأخذ التلقين عن المشايخ الكبار، وهم الذين جعلهم الله أقطاب الإرشاد، بأن أوصلهم إلى التجلي العيني بعد التجلي العلمي». ونظير هذا ما نقله الصاوي أيضا في الآية نفسها قال: «وإن كان سبب نزولها بيعة الرضوان، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، فتشمل بيعة الإمام على الطاعة والوفاء بالعهد، ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله، والتزام شروطه وآدابه، ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية تلاوة هاته الآية عند أخذ العهود عن تلاميذتهم وهو من السنة».

وهذا ما كنا نعلمه من أقوال العلماء المحققين في حكم البيعة، وأخذ العهود عن المريدين، ولا واحد يتسنى له أن يقول كون البيعة لا أصل لها في الشرع، غير ما بلغنا عن حضرة العربي بن بلقاسم، حتى أن «صاحب المدخل» وما هو عليه من شدة الوطأة على المتصوفة وغيرهم من طبقات الأمة، فإنه جاء في الجزء الثاني في كتابه «المدخل» قال بعد كلام في الموضوع: «ولا يظن ظان، أن ما تقدم ذكره فيه إنكار لأخذ العهد من أهله لأهله، بشرطه المعتبر عندهم، إذ أنه عليه درج السلف الصالح، نفعنا الله بهم، ولا ننكر أيضا الانتماء إلى المشايخ بشرطه» فتأمل يرحمك الله!

ثم إن الذي ساءني بوجه خاص، ما استطردتموه في سياق الاستدلال من كلام أبي اسحاق الشاطبي، وكأني بكم تريدون

بذلك التدليس على خالي الذهن حتى يعتقد ما تعتقدونه أنتم في المتصوفة، من كونهم ضالين مضلين، برأهم الله مما تقولون، ولهذا أراني ملزوما باستطراد بعض الجمل، مما ينقل عن الشاطبي في المتصوفة، ليعلم الواقف على ذلك مكانة رجال التصوف عند سلف الأمة، والشاطبي كغيره لا يقول فيهم إلا ما تعتقده الأمة قاطبة، وكأني بالقاريء يقول : ما ذا عسى أن يقول في المتصوفة ؟ فأقول : إنه يُجِلّهم وينزلهم منزلتهم التي نزلهم الشرع إياها، ونقتصر من ذلك على جمل من كلامه في الموضوع التي غصت بها دفاتره، فإنه ذكر في « موافقاته » ما نصه : « الصوفية حجة في علومهم، وهم صفوة الله من خلقه باتفاق » هكذا بلفظه. وذكر في الجزء الرابع من « الموافقات » أيضا بعد كلام : « فإن الذي يظهر لبادي الرأي منهم - يعني الصوفية - أنهم التزموا أمورا لا توجد عند العامة، ولا هي مما يلزمه الشرع، فيظن الظان أنهم شددوا على أنفسهم، وتكلفوا ما لم يكلفوا، ودخلوا على غير مدخل أهل السنة، وحاشا لله ما كانوا ليفعلوا ذلك، وقد بنوا نحلتهم على اتباع السنة، وهم باتفاق أهل السنة صفوة الله من خلقه ».

فتأمل يرحمك الله قول الشاطبي، ومعتقداته في رجال التصوف، وأنتم إذا كنتم تعترفون للشاطبي بصحة النقل، ووفور العقل، كما رأيناكم تستدلون بحديثه، فعليكم أن تتبعوه في ما هو صريح في النازلة، فتعتقدوا في رجال التصوف ما يعتقده، فتسلم بذلك طويتكم من الطعن في أعراض أقوام خصصوا أنفسهم لنسبة الله، حتى عرفوا بأهل الله، فإن يكن الواحد منهم

(كاذبا فعليه كذبه ، وإن يكن صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) « غافر : 28 » به ، فهذه نصيحتي لكم نأمل منكم قبولها ، اعتمادا على ما قد كنتم ذكرتموه في مقالكم ، حيث قلتم ما نصه : فإني أقبل كل من يبين لي فساد ما ذهبت إليه ، وأعده أخاً لي ناصحا ، وأذكره بقول من قال : « رحم الله امرءا أهدى إلينا عيوبنا » .

وعليه فلتعتبرني بموجب هذا المكتوب ، أخا لكم ناصحا ، وعلى المودة والسلام . اهـ .

الرسالة الثالثة

أخبرني من يوثق بخبره أن حضرة الشيخ سيدي محمد مناشو - رحمه الله - قد كانت له جماعة توانسه وتسامره في أغلب الأحيان ، وكانت تطلق ألسنتها في الأستاذ - رضوان الله عليه - وهو الأمر الذي بعث الشيخ سيدي محمد مناشو على مكاتبة الأستاذ اعتمادا على أقاويل بطانته ، ولما بلغه كتاب الأستاذ هذا قيل إنه تأثر له أيما تأثير ، واعتزل جماعته أياما ولم يرجع إليهم حتى وفدوا إليه بمنزله الخاص ، فاستفسروا حاله في تجافيه عن مجالستهم ، فقرأ عليهم كتاب الأستاذ ، فانصفوا من أنفسهم جميعا . ثم إن الشيخ سيدي « محمد مناشو » بعث برسالة إلى الأستاذ كانت كلها مملوءة بالتعظيم والتبجيل ، والندامة عما صدر منه ، شأن المنصفين الأبرار ، والعلماء الأخيار . قال مولانا الأستاذ رضوان الله عليه :

إلى جناب المحترم، أخينا في الله الشيخ سيدي « محمد مناشو » المدرس بجامع الزيتونة - عمره الله - عليكم رفيع السلام، وعلى أهل دائرتكم بالتمام، هذا سيدي، قد بلغنا مكتوبكم فتصفحناه، وبعين الانصاف لاحظناه، فوجدناه كفيلا بالغرض المومي إليه، محضتمونا النصح فيه، لا أحرمنا الله وإياكم من الانتفاع به، غير أنه قد تجاوزتم في بعض الجمل، وكل ذلك لذيذ مقبول، إن قصدتم إصلاحا **(إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يوتكم خيراً)** « الأنفال : 70 » وإني وجدت غاية ما استفسرتمونا من أجله تنحصر في ثلاث جمل:

- **الجملة الأولى:** تخبرنا فيها بأننا فتنا العموم، فيما أذعناه فيما بينهم من الحقائق، فكأننا ألزمناهم بتعاطي ذلك، وهذا سيدي على خلاف ما اعتقدتموه، فإننا ما ألزمنا العامة إلا ببعض أذكار وأدعية، وعقيدة سهلة بسيطة للغاية، قد طبعت في هذا الحين تسمى: (القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول). وأما أسرار الخصوص، فلم تزل ولن تزال حبسا على الخصوص، توخذ بشروطها، غير أننا اختلفنا في الخصوص من هم؟ فقد عبرتم عنهم بأهل العلم الظاهر، ونحن نعبر عنهم بالمتقين.

- **الجملة الثانية:** ذكرتم في مضمونها، أن في إنشادنا من الألفاظ ما لا يخرج عن القول بالحلول أو الاتحاد، إلا بالتأويل البعيد، وهذا أيضا ينظر فيه، لأنك إما أن تريد معارضتنا شخصيا، وإما أن تريد بقولك هذا تحقيق المذهب من جهة مصطلح القوم، وما بنيت عليه قواعدهم، وهذا قد حصل فيه من الأمة المحمدية ما يقرب من الاجماع من جهة تسليمهم للقوم في شطحاتهم، وان

القوم أنفسهم لا يكلفون الناس العمل بمقتضى شطحاتهم، فهي عندهم إلى الرد أقرب منها إلى الأخذ، وعلى هذا فلا يبعد أن يكون ما صدر منا داخلا فيما قبله، وإن أردت أن تستصغر ما سمعته منا، فلتطبقه على ما قبله من أقوال غيرنا، ثم تحكم بمقتضى الإنصاف، وحتى لو قلنا قصدت ذلك على احتمال، فلا يتسنى لكم أن تفردوا لنا حكما بالخصوص، بدون ما يصدق على كل من يشاركنا في القول المحكوم به علينا، وقبل هذا يتثبت الحاكم بأن لا يتعجل بالحكم، قبل أن يتخيل أفراد المحكوم عليهم من سلف الأمة وخلفها.

- **الجملة الثالثة** قلتم: بأننا اقترفنا من الإساءة أعلاها في تعبيرنا بألفاظ لا تصلح أن نواجه بها الجناب الرفيع. وكنت أظن أن المؤاخذة تكون باعتبار القصد، لا بمقتضى اللفظ **(لا يواخذكم الله باللغو في أيمانكم)** «البقرة: 225» ثم إن القصد قد يظهر بالقرينة على ما يعطيه سياق الكلام، فليضم القاريء ما قبله لما بعده، ثم ينظر ما يقتضيه المقام، وما هذا الحامل، هل هو فرط الشوق، أم هو محض الجفاء؟ وحتى لو قلنا إن البيتين مجردتين بقطع النظر عما قدمناه، وعمن يرتكب أحسن التأويل، يظهر فيهما ما يستثقل، كنت ترشدني إلى حذفهما ولو بأقل إشارة، فلربما تجدني أسرع المدعوين امتثالا، لأنهما ليستا من قبيل التنزيل، يتعذر حذفهما أو يصعب الإعراض عنهما، وإلى الآن نصيحتكم لم تذهب أدراج الرياح، فيما يتعلق بالأخير.

وفي ظني، أن الحامل لكم على مكاتبتنا بتلك الصفة، هي

رسالة الشيخ عثمان بن المكي (1)، وها أنا أذكر لك الحامل لي على ما كتبناه، وإنه لا شيء، إلا عدم محاشاته ولو واحدا من المنتسبين، زيادة على ما علقه بقوله: «إن كل من تظاهر بالصلاح، إلا وغرضه أكل أموال الناس بالخيانة والتدجيل» وما هو من هذا القبيل، ولا شك أن في انسحاب هذه النظرة على سلف الأمة، ما يؤول بقبح الاعتقاد في خواص أفرادها، إذ لولا التظاهر بالصلاح، لما عرفنا مالكا، ولا الأشعري، ولا ولا.. فبهذه المناسبة، كان لا شيء أولى بالتنبيه عليه من هذا المضمون، وبعد الفحص عن أحوال الشيخ، والتنقيب على سيرته، ظهر لي أنه ربما تكلم بخلاف ما اعتقد، لأن تعفف المرء حسبما بلغنا عنه، يمنعه من سوء الظن في أهل النسبة عموما، ولعل الداعي له هو ما رآه من سوء أفعال المتداخلين بين أهل النسبة، وما أحدث فيها المحدثون، ولا شك أننا ممن يشاركه في ذلك، على أن نسير في خط مستقيم تجاه المومى إليهم، ولنحترز من كل لفظ يوهم التعميم. والحق أن الكاتب مهما حاول التخلص من عثرات القلم، لا يتمكن له ذلك، وإن مع التثبت بالعلم، وأحرى إذا كان ممن يخامره ما لا تتحقق معه السلامة غالبا، كأرباب الأحوال، فإياك أخي أن تظن أن ما يصدر منهم، مما يوهم تنقيص بعض المراتب مقصود لهم، فحاشا لله، إنما المقام يدعوهم أحيانا إلى كلام يفهم منه عكس المرمى، إما لضيق العبارة، وإما لفرط المحبة، وإما وإما...

---

1) أنظر كتاب الأستاذ: «القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف».

وهل تظن أن المؤمن يقصد إذاية من الإيمان يتوقف على مودة أهل بيته، زيادة على احترام ذلك المنصب الشريف، كلا ! إنما تجري رياح المحبة بما لا تهوى سفن المودة، وحتى لو قلنا إن ما يصدر منهم قد يكون فيه ما يتضمن الإساءة، فمن المحتمل أن يجري على حد قوله ﷺ : **(إن من بعض البرور عقوقا)** ولم ندر هل العبد يجازى بالعقيدة أم بما يتضمنه اللفظ ؟ وهل ترى أنكم قصدتم في رسالتكم المبعوثة إلينا ما يؤذي النبي ﷺ أم ما يرضيه؟ ولا شك أنكم تريدون المحافظة على احترامه بكل وسع، فما بالكم جئتم بألفاظ هي بالإساءة أشبه منها بالإحسان إليه؟ وإليك وجه المؤاخذة.

أليس أنك بعد ما ذكرت الخصوص من الأمة المحمدية بكل اعتبار، قلت : [فلا نعني بالخصوص إلا أهل العلم الظاهر، ولا نعني بالعموم إلا الأميين] فيظهر من قولكم صريحا أن الأمية عندكم أحقر صفة محيطة بجميع أفرادها، والحق يقول : **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم)** « الجمعة : 2 » الله، الله، إذ لا يتأتى الإخراج بعد الإدخال، إلا من قبيل قوله تعالى : **(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم)** « البقرة : 225 » ثم إنك قلت بكل جراءة، بعد كلام فيه من التهديد أقصاه : [وما يغني عنك نسبك] ! بدون ما تجعل للوصلة ولو أدنى اهتمام كيفما كانت، ويشهدك الله أهذه القولة هي أشبه بالجفاء أم بالملاطفة ؟ وأي إذاية أبلغ من قولك : [وصلة لا تغني من الله شيئا] ؟ وفي ظني أنها لو لم تغن مع الإيمان والتقوى بقدر الإمكان، لما أمرت بالصلاة عليهم والمودة إليهم **(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما**

ترك عليها من دابة) « النحل : 61 » وما ذكرنا هذا ، إلا لنعلم أن المنتقد يرى خلاف ما يرى المعتقد ، فله أن يستخرج الشيء من ضده ، والباطل من عكسه ، ومن ذلك قول الإمام « علي » كرم الله وجهه : « فلننقبن الباطل حتى يظهر الحق من جنبه » أسأل الله أن يعرفنا الحق وأهله ، ويحفظنا وإياكم من الزلل ، ويوفقنا وسائر المسلمين لصالح القول والعمل ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الرسالة الرابعة

فيما كاتب به أحد رؤساء المراكز التبشيرية بالمسيحية ، كان قد اجتمع به على متن الباخرة في سياحته إلى افتتاح مسجد باريس ، وكان سبب معرفته به ، أنه سأله لماذا الإسلام يمنع المسلمة أن تتزوج بالكتابي ، ولا يمنع المسلم من التزوج بالكتابية ؟ قال له الأستاذ رضي الله عنه : لأن المسلم إذا تزوج بالكتابية ، فهو يحترم دينها ورسولها ، ويعتقد أنه رسول الله ، كعيسى وموسى عليهما السلام ، وأما الكتابي إذا تزوج بالمسلمة ، فهو لا يحترم تعاليم دينها ، ولا رسولها ، وإذاً فالمعاشرة بينهما لا يتم ودادها غالبا ، والمودة بين الزوجين أصل من أصول الحياة ، فلا بد من المحافظة عليها .

قال رضي الله عنه :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، إلى جناب الراهب الواجل ، والمسيحي الفاضل ، السيد يعقوب

القسيس، المقيم لبث دعوة التبشير المسيحي بمدينة « الجلفة » أرشدنا الله وإياكم إلى الصواب، وعرفنا الحق حقا، وألهنا إليه المآب.

هذا أيها المحترم، قد كنت تشرفت بكتابكم، الذي فاجأتمونا به، فلكم الفضل من أجل ذلك، وقد ذكرتمونا بتلك السويعات التي قضيناها ونحن على متن الباخرة في تجاذب أطراف الحديث، فيما يعود نفعه على عموم الخليقة في العاجل والآجل، وقد وجدتكم رجلا يمثل العطفة المسيحية، بما ينويه من الخير لأبناء البشر، شبه من يريد أن يسير طبق التعاليم المسيحية، حذو النعل بالنعل، ويا حبذا لو تمكنت تلك العطفة في جميع من ينتمي إلى رسول الله المسيح عليه السلام، ولكن الكثير على البعد منها بمراحل.

أيها المحترم، إننا لا ننكر ولا ينكر غيرنا ما للمسيح عليه السلام ولخاصة أتباعه، من رفيع الأخلاق، ورقة الطبع، وتمام الشفقة، ولكن هل توجد تلك الشمائل بين عموم المبشرين بدينه، وعلى الأخص من ذلك مبشري «البروتستانية» لا، لا، فما بلغنا عن أكثرهم إلا ما يجري على نقيض تعاليم المسيح، ولا يخفاكم أيها المحترم، من كون المسيح عليه الصلاة والسلام، كان يقول: (**صلوا مبغضكم**) أما هؤلاء فإنهم يسؤون لمحبهم، فضلا عن مبغضهم، ولا يفوتكم أيها المحترم، ولا يفوت غيركم، ما جاءت به التعاليم الإسلامية، وما قام به نبي الإسلام، وكيف كان سلوكه مع المسيح عليهما السلام.

يقول ذلك النبي المعظم، على لسان ربه، في حق المسيح:

إنه **(رسول الله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه)** «النساء : 171» ويقول في أمه إنها صديقة، وأنت إذا تأملت ما أثبته محمد ﷺ على لسان ربه للمسيح، بالنظر لما قالته اليهود فيه، أدركت مقدار قيمة إحسان الإسلام، ثم تأمل في أسلوب دعوة الإسلام التي كان يرتكبها مع المسيحيين، تدرك مقدار تلك النزاهة. قال الله لنبيه ﷺ : **(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله)** «آل عمران : 64».

ثم تأمل مقدار عطفة الإسلام على مسيحي زمانهم، وكيف كان المسلمون يحزنهم ما يحزن الكتابيين، وعلى الأخص النصارى، ويشهد لهذا ما لحق المسلمين من الغم لما انكسرت النصارى في حربهم مع الأكاسرة، وكان هؤلاء الأخيرون على دين المجوسية، فأنزل الله على المسلمين ما يسليهم عما أصابهم من الحزن، بقوله تعالى : **(آلم غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)** «الروم : 1» كل هذا كان الإسلام يعامل به المسيحيين، وفي استطاعته أن يعاملهم به الآن، ما داموا مسيحيين، ولكن البروتستانيين عاملوا الإسلام، وعاملوا نبي الإسلام، بنقيض الإحسان، وبسائر أنواع الشتائم والسباب، فعلوا ذلك جزاء على ما قام به محمد مع المسيحيين، مما قدمنا ذكره وما لم نقدمه.

لا يفوتكم أيها المحترم، ما تقوم به تلك الطائفة، من نشر

مؤلفاتها ومحاضراتها، وما تحويه تلك المؤلفات من ساقط الألفاظ، وفحش القول، فهي لم تترك أسلوبا في تنقيص نبي الإسلام إلا ارتكبته، وبذلك الموجب لا تراني متغاليا إذا قلت لكم: ان هؤلاء المبشرين مسوا الإسلام في أرق عطفته، ولكموا افئدة أبنائه، بما جعل المسلمين يتساءلون عما كانوا به مستوجبين تلك المعاملة؟ وما هو ذنب محمد مع المسيح الذي جرّ له من أتباعه تلك الإهانة؟ فهل هو ذكره له بالنزاهة، ولأمه بالصديقة، ولأتباعه بالرحمة والرهبانية، أم ما هو ذنبه وذنب أمته؟

إني لا أكتمكم أيها المحترم، من أن كثيرا من أبناء الإسلام، صدورهم متحرجة من معاملة البروتستانيين لنبيهم بتلك الإهانة، وهو الأمر الذي بعثني على أن نبسط لكم ما نراه متعينا بسطه لأمثالكم، على أني لا أقول في الكاثولكيين أنهم ارتكبوا في تبشيرهم ما ارتكبه البروتستانيون، ولا أعتقد أيضاً كونهم تسرهم تلك المعاملة من البروتستانيين مع المسلمين، ولا أظن أنهم يعتبرونهم مبشرين، أما أنا فإني لا أراهم إلا منفرين لا مبشرين، ومسيئين لا محسنين، ولربما قلت إنهم ليسوا بمسيحيين على الجملة، وهذا بشهادة القرآن والانجيل معاً.

أما شهادة الإنجيل، فإن المسيح عليه السلام كان يقول لأتباعه: **(صلوا مبغضكم)** وهؤلاء ما استطاعوا أن يصلوا محبهم فضلا عن مبغضهم، وأما شهادة القرآن من كونهم ليسوا بمسيحيين، فإنه أثبت وجود المودة من المسيحيين مع المسلمين فقال في أتباع المسيح: **(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا**

الذين قالوا إنا نصارى) « المائدة : 82 » وهؤلاء لم يسلم منهم المسلمون كفافا، فضلا عن أن يوادوهم ولو بالكلام، هذا ما رأيناه نحن، وإذا رأيتم أنتم ما يشهد بخلاف هذا، فعرفونا به، فإنه لا غرض لنا وأيم الله، إلا أن نرى القلوب يوما ما، مجتمعة على توحيد الله، وموقرة لجميع رسل الله، مع مراعاة الروابط الإنسانية، والأخوة البشرية، واحترام العواطف الودية، وليس في ذلك ما يستبعد ما دام الإنجيل يبعث قومه على الصنيع الجميل مع كل الناس، والقرآن يقول: **(وقولوا للناس حسنا)** «البقرة : 83» ويقول : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين)** « الممتحنة : 8 » ويقول الرسول ﷺ : **(الخلق عيال الله، وأحب الخلق إلى الله، أحسنهم لعياله)** وهذا ونظيره في الكتب المنزلة ليس بقليل، ولكن الأهواء أبعدت البشر عن التعاليم الإلهية، فأصبحوا يعملون بضد ما جاءت به على خط مستقيم، ألهمنا الله وألهم عموم عباده لما فيه صلاح الدارين آمين.

الرسالة الخامسة

يظهر من عبارة هاته الرسالة، أن بعض أتباعه قد تجاوز الحد في إفشاء أسرار النسبة، فلم يوافق عليه رضوان الله عليه، وذلك شأن الأكابر المتقين، من أئمة الدين، وهو من الخلق العظيم، قال رضي الله عنه :

إخواننا الأجلاء، رضي الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله، نخص منهم الشيخ (...).

أما بعد: فالذي وجب به إعلامكم، أن أحد إخواننا المدعو (...) كان إماما في بعض القرى هناك، وهو الآن بالقطر التونسي، بعث لي كتابا طويل الذيل، وقد كدرني والله ما أخبرني به من أحوال الفقراء من جهة تعاطي بعض الألفاظ التي تمجها الأسماع، وتأباها الحكمة، وها أنا وجهتها لكم لتنظروا ما فيها، فلا تنشروا حديثها، إنما لتعلموا كيف هي الحالة، وبالجملة، فإني أؤكد عليكم أن تنشلوا الفقراء من هاته الحالة ما أمكنكم، وتلزموا أنفسكم حسن التعبير، وهكذا بلغني أيضا أن بعض الفقراء تهاونوا في فعل المأمورات واجتناب المنهيات، وهذا مما يكدر قلوبنا وقلوبكم أيضا، وقد كان في ظني أن المعارف كانت عند القوم مصونة، والطاعة مبذولة، فما بالنا صرنا بالعكس، فإن أمكنكم أن تخدموا الطريقة بصيانة الأسرار، والوقوف مع أمر الله ونهيه، فلتفعلوا بارك الله فيكم، ونحن على عهدكم ومحبتكم، وإلا فالأمر لا يتفق عليه، وهذا ما ظهر لنا عرفانكم به، وعند ما تطلعون على تلك الرسالة فأحرقوها، لأنه لا فائدة في نشرها، وبهاته النصيحة تخبرون إخواننا بناحية بني .... والسلام.



الرسالة السادسة

أقول: إن سبب هذه الرسالة واضح من عبارتها، لمن يتأمله، غير أن الذي يلاحظ منها بوجه خاص، هو أسلوبه اللطيف وصراحته في الحق، الأمر الذي يدل على استمساكه ووثوقه بالله تعالى: **(ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم)** «آل عمران: 101».

قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال تعالى: **(من يعمل سوءاً يجز به)** «النساء: 122» من عبد ربه «بن عليوة أحمد بن مصطفى» المستغانمي، إلى جناب المعظم، الكاتب العام، ونائب عامل عمالة وهران، السيد «روني» بعد تقديم احترامكم، نلتمس منكم بكل آمال أن تعيرونا سمعكم، ولو لحظة، لما عسى أن يكون سببا في ارتفاع ما تخيلتموه بسبب ما شنعته المرجفون في جانبنا، وقد ظهر لي عند ما زرتكم أخيراً والحالة إني كنت نؤمل من سماحتكم في تلك الزيارة كل الوداد، بما بلغني عنكم من سعة الصدر، وحسن الاستبصار، ولما كان الوقت هناك لم يسمح لي بإيضاح ما استشكلتموه من أمرنا، فظهر لي الآن شرح ما ربما بلغكم على غير الحقيقة، والنازلة كيفما كانت تنحصر في مسألتين.

الأولى: وهي مسألة الريف بأرض المغرب يعني قضية سيدي «عبد الكريم الخطابي».

والمسألة الثانية: قضية القبائل بأرض ازواوه كمين البيبان.

أما مسألة سيدي (...) فإنه بعد ما قضى عندنا أربع سنين في القراءة، رجع إلى وطنه بقصد الإرشاد والتعليم، فقامت عليه بعض الحساد من أهل حرفته، وبلغوا عنه حكومة إسبانية، كون الرجل جاء هنا يعطي الحماية الافرنسوية ويعمل على ذمتها، فشدت حكومة اسبانية عليه وعلى أتباعه، ثم قضت بنفيه إلى بلاد وهران، وهل ترى أيها السيد أن حكومة فرنسا هي التي بعثت ذلك الرجل، ولو كان كذلك لكنتم أنتم أعلم بالحقيقة منا، وزيادة تكون خدمة لكم لا عليكم، وهل تصح أن تعد هاته النازلة من الذنوب التي تسود صحيفتنا عندكم.

وأما مسألة القبائل «بكمين البيبان» لما اشتدت حاجتهم إلى من يبث الإصلاح فيما بينهم لما هم عليه من القتل ونهب الأموال والتعدي، وما هو من ذلك القبيل، أتانا بعض الأفراد منهم يلتمس منا التداخل فيما بينهم، والنصح فيما يعود على وطنهم بالراحة، وجلب العافية، فساعدناهم على ذلك قصدا للإصلاح، ولما حللنا بذلك الوطن، فسعينا جهدنا فيما سافرنا من أجله، فظهرت نتيجة تلك الزيارة والحمد لله، وفي خلال تلك المدة قام بعض الحساد ممن كان له صيت، بحيث يسمع له، وشنع على تلك الزيارة كل التشنيع، وبذل وسعه في إغراء الحكام على كل من تلقانا وعمل بإشارتنا، ولما حصل التشديد على أولئك الضعفاء بسبب نقل الحقيقة إلى الحكام على خلاف ما هي عليه، فحصل التنبيه، من بعض الحكام بما يقضي بمنع المواصلة، فكان هذا المنع لدى العقلاء من أهل القطر بمنزلة المعصية، لما يترتب عليه من عود الوطن لما كان عليه من

الهرج، وبهذه المناسبة كتب أعضاء مجلس الإنتخاب، وأعضاء مجلس مدينة «برج أبي عريريج» منشورا إلى عامل عمالة قسنطينة يطلعونه فيه على حقيقة الحال، وما كتبناكم بهذا إلا لأجل إيضاح الحقيقة على ما هي عليه، وفي ظني أن هاته النازلة حتى إذا لم تبلغ أن تعد من الحسنات، فهي أبعد من أن تعد من السيآت، ولكم النظر السديد فيما لنا وعلينا، ودمتم منصفين، والسلام.

الرسالة السابعة

كتب مولانا الأستاذ - رضوان الله عليه - هذا المكتوب لبعض أتباعه «بتونس» لما شنع عليه بعض الطلبة، ووشى بهم إلى الحكومة، حتى منعتهم من المحل الذي كانوا يذكرون فيه، ولما وصلهم المكتوب، فعرضوه على الحكومة، فقام عندها مقاما كافيا في توضيح الحقيقة، على ما هي عليه، فأذنت لهم حينئذ في الرجوع إلى محلهم المعتاد، وهذه صورته:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. الحمد لله الذي جعل في قلوب أوليائه يقينا بما عرفوه من الحق، فكانوا بذلك على أساس متين **(لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملئكة)** «الأنبياء : 103» لا يولون عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولو عارضهم العالم أجمع، لا يزدادون بذلك إلا تمكينا **(وكأين من نبيء قتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا)** «آل عمران : 146» ولنا في

نبينا إسوة حسنة، فكم عارضه المعارضون، وخذله المنافقون، وما ضعف وما استكان **(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)** «إبراهيم : 27».

هذا وبعد السلام اللائق بحضرة إخواننا التونسيين، زادهم الله إيمانا ويقينا، أخص بالذكر المقدم الأبر الشيخ سيدي الطاهر ابن الحاج العربي، وإخواننا الأبرار كالعالم الأجل سيدي الطيب ابن غشام، وسيدي أحمد الصحراوي، وابنه سيدي محمد، وسيدي الصادق الكشباطي، وسيدي محمد بن حامد، وسيدي علي بن رمضان، وسيدي الشاذلي، وسيدي عثمان، وسيدي وسيدي وسيدي، إلى كافة ساداتنا، هذا وإنه بلغني عنكم ما شوشني، وليس ذلك إلا خيفة عدم استعدادكم لحمل الإمتحان، الذي هو كاللازم لكل منتسب، قال تعالى : **(الٓمٓ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا، وهم لا يفتنون)** «العنكبوت : 1».

وعليه : فليس لنا إلا التواصي بالحق، والتواصي بالصبر عليه، والعاقبة للمتقين. وقد ذكرتم : أن المرجفين شنعوا بأنكم على غير السنة، فما يمنعهم أن يقولوا أكثر من ذلك **(كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم)** «البقرة : 118».

قال في شرح الحكم : ما هي إلا نزغة شيطانية إسرائلية، صدقوا بموسى وعيسى، ولم يروهما، وكذبوا «بمحمد» وهو معهم **(فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)** «البقرة : 89» ولا ينكر فكري، أن يكون نسب المعارضين لطريقتنا متصلا «بابن البراء» فليبحثوا في نسبهم،

فإن نسبنا الروحي متصل بالشاذلي والحمد لله. **(قل كل يعمل على شاكلته)** «الإسراء: 84» وما يضركم قولهم إن علمتم من أنفسكم أنكم على صراط مستقيم، وهل يصح من العاقل، أن يترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس؟ **(إن يتبعون إلا الظن)** «الإسراء: 23» قبح الله الجهل ما أشنعه، وليس في ظني أن الحكومة تعير شريف سمعها لكل مرجف **(مناع للخير معتدٍ أثيم)** «القلم: 12» قال تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة)** «الحجرات: 6» وما ذكرتموه من احتجاج أحد المعارضين بما في كتابنا «المنح القدوسية»، فليس في ذلك إلا ما يدل على غباوته وجهله بمعلوماته، فضلا عن معلومات غيره، ومن أعلاها علم القوم الذي قل من يمارسه اليوم، ومما يشعرنا بتقصيره في المباديء إعراضه عن قولنا: إن النبي ﷺ ينتفع بالصلاة عليه فظهر عنده هذا القول كأنه غريب، ولا من يقول به، والحالة أنه متداول بين أصناف الطلبة، قلّ أن تخلص منه مقدمة كتاب ومن ذلك ما ذكره البيجوري على الجوهرة: (إن الصحيح أنه ﷺ ينتفع بالصلاة عليه) إلى أن استطرد قول بعضهم:

وصححوا بأنه ينتفع ☆ بذي الصلاة شأنه مرتفع
لكنه لا ينبغي التصريح ☆ لنا بذي القول وذا صحيح

ولا نطيل الكلام في هذه النازلة لوضوحها، وما ذكره البيجوري هو بالنظر لصلاة الخلق على محمد ﷺ، وأما بالنظر لصلاة الله على محمد الذي هو مضمون كلامنا، لا يقول بعدم الانتفاع به إلا مخذول يقول ولا يفهم ما يقول، وأي عاقل

يؤمن بالله واليوم الآخر، ينكر انتفاع محمد ﷺ بصلاة الله عليه، ولعل المعارض يقول: إن الصلاة نفعها عائد على المصلي، لا على المصلى عليه؛ قلت: وهذا إذا كانت من الخلق ، وأما إذا كانت من الحق، فهل تكون عبثا، أو تعود فائدتها على الله، قبح الله الجهل وما في معناه، وأما تقصير المعارض في فن القوم، فهو أشهر من أن يستدل عليه، لأنه لو تكرر على مسمعه من اصطلاحاتهم، وتمكنت في قلبه بعض عباراتهم، وعلم أن ألفاظهم أقرب إلى المجاز منه إلى الحقيقة، لوجد في ذلك مجالا أوسع من أن يضيق من أقوالنا، وبالأقل كان يحمل ما في « المنح القدوسية » من قوله: « تطور في أطوار شتى لتظهر عظمته » على المجاز بالحذف، لأن من أنوعه، ما يدل العقل على حذفه كقوله تعالى: **(وجاء ربك)** فدل العقل على أن فاعل جاء محذوف، لاستحالة تصور المجيء من الحق، ولم لا يقدر هذا المعارض محذوفا، إذا علم أن التطور لا يصح من الحق، ويقول تطور سره أو نوره وما هو من هذا القبيل، ولكن التعصب يعمي ويصمي، وسنبعث لكم إن شاء الله رسالتنا في التوحيد المسمات بـ « القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول » لأن عقل العموم أضعف من أن يتوصل لعلم القوم، وقد كنت عازما على زيارتكم، فعارضتني عوارض في الحال، ولا يمتنع تيسير ذلك إن شاء الله في المستقبل، واستعينوا بالصبر والصلاة والملتجأ لله ومنه شأن النجاة، ودمتم محفوظين.



الرسالة الثامنة

وهذا نص جواب أيضا، بعث به إلى أتباعه ينافح فيه عن شرف النسبة وتعاليمها الغراء، قال رضي الله عنه:

حمداً لمن جل ثناؤه، القائل ما معناه: **(من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة)** وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبد موقن، وحّد الله وعرفه، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدارسول الله القائل: **(خصلتان من الخير ليس فوقهما خصلة حسن الظن بالله، وحسن الظن بعباد الله)** صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام البررة، ذوي القلوب السليمة من الحسد وما في معناه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما بعد: فقد تشرفت بعدة رسائل من إخواننا التونسيين، زادهم الله قوة ويقيناً، بعد سلام الله عليهم في كل وقت وحين بالأخص ذو المجد والاحترام، العالم الناسك، سيدي الطيب بن غشام، طيب الله مثواه، و جعل الحضرة القدسية مستقره ومأواه، فإن جواذب وداده رسمت في صدورنا وحركت من عواطفنا، ما ألجأنا للتشوف نحوكم، لا أحرمنا الله من رؤيتكم آمين. غير أنه في الآخر وردت علي رسالة من الأخ الجليل، والعارف النبيل، ولي الله سيدي (...) فيها من بعض التشويشات، منشؤها كلام من بعض الطلبة - سامحهم الله - وليس بعجب أن يقوم من يعارضنا، لعلمي بأن الديار ليست خاوية على عروشها، غير أني لم أدر هل المعارض يقصد شخصا بعينه أم لا؟ وإذا كان كذلك، يخشى أن يكون ممن يحسدون الناس على ما آتاهم الله من

فضله، وإن كان في زعمه يقصد صيانة الشرع، فليس ذلك مسلكه، وعليه فينبغي له أن يقصد الأمر من أصله، بمعنى يقوم معارضا لعلم القوم، بقطع النظر عن قائله، إن كان ممن يعرف الرجال بالحق لا بعكسه، وحينئذ يجد في كلام من مضى كسيدي محي الدين بن عربي، والجيلي، وابن الفارض، وابن سبعين، والششتري، والتلمساني، والنابلسي، وابن عجيبة، وغيرهم ممن لا تحصى كثرتهم ما يغنيه عما يجده في كلامنا، وكلام أصحابنا، لأن جميع ما تضمنه كلامنا لا يعدل بجملة أو نقول بكلمة صدرت من أحدهم، والكتب بأيدينا أعدل شاهد، لكن عند من يؤذن بالإنصاف.

وفي ظني أنه يلتمس لمن مضى أحسن التأويل، كما هو الظن الجميل في كل عالم نبيل، وإن كان كذلك، فما المانع من أن يجعلنا من جملتهم، ويلتمس لنا ما يلتمسه لهم، ولعلها المعاصرة، ولا أرضاها له، لأنها حرمان لقولهم: « إن المحروم من حرم من أهل زمانه » ولو نظرنا أمواتا، ففي الغالب يسهل له التبرك بكلامنا، أو نقول بتربيتنا، فضلا عن أن يعترض علينا، ولكن **(سنة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا)** « الفتح : 23 » وإني إلى الآن لم يبلغني من تجاسر على مؤلفاتنا ممن يستحق الذكر، غير ما بلغني عن هذا الرجل، وثم أحد بوطننا لكن لا يعبؤا به لقلة دينه، وما عدا ذلك فلم نسمع عن العلماء الأعلام، إلا مزيد الثناء جزاهم الله بما هو أهله، بسبب ما تقدم لهم من الإطلاع على مقصد القوم، فعلموا يقينا أن مذهبهم على أساس متين، **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا**

من خلفه) « فصلت : 42 » ومن المعلوم أن الألفاظ المتداولة بينهم، غير ملائمة للمعنى حقيقة، فهي دائما إلى المجاز أقرب، وإلى التنزيه أنسب، ولا يسيء الظن بهم إلا مسيء، لأنهم أعرف الخلق بربهم، وبنسبة نبيهم ﷺ، وأي مطلع سالم الفؤاد، يتخيل في عقيدة القوم ما هو كالحلول، أو الاتحاد، أو التجزئة أو التشبية، وغير ذلك مما هو مناقض للتنزيه، إلا إذا كان قصير الباع، وفطرت نفسه على النزاع، قال عز الدين بن عبد السلام: « قعد القوم على قواعد الشريعة التي لا تنهدم، حيث قعد الناس على الرسوم » وكان يستبعد ما يبلغه عن الصوفية قبل ممارسة علومهم، والانخراط في سلكهم، والاقتداء بإمامهم، أي « أبي الحسن الشاذلي » – رضوان الله عليهم – وهل يعوق العز بن عبد السلام ما كتبه ابن البراء، عما عرفه من الشاذلي؟ كلا، وما زالت طريقة ابن البراء كامنة في بعض الأفراد يظهرونها تارة، ويخفونها أخرى، ولكنها تجارة كاسدة، وخيمة العواقب تفضي إلى سوء الخاتمة، حفظنا الله والمسلمين، ولهذا كان الواجب على العاقل، أن ينزه لسانه عن أعراض الذاكرين، فإن الله يغار على أهل نسبته ولو كانوا كاذبين، والله يعلم أننا لصادقون، فمن شاء فليقبل، ومن شاء فليدبر، **(ومن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر)** « الكهف : 29 » قال تعالى : **(فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين)** « الأنعام : 89 » **(أولئك الذين هدى الله)** « الأنعام : 90 » ونسبة أهل الله لن تزال ظاهرة على الحق، ولو عارضهم العالم أجمع، وإني لغني عن التطويل وإقامة الحجة واستجلاب الدليل، اعتمادا على توسعكم

وإطلاعكم على سيرة القوم، وما كابدوه من احتمال الأذى بين أهل زمانهم، واختلاف الأقوال في معتقداتهم، بين مدح وقدح، قال سلطان العاشقين:

تخالفت الأقوال فينا تباينا ☆ برجم الظنون بيننا ما لها أصل

ولا يخفى ما كان عليه ابن الفارض من حسن السيرة، وطهارة السريرة، وكم من قائل قال فيه من أهل زمانه أنه ينهق بالاتحاد، ومنهم من قال: بالحلول، ومنهم من قال يقول بالتشبيه، وهو عند الله وعند الراسخين في العلم من جميع ذلك نزيه، قال في عجز بيت من تائيته: «تنزهت عن حكم الحلول عقيدتي» وإن لم يقل فهو مع الله على بينة، ولا ذنب لهم إلا في ذكرهم كلاما لم يبلغ عقول الناس، فكان على الضعفاء منهم فتنة، قال ﷺ: **(إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا أظهروه أنكرته أهل الغرة بالله).**

فلينظر العالم إن كان له نصيب مما لا يجوز إظهاره للعموم، فهو من العلماء بالله، وإلا فليكن مؤمنا بهم، محبا فيهم، وإن أنكر ما أظهره الله عليهم كان داخلا في الشق الأخير من الحديث، أي من أهل الغرة بالله، وما ظهر على ألسنة القوم ليس هو بمستبعد جدا عند المنصفين، لأنهم غرقى في التعظيم، كشف لهم الحق ما ستره عن غيرهم، فلاحظوا ببصر الإيمان والإيقان، وقاموا بما يجب عليهم من إعطاء الألوهية مستحقها بقدر وسعهم، ومن جملة ذلك أنهم نزلوا ما سوى الله منزلة المعدوم، بنسبته لوجود واجب الوجود، فعاملوه معاملة المعدوم في نظرهم، وفي ألفاظهم، فالتبس الأمر على من لا خبر له بهم،

وظن أنهم ينفون وجود التكليف، لأنه منوط بوجود الغير، ومنهم من عامل الخلق معاملة الحق، نظراً لما بين الخالق وخلقه من علاقة التأثير، وأن القدرة وغيرها من صفات القادر، فقال: « ما في الوجود إلا الله » . فاختلفت فيهم الآراء وتشعبت الأقوال، هذا يقول فيهم بالاتحاد، والآخر بالاعتزال، والحالة أنهم لا خبر لهم بالقول، ولا بمن قال، وعليه، فلا يلزمنا الوقوف والاشتغال إلا بما يعود علينا بالنفع دنيا وأخرى، ولنترك ما وراء ذلك إن أردنا السلامة، ولا نستعظم ما قيل فينا، لأنه حقير بالنسبة لما قيل في أسلافنا، وإننا سائرون إن شاء الله على آثارهم، لا نتحكم على أحد، وإن تحكم علينا، وقد بلغنا عن أكابر الصحابة رضوان الله عليهم أنهم لم يحكموا بكفر المؤمن ولا بتفسيقه، نعم حُكِمَ عليهم من الخوارج مع علي وعثمان، وطلحة والزبير، ومن الروافض مع أبى بكر وعمر.

والحاصل إني مرتجي من الله تعالى أن يعافينا وإياكم من كل خطة تفضي لسوء الظن بعباد الله، وبالأخص الصالحين، وإني أوصيك بارك الله فيك أن تبذل جهدك فيما يعود عليك وعلى إخوانك بالصلاح، **(ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم الدين)** ولئن يخطيء الإنسان في حسن الظن، أحسن من أن يصيب في عكسه، وعليك وعلى إخوانك السلام.

وأرجوك أن تقرأ هاته الرسالة على أسماع الفقراء، مع حل ألفاظها كما تسرد كتابنا أيضا على المعارض إن أمكنك بعد سلامنا عليه، وقل له يتقي الله، قال تعالى: **(ولا تقف ما ليس لك به علم)** « الإسراء : 36 » ودمتم في حفظ الله والسلام.

الرسالة التاسعة

حرر مولانا الأستاذ رضوان الله عليه هذه الرسالة، لما كان يبلغه من فتور بعض أتباعه بالبلاد المومى إليه، وهو كتاب يدل بجوهر لفظه ما لفضيلته من الغيرة عن الدين، وقد أنزل الله ببركة هذا الكتاب خيراً كثيراً، فإنه مهما قرىء في جماعة منهم إلا وأخذت الخشية مأخذها من الإنابة وشديد البكاء، قال أيده الله:

إلى حضرات، أصدقائنا ببلاد القبائل، ومن حولهم، أخص بالذكر رؤساءهم وفقهاءهم ومشايخهم، وجماعة المقدمين، ومن له أدنى ارتباط بنسبتنا واعتماد على كلامنا، عليكم جزيل السلام ما دمتم لله ذاكرين، ولشرعه ناصرين.

هذا أيها السادة، ألهمني الله وإياكم لما فيه نفع الدارين، وفي يقيني أنه لا نفع أنفع من اتباع سنة سيد المرسلين وإحيائها، والعمل على مقتضياتها، وبالخصوص في هذا الزمان الصّعب، الذي صار فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر، كل ذلك لضعف اليقين، وقلت المعين، وقد كنت نعهد من أفرادهم الصدق، والتصبر على نصرة الحق، ورجوت الله بوجودكم تحيا البلاد والعباد، وقد كان من ذلك ما يستحق الذكر والحمد لله، حتى اعترف به العدو والصديق، فشكرنا سعيكم، وحمدنا الله لنا ولكم، غير أنه في هذا الأخير بلغني ما كدرني، وللكتابة ألجأني، وهو أن بعض المساجد من أرضكم تخربت، وهكذا بعض الكتاتيب تعطلت، ولست أدري هل ذلك ثابت أم لا ؟ وإن كان ذلك يقع مع وجودكم، فوجودكم إذن والعدم على السواء،

وأنتم على علم من أننا ما صحبناكم وعهدناكم إلا على قيام شرائع الدين، واتباع سنة سيد المرسلين ﷺ وهذا هو العهد الذي قطعناه وقطعتموه مع الله في السر والجهر، ومن أوفى منكم بعهده فهنيئا له، ولعشيرته ودائرته، ومن نكص على عقبيه، أو خان ما عاهد الله عليه، فإن الله لا يحب الخائنين، وإنه لا ذمة بيني وبينه، بل بينه وبين أهل السلسلة من يومنا هذا إلى رسول الله ﷺ، إلا من تاب، **(فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)** وهذا ما لم يكن مغلوبا على عقله، وإلا فلا يلتفت إليه، وقد أخبرني في هذا الأخير أحد الأصدقاء، أنه رأى في منامه أن قائلا يقول له: « ها هو ذا كلب أسود يأكل في الدين، قال فخرجت، وإذا بالدين تمثل لي كأنه جوف شاه معلق على حبل، وكلب أسود ينهش فيه نهشا، قال فقمت مرعوبا ». فهذا هو الزمان الأسود، تراه ينهش في الدين نهشا، فهل يحسن من أبناء الدين أن ينهشوا معه، أم يحرزوه؟ وبعد هذا فإني أحذركم الله، وأحذر نفسي معاشر المسلمين، أن تهملوا كتاب الله، وتعطلوا مساجد الله، فيسرع إليها الخراب مع وجودكم، فإن الله تعالى يقول في الشق الأول، إخباراً عن نبيه حيث يقول يوم القيامة: **(وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا)** « الفرقان : 30 » وقال في الأخرى : **(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم في الدنيا خزي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** «البقرة : 114» وما كتبت هذا إلا تحذيراً وظني فيكم جميل، وإن تخلفتم فإني قد أنذرتكم، والله يتولى إصلاحكم، وهو خير المصلحين.

الرسالة العاشرة

سبب تحرير هذا السؤال، هو ما ذكره الأستاذ، وقد صنف بالفعل كتابا سماه « الدليل العلمي » أبان فيه هيئة الصلوات من ركوع وسجود، وما يتبعهما كل هيئة مرسومة بصورتها، وقد ترجم إلى القلم الفرنسوي، حيث بعثه إلى من اعتنق الإسلام من الأروبويين، من بلاد أروبا، ولكن بعد ما استفتى العلماء في ذلك فكان لهم خير دليل على الصلاة، وما يتبعها من تعاليم الإسلام، قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وآله وصحبه وسلم.

هذا سيدي، وإن المأمول من مكارم أخلاقكم، هو إمعان النظر في نازلة ذات أهمية، ومضمونها: أن جماعة من الأجانب بمدينة فرنسا فيهم من اعتنق الإسلام، ومنهم من هو على وشك ذلك، وبما أنهم على غير علم بخصال الدين ولوازمه، طلبوا منا البيان، واشترطوا أن يكون ذلك بأخصر عبارة، وأقرب أسلوب، ليسهل تناوله، ويكون بالقلم الفرنساوي، ولما كان ذلك المجموع ولا بد أن يشتمل على شيء من كتاب الله، كفاتحة الكتاب، توقفت من وجهين: - **الوجه الأول:** في كتابتها بالقلم الغير المعهود لكلام الله. - **الوجه الثاني:** في بعثتها لذلك الوسط، وبناء على ما يترتب على الأحجام، وعدم الموافقة من تقرير أولئك الانفار على ما هم عليه، إلتجأنا إليكم في هاته المعضلة، ومثلكم من يلتجأ إليه، والجواب ينتظر منكم.

الرسالة الحادية عشر

كان سبب تحرير هذا الكتاب إلى الوالي العام، لما منعت أعوان الحكومة تلاميذته من الاجتماع بزاويتهم للتذكير، والتفقه في الدين، وكانوا يومئذ أغلبهم من لفيف الناس، الذين هم أحوج الناس إلى التعليم والتذكير، وبعد تصميم الحكومة على منعهم، أمر الأستاذ بتسمية الزاوية إدارة لجريدة « لسان الدين » وأصدر صحيفته « لسان الدين » وعالج الموضوع بفكره السائد، وقلمه الفياض، وغيرته الوقادة، إلى أن لانت الحكومة المحلية، وسمحت بالاجتماع مع إسقاط الجريدة، وحصل الوفاق عن كره وتمت الرواية بحصول المقصود على كل حال، قال رضي الله عنه:

من المسمى ابن عليوة أحمد بن مصطفى، الشيخ بمدينة مستغانم، عمالة وهران إلى جلالة المعظم، والأمير المحترم، وَالِي ولاية القطر الجزائري، والآخذ بزمامه، عليكم عاطر السلام، ووافر الاحترام. هذا أيها السيد المعظم، إني قد كنت زرت عاصمة الجزائر فيما مضى، فاجتمع علي جم غفير من سكانها، منهم ظالم لنفسه، ومنهم دون ذلك، وكان جمعهم هذا بقصد الاسترشاد، فنصحنا لهم بما في وسعنا، فتمكن منهم النصح، وعاهدوا الله أن لا يعودوا إلى ما كانوا عليه من ارتكاب المناكر والفجور، فسررنا بذلك، وعلمنا يقينا أن فعلنا هذا مما يسر الحكومة أيضا، ثم أوصيناهم أن لا يختلطوا مع السفهاء من الناس، وأن يجتنبوا مواطن التهم، ومجتمعات الإفلاس، خشية

أن تعود إليهم سفهاتهم، فعملوا لذلك، واتخذوا لأنفسهم محلا، بالخصوص ليجتمعوا فيه على ما يزيد في تهذيب أخلاقهم من ذكر الله وما والاه، وبعد هذا أرشدهم من أرشدهم أن لا يتمادوا على الاجتماع الصريح بمحل مخصوص إلا بعد استئذان الحكومة، ليكون اجتماعهم على أساس، فامتثلنا لما هو مطلوب فبعثنا نستأذن دائرة السيد البْرِيفِي ليرخص لنا في الإجتماع المتعود بين الأهالي، وبعد ما مرت علينا ما يزيد على التسعة أشهر ونحن نكابد الذهاب والإياب، وما ينشأ عن ذلك من المصاريف، ونحن نترجى صدور الإذن بفراغ الصبر، وإذا بدائرة السيد « البريفي » تخبرنا برفض الطلب، بواسطة السيد « الكوميسار » فلم نزد على أن أخبرت الجماعة بذلك فخرجوا من عندي مكتئبين لا يدرون أين يذهبون، لعلمهم أن عاقبة الافتراق تتضمن رجوعهم إلى ما كانوا عليه من سيء الأخلاق، وبما لحقني من الأسف لزمني أن نستلفت عواطفكم لتعضيد هذا المشروع الديني الذي أنتم أولى باحترامه.

وفي الختام تفضلوا وتقبلوا مني إليكم من خالص الوداد، ووافر الاحترام، وعليكم خواتم السلام.



الرسالة الثانية عشر

حررت هاته الرسائل المتوالية جوابا عما كان توصل به الأستاذ من رجلين وجيهين في قومهما، ولهما بضاعة علمية خولتهما مكانة سامية في وسطهما، ثم انتقل كلاهما إلى مدينة تونس، فحصل الإجتماع ببعض أتباع الأستاذ، فتجاذبوا أطراف الحديث في التعاليم الإسلامية، وما جاء به الدين من الحق المبين، وهل يوجد اليوم من هو على بصيرة من أسراره الباطنية، فحصل لهم التعلق بحضرة الأستاذ بعد ما طالعوا شيئا من مؤلفاته، ومارسوا أخلاق أتباعه، وما لبثوا إلا قليلا، حتى تشرفوا بمقابلة الأستاذ بزاويته الكبرى بمستغانم، وأقاموا عنده مدة من الزمان، كانوا يتلقون فيها تعاليم الدين على وجهها الأتم، إلى أن اطمأنت قلوبهم بالإيمان، وبذكر الله تطمئن القلوب، وهذا نص أجوبته لهم، قال رضي الله عنه:

الحمد لله الذي وفق من شاء إلى صراط مستقيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم وآله وصحبه وسلم.

أما بعد: فنرفع جميل التحية وعظيم التهنئة لجناب المحترم، فضيلة الأخ في الله السيد «عبد الكريم جوصو»، لكم الفضل سيدي حيث فاجأتمونا بالمواصلة، وقبل هذا كنت عثرت على كتاب جميل بقلمكم، تذكرون فيه أسباب اعتناقكم للإسلام، تمم الله نعمه عليكم، وبعد ما تفرست في مخبآته وتتبعت ملحوظاته، أسفرت النتيجة على ما ينبئى بمكانتكم وسلامة ذوقكم، ولا شك أنه سائق السعادة، كانت ركبته في فطرتكم يد العناية الإلهية في

الأزل، وإلا لما تسنى لكم التزحزح ولو قدر شبر عن المعتقدات القلبية، والمعتادات النفسية، ولكن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ولهذا فإني أحمد الله لكم بكل لسان، ونعتبر مكانتكم عند الله بكل جنان، ونتمنى الاجتماع بكم في أقرب زمان، ونعتقد أن وجود أمثالكم مما يتقوى به الإيمان، ولا يبعد في نظري أن تكون سيادتكم من الأفراد الموعود بإتيانهم في قوله تعالى حيث قال: (**فسوف ياتي الله بقوم يحبهم و يحبونه**) « المائدة : 57 » وهكذا لأني رأيت يد العناية الإلهية تحشر من شاءت إلى دار السعادة زُرَافَات وَوَحْدَاناً إلا من شاء أن يصرفه تعالى عن طريق الهدى، فلن تجد له وليا مرشدا.

وأما ما حكمت به الظروف حسبما ذكرتم في كتابكم على أبناء الإسلام في عصرنا هذا، وما هم عليه في هذا الاخير، فإني وتالله لنتوقعه أن يكون ذلك الحكم من جنس ما حكم الله به على أبناء بقية الأديان - لا قدر الله - حيث يقول: (**فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم**) « الحديد : 16 » كل ذلك بما تحكم في قلوبهم من محبة تقليد الغربيين، حتى في بعض معتقداتهم على ما يظهر، وإذا فإلى أين الغاية يا ترى؟ أما السير فمتواصل على ما يظهر، وما رأيت لتياره من دافع، وهذا بعد ما جالت الفكرة في طريق الإصلاح، فظهر لي أن ذلك كالمتعذر إلا باعتناق إحدى الدول الأربوية الإسلام فتقلده على بكرتها وتعمل على نصرته، فتكون هي برفع الغشاوة عن الأبصار أحرى، وباستنقاذ أبناء الإسلام أدرى، ويجدر بهم أن يكونوا لها أعوانا

ومع أفرادها إخوانا، **(إنما المؤمنون إخوة)** « الحجرات : 10 » وذلك ليس بمستبعد بعد تيسير الله عز وجل مهما سالت الأقلام، وانقشعت الأوهام، وكل ما ذكرناه فهو من حيث الاجمال.

أما ما يرجع للإنسان في خاصة نفسه، فأعز شيء ينبغي له أن يتعطش إليه، ويروض أمياله عليه، هو الإعتقاد بوحدانية الله عز وجل، واحترام عموم الأنبياء من غير استثناء، وهاته الخصلة الشريفة، هي أول حجرة أسست عليها دعائم الديانة الإسلامية، وقد منحتموها بكل سهولة، والمنة لله.

ثم بعد هذه الخصلة فرائض كما لا يخفاكم، ليست بعسيرة إلا على من تأبى نفسه الخضوع بين يدي الله عز وجل، أما أنتم فقد تهمدت لكم، حيث كانت أميالكم هي التي تطلبكم بنحوها، ومثل هذا جدير بأن يعد من السعادة، مهما ظهرت شواهده على ظاهر الإنسان، ولو مع ضرب من التكليف، إذ ثقل الطاعة على النفس أحيانا لا يشوب خالص الإعتقاد، بما أن النفس محتاجة للترويض على الطاعة شبه البدن، وهكذا القلب يحتاج الإنسان لترويضه على خالص التوحيد، ومشاهدة الأفعال الإلهية، وآثار الصفات الأزلية في هذا الوجود المرءي لنا، حتى يتأتى للإنسان أن يلاحظ قيومية الله بهذا العالم، وإذن فلا يثبت بعد ذلك في نظره القلبي إلا الله. وعلى هذا تأسس مذهب القوم، وهو زبدة الدين الإسلامي، المعبر عنه في لسان الشرع بمقام الإحسان، والدين ذو الثلاث: « إسلام، وإيمان، وإحسان ».

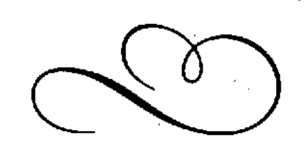
أما ما يخصكم في حد ذاتكم، فهو موكل لأميالكم، فلكم أن تقتصروا على المنصوص من ظاهر الشرع، أعني الإسلام،

والإيمان، وبذلك تبرأ ذمة المؤمن إن شاء الله، لكن مع التشوف دائما لما يكون الإنسان به محسنا، وهو ما ذكرناه من مطلوبية ترويض النفس والقلب على خالص التوحيد بالطريق الخاصة، غير أن ذلك يحتاج فيه إلى مرشد عارف بالمسالك، تطمئن إليه نفوسكم، وتجنح إليه عواطفكم، بضرب من الرغبة، وشيء من الإختيار.

أما إن ظهر لكم في صحبتنا، فنحن على عهد الله، وما علينا إلا أن نحقق الوصل بأميال قلبية، وعواطف روحية، ويحسن بنا أن لو يكون ذلك بموثق بواسطة أحد المتصدرين من أبناء الطريق، كصديقكم سيدي «...» أو رفيقه، وهكذا لتتلقى عليه بعض الارشادات، أرجو الله أن تكون لكم نافعة، ولقلوبنا وقلوبكم جامعة، آمين.

وفي الأخير، أرجو من سماحتكم أن ترفعوا بالنيابة عنا جلائل التحية لتلك الجماعة التي كنتم ذكرتموها، أعني بذلك السيد «جعفر» والسيدة «مريم».

كما أرجو من مكارم أخلاقكم، أن لا تقطعوا عنا مكاتبتكم، وإن بقي تحت يديكم شيء من كتابكم في اعتناق الإسلام بالقلم الفرنسوي فابعثوا لنا نسخة أو نسختين، وإن كان يباع بمحل فارشدونا إليه، بارك الله لنا فيكم، والسلام.



الرسالة الثالثة عشر

بسم الله الرحمٰن الرحيم، والصلاة والسلام على الهادي إلى الصراط المستقيم.

الحمد لله الذي خصص الإنسان بالعقل من جنس الحيوان، وألهمه التوحيد بساطع البرهان، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن لا مدبر سواه في السر والإعلان، والصلاة والسلام على من جاء بذلك مصدقا لما جاءت به الرسل في غابر الأزمان.

أما بعد: فمن عبد ربه «أحمد بن مصطفى العلاوي» إلى صديقنا في الله، الملهم للتوحيد بفضل الله، السيد «عبد الكريم جوصو» عليكم سلام طيب كريم، من صديق حميم تشملكم نفحاته، وتحميكم إن شاء الله بركاته.

هذا وإني قد كنت تشرفت برسالتكم منذ أيام، شرحتم فيها ما أحسنتم بشرحه، بارك الله لنا فيكم، أما الطواريء التي جرت لكم، والعوائق التي تعرضت وقد تتعرض لغيركم، فلا تعتبرها سيدي أنها نكتة سوداء في سيركم إلى الله، مهما أعقبتها يقظة وشعور، قال تعالى: **(إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا، فإذا هم مبصرون)** «الأعراف: 200».

هذا وإن انحلال العزيمة قد يقع ممن له مؤازرة، فكيف بمن لا مؤازرة له، أرجو الله أن يؤازركم في الثبات على توحيدكم الذي ألهمكم إليه، والإعانة منه، لكن هذا سيدي، مع دوام التوجه إليه، وعكوف القلب على بابه، فعسى أن يمدكم بقوة، فيهتدي الغير بكم، وهو يهدي من يشاء إلى سواء السبيل.

سيدي فلتسلم منا على قرينتكم، وتتلطف معها في التذكير، وتلهمها التوحيد وتعاملها بكل تيسير، فإن المرأة رقيقة الطبع، فعاملها بما تستحق.

هذا وإني كنت عازما على سفر كما في علمكم، ولكنه عارضتني عوارض، أرجو الله أن ييسر لنا أسباب السفر فيما بعد، وأنه سيكون عندنا اجتماع إن شاء الله، يحضره كثير من الأصدقاء من الخارج، بتاريخ: «ثالث عشر ديسانبر» الموافق لمثله في شهر الله صفر، سيدي فلربما تتيسر لكم فيه أسباب السفر، فنتشرف بالاجتماع بكم.

وفي الأخير، تسلم منا على من اجتمع بكم من أصدقائنا، وبالأخص صديقكم سيدي «...» وهكذا السيد «جعفر» والسيدة «مريم» وإني كاتبتهما، وعليكم جزيل السلام.

الرسالة الرابعة عشر

الحمد لله الهادي من استهداه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن والاه.

إلى من سبقت له العناية، وشملته الهداية، فضيلة الأخ في الله، الصادق من أجله، السيد «جعفر الطيار» المترجم الشرعي بالايالة التونسية، عليكم من صميم الفؤاد أطيب سلام، وجميل احترام، يشملان سيادتكم، ومن انتمى إليكم، كما يشملان السيدة العفيفة المصونة، أختكم وأختنا في الله، السيدة «مريم سيرينو» صانكم الله، واياها بعنايته، وحفكما برعايته.

هذا سيدي، وإني تصفحت مكتوبكم بكل إعتناء، وكيف لا أعتني بمن اعتنى به الإله في سابق علمه، وتولى هدايته بنفسه، ثم نوره بعظيم نوره، لننظر وجه الموازنة بينه وبين غيره، قال وهو أصدق القائلين: **(أو من كان ميتا فأحييناه، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)** «الأنعام: 122».

أما أنا فبالله وتالله سيدي، ما رأيت منكم شكراً يوازن تلك النعمة التي منحتموها، إلا بنحو العجز عن أداء الشكر، وهو شكر باعتبار، ثم إنكم زيادة على ما خصكم الله به من نعمة الإسلام والإيمان، أن أودع في فطرتكم ما يلزمكم بالتشوف إلى أعلى درجات الإحسان، وهي شيء قد أغفله الكثير من المؤمنين في عصرنا هذا، أما مثلكم فحقه أن لا تفوته خصال الإسلام، وإن فات غيركم، بما أنكم تركتم كل ما حقه أن يعد أكبر عائق في طريق السعادة، فشكراً لكم. وعليه، فشأنكم أنتم أشبه بشأن من قال الله على لسانه: **(إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة هم كافرون، واتبعت ملة آباءي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون)** «يوسف: 37».

وعليه فأنتم المنقطعون لله عز وجل، الساعون في مرضاته بهذا الإعتبار، ومهما كنتم بتلك الصفة، فجدير بالإلاه الحق أن يرشدكم لسبيل حضرته الخاصة، على يد من يشاء من عباده المخلصين، كما أرشدكم أولا بواسطة المرحوم السيد «خير الدين» رحمه الله،

أما إن كنا نحن في نظركم ممن فيه أهلية لمثل ذلك، فإن الله يكون عند ظنكم إن شاء الله، وهكذا يكون قبولكم عندنا، بقدر قبولنا عندكم، أو نقول منزلتكم عندنا، بقدر منزلتنا عندكم، وبقدر احترام الطرفين، يكون احترامنا عند الله عز وجل، وبهذا تخبر السيدة مريم، وإني وتالله لمسرور برغبتها قدر سروري برغبتكم أيضا، وكل ذلك يستفاد من مكتوبكم، وهذا زيادة على ما أخبرني به الأخ في الله فضيلة الشريف سيدي «...» وإن اجتمعتم به على شرط ما توسمناه فيكم من الرغبة، فلا بأس لو تلقيتم منه الطريقة بالنيابة عنا، فإن للمومي إليه إلماما بطريق القوم، وهذا بعد ما ترفعوا له منا جزيل السلام، كما ترفعونه منا لفضيلة المقدم البركة السيد «...» إن اجتمعتم به، ومثله السيد عبد الكريم جوصو، وقد كنت كاتبته برسالة أرجو الله أن تكون وصلته، كما أرجوه تعالى أن يمحص لنا سبيل الاجتماع بكم، لتتم لنا ولكم الفائدة بأكمل معانيها آمين.

الرسالة الخامسة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على من بعث بالمؤمنين رءوف رحيم.

الحمد لله الذي أيد خالص المؤمنين بالتوحيد، وجعلهم أئمة يهدون للخير، وبه يعدلون، والصلاة والسلام على من جاء بالصراط الحق المبين، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيئين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، جعلنا الله وأصدقاؤنا من

أفرادهم، وسلك بنا وبهم سبيلهم، أخص من الأصدقاء فضيلة الصادق الحميم، أخانا في الله السيد « جعفر الطيار » والكريمة المصونة، شقيقتنا في الله، السيدة « مريم » عليكما من صميم الفؤاد أطيب سلام يحميكما إن شاء الله من كل عائق في طريق الله، ويسلك بنا وبكما سبيل العارفين بالله الذين لا يرون في الوجود سوى موجده، **(هو الأول والآخر والظاهر والباطن)** « الحديد: 3 » هذا وإني قد كنت في هذا الأخير تشرفت برسالة من السيدة مريم، فنشكرها الآن بوجه خاص على ما أبدته في كتابها من الميول القلبية، والعواطف الروحية نحونا، وما هي إلا لله في الحقيقة، وإنكم وإياها يا حضرة السيد جعفر لمن أصدقائنا الأبرار، وكيف لا، والحالة أنكما ممن ساقته يد العناية الإلهية مطيعين مختارين لدين الحق، ذلك الدين القيم الذي جاءنا به النبي المعظم، قال تعالى فيما أنزله عليه: **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من ينيب)** « الشورى: 13 » سيدي إن الدين جاءنا على لسان النبي ﷺ، منحصر في أركان ثلاث: (إسلام، وإيمان، وإحسان).

- أما الإسلام: فهو الإنقياد لله بالجوارح الظاهرة.
- وأما الإيمان: فهو التصديق بعوالم غيبية، وبمدبرها طبق ما جاءتنا به الرسل.
- وأما الإحسان: فهو القيام بوظائف الركنين السابقين على

الوجه الأكمل، وقد عرفه ﷺ بقوله: (**الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تره، فإنه يراك**) وهذا المقام هو مطمح نظر السائرين، ومناخ رحال النبيئين والصديقين، وهكذا التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وقد ظهر في عصرنا هذا بشكل غير شكله السابق، من حيث الوصف، لا من حيث الجوهر، فتسمى بالتصوف، وبمذهب القوم، وهذا هو السبب في إقبال البعض عليه دون البعض، حكمة الله لتنفرد الخاصة على العامة في كل عصر وزمان.

أما الإسلام لا يظهر متمثلا في شخص بأكمل معانيه إلا بتحصيل هاته المقامات الثلاث، لأنها مجموع الدين، ثم إن صاحب المقام الأول، يكفيه شهود الفعل الذي يستدل به على الفاعل، ومن هناك يترقى لشهود الصفات، وهكذا إلى مقتضى الذات، وهي تفيدنا سقوط الغير بالمرة، وغير خاف على سيادتكم من أنه يحتاج إلى تدريج، وسير قلبي، ليتمكن الإنسان من ذلك المشهد العظيم، مع تمرين اللسان على الذكر، والفؤاد على الفكر، وإلى أولئك الإشارة بقوله تعالى: (**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السموات والأرض**) «آل عمران: 191» ثم إننا إذا أردنا تحقيق المانع لنا في ذلك المشهد، فلا نجده إلاَّ عدم الشعور بمقتضى الوحدانية، ولانعدام تلك الحاسة منا، إحتيج الإنسان لمستيقظ، وهكذا العبد يحتاج لمثله، ولذلك الإشارة من قوله ﷺ: (**المؤمن بأخيه**) ومن الإخوان المساقين لكم بعناية الله صديقكم سيدي «...» فلا بد لكم من المفاهمة معه فيما إليه

الإشارة، والله في عونكم، ولتوصي سيدي بذلك السيدة مريم، وتشرح لها من هذا الحديث ما يفيدها، كما تشرح منه ما يستفاد به صديقنا السيد عبد الكريم جوصو، ولا تقطع نظرك عليه، لأن المؤمن محتاج في أول أمره لمن يشد عضده، بما أن الأوهام تتراكم في الغالب على الإنسان، والشيطان له بالمرصاد، إلا من عصمه الله بخالص التوحيد مثلكم، إن شاء الله، وعليكم السلام ورحمة الله.

الرسالة السادسة عشر

ذكر مولانا الآستاذ - رضوان الله عليه - في نص هذا الكتاب، كيفية تصوير الإسم الأعظم، وهي التي عاش عليها في تلقينه لأتباعه، وقد حصل ببركته خير كثير، الأمر الذي فاق به أهل زمانه، ولم يكن لهم منه أدنى نصيب، واعترف له به كل من له نصيب من الانصاف، قال رضي الله عنه:

حضرة الأخ المعظم، متيقظ الفؤاد، العارف بالله الشيخ سيدي «سعيد سيف اليمني» أحياكم الله، وحياكم، وأحيا بكم، والسلام عليكم، وعلى من هو منكم وإليكم.

سيدي: وصلني كتابكم، وطالما تشوفت لخيالكم، ولكن الظروف حكمت على الأشباح، والمنة لله، حيث لم تكن حائلة من بين الأرواح.

هذا وإني نشكر دائما جميل أخلاقكم، وحسن معاملتكم مع إخواننا الفقراء، فقد كان يبلغنا عنكم ما يسرنا، ومثلكم تحمد عوائده دائما.

هذا وأما من جهة إلتماسكم منا الورد الخاص، فسيتلى عليكم نصه وكيفيته بقصد ارتباطنا بكم، كما حاولتم على ارتباطكم بنا، فالمؤمن بأخيه، والعارف بجنسه ونوعه، ومن عرف عرف، ومن جهل تلف.

هذا سيدي، وإن الإسم الأعظم بالكيفية التي أخذناه بها عن أسلافنا، هو هكذا بهاته الصفة، فتستعمل تخلقا وتعلقا من جهة ما يخص المريد في حال السير إلى الله، فلا بد من التفرد وقتا في اليوم، والأولى أن يكون في ثلث الليل الأخير، مهما أمكن على طهارة واستقبال القبلة، وتغميض العينين، وجمع الحواس، وتخيل حروف اسم الجلالة بقلبك، كأنك تراه في الخارج، مع استغراق في الإسم الأعظم، وهو قولنا: (الله) جهراً بقدر الإمكان، مع تغليب مخارج الصدر، والمد يجاوز الحد الطبيعي، وهكذا حتى يترسم اسم الجلالة في قلبك بسهولة، بحيث كلما تذكرته وجدته، وبعد ارتسامه تتكلف إلى مد الحروف إلى الآفاق، إلى أن تصل من الأرض إلى السماء، وعندما تحصل هاته الغاية، تنتقل إن شاء الله إلى حالة هي منها أرفع، وكل هذا يحصل بسهولة مع تمرين الخيال على تصور الحروف، واللسان على الذكر، والقلب على الحضور مع المذكور.



الرسالة السابعة عشر

إن حضرة الشيخ، سيدي « علي بن البشير » من طلبة العلم وممن يدرسونه، وإنه ممن يحبون الذاكرين، ويجلون أحوالهم ونسبتهم كل الإجلال، ولما طفحت الطريقة العلاوية ببلدته ونواحيها، تأثر لأسرارها وأنوارها الكثير من الناس، وظهر على بعض أتباعها غلبة حال، فبرز عن ألسنتهم ما استثقل سمعه على الذين لا خبرة لهم بغوامض التصوف، فاشتد نكيرهم عليهم، ولما كان الشيخ سيدي علي بن البشير ممن ينصف الناس، ولو من نفسه، بعث بمكتوب إلى مولانا الأستاذ - رضوان الله عليه - أطلعه فيه على ما بلغت إليه حالة الأتباع، وما نجم عنها من القلاقل التي لا تليق بشرف النسبة وتعاليمها، فبعث إليه بهذا المكتوب ونصه:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

الجناب المحترم، والأخ المعظم، صديقنا في الله، الشيخ « علي بن البشير » رعاكم الله ووقاكم، والسلام عليكم وعلى من معكم، ما دامت شريعة مولانا رسول الله ﷺ قائمة.

أما بعد: سيدي إنه وافاني مكتوبكم الذي أرشدتمونا فيه إلى عدة مسائل، بارك الله لنا فيكم، وفي وجود أمثالكم، وقد فعلتم واجبا وحقكم لو كنتم تعرفونا من قبل، وما كنت أظن أن يصدر من مثل أولئك الفقراء مثل تلك الكلمات البشعة، نعم قد كنت أسمع عن بعض المجاذيب مثل ذلك، ولكننا زجرنا البعض منهم، حسبما رأيت ممن اجتمعت بهم، وهذا الذي كنت نعلمه.

أما مشرب القوم – رضي الله عنهم – في الحقائق الإلهية، هو عبارة عن شعور يدركونه، وقد لا تفصح عنه العبارة، فمن أعطي منهم حسن التعبير قبلت في مسامع الخلق عبارته، ومن لا فلا، وبالخصوص الأميين فقد يختلط عليهم الحابل بالنابل، وقد يكون منهم المغلوب المعذور، وقد يكون منهم من لا عذر له، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما ما يرجع لمؤلفاتنا فأنت سيدي على خبرة منها، إذ فيها ما هو من قبيل الحكم، وهو أولى بالإعتماد عليه في المعتقدات، مثل ما في «القول المقبول» وغيره، ومنها ما هو من قبيل المتشابه، خصوصا ما يوجد في الديوان الذي كان صدوره منا في حالة غير الحالة التي نحن عليها الآن، وقد يصدر مثله من أغلب المنتسبين، وأنهم يعرفونه بالشطحات، والمعنى أن المتكلم بمثله يكون يتكلم بلسان المشهد لا بلسانه، والمشاهد تختلف عندهم، أي عند القوم، ولهذا قال رجال الشرع – رضي الله عنهم – في كلام الشيخ «محي الدين بن عربي» وأضرا به: إنه يرجع فيما تشابه منه إلى محكمه، وفي مجمله إلى مفصله، وفي مطلقه إلى مقيده، والمعنى أنهم يؤولون ما لا يطابق ظاهر النصوص، إلى ما يطابقها من كلام المؤلف نفسه، ولهذا أيدوا مشرب القوم وعذروهم فيما تفوهوا به.

وبالجملة فإن شطحات القوم من حيث هي، حقها أن تطوى لدى الكثير من الناس ولا تنشر، لأنها قد يضل بظواهرها من لا خبرة له بمقاصد القوم، رضي الله عنهم.

وأما أنا فأقول – بتوفيق الله وعنايته – إن سئلت بين يدي الله

عز وجل، ما قاله نبي الله عيسى عليه السلام، عندما قيل له:
(آنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) (1)
« المائدة: 116 » وإني مرتجي الله أن يوفقني وإخواننا إلى صالح العمل.

أما أنت سيدي فلتعتمد دائما حسن الظن ما استطعت، وأن تدعو الله للجميع بالتوفيق.

أما أنا سأكاتبهم في هاته النازلة، وأعطيها حقها القدر الكافي الذي تبرأ به الذمة، والعصمة بيد الله، والسلام.

الرسالة الثامنة عشر

لم يكن ثمت من سبب في نشر هاته الرسالة على صفحات الجرائد، إلا ما كان من المصلحين، من تتبعهم عورات المنتسبين، والتقول عليهم بما ليس بحق، إلى أن قالوا: مشايخ الزوايا يتمعشون من أخذ الزكاة، وهي محرمة عليهم، إما لكونهم من أهل البيت، وإما لكونهم ليسوا من الاصناف الثمانية الذين شرعت لأجلهم الزكاة، وشنعوا كثيرا في الموضوع على مشايخ الزوايا، ويقصدون بوجه خاص مولانا الأستاذ - رضوان الله عليه - ولو لم تكن بأيديهم أية بينة على أنه يستلم الزكاة من أتباعه، فاقتضى نظر الأستاذ وقتئذٍ أن يطفيء نار حسدهم بهاته

---

1) وهو قول الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام:
(ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم).

الرسالة، عساهم يرتدعون عن فضولهم، ويشتغلون بما هو أهم، ولكن لا تبديل لخلق الله، كلما قيل لهم: **(لا تفسدوا في الأرض، قالوا إنما نحن مصلحون)** «البقرة: 11».

قال الأستاذ أيده الله:

سيدي مدير جريدة «النجاح» المحترم، رعاكم الله، قد كنا وقفنا في جريدتكم الغراء على مقالة يتساءل صاحبها عما يدفع من الأموال لأرباب الزوايا، أو يستجلبونه بواسطة المقدمين بقصد الزكاة، هل هو مجزي؟... أو قال كلاما هذا معناه، وبتلك المناسبة ظهر لي أن نذكر لكم في هاته العجالة ما تبرأ به الذمة إن شاء الله، ويتعين عليكم نشره.

فأقول: أما مصرف الزكاة لغير الأصناف الثمانية لا يحتمل الجواز إلا إذا كان بضرب من التكلف، لأنها فريضة من الله، ولكن لا يمتنع أن يكون في أرباب الزوايا من يصدق عليه الوصف بعينه، كأن يكون مسكينا أو مدينا، أو غير ذلك، فلزم أن يبقى القول حينئذ بعدم الجواز معلقا على تحقيق الوصف، هذا من وجهة، ومن وجهة أخرى، يحتمل أيضا أن يوجد في أرباب الزوايا من يأخذها ليصرفها في أبوابها، وإن كان هذا الاحتمال الأخير لا تنهض به حجة لدى الخصم حسب المتبادر، ولكنه على كل حال هو مظنة الاحتمال، فلا يعدم تأثير في تأخير الحكم، إلا بعد تحقيق الواقع، والله أعلم. وهذا من حيث الإجمال.

أما ما يرجع لشخصيتنا على التعيين، فأقول بكل صراحة: إن دفعها لنا غير سديد، على ما يقتضيه الوصف الحاضر، وبما أنه

لا نخلو من بعض الإحسانات ترد علينا من الخارج، لا ندري ما هي نية أربابها في ذلك، لزمني أن نقول: إن كان في أولئك الأصدقاء من يريد بإحسانه أداء ما وجب عليه من حق الله، فإني أنصح له أن يدفعه لمن هو أحوج منا، وإن أبى إلا أن يكون مرور ذلك على يدنا، فنلتمس منه بكل إلحاح أن يبينه لنا، على أن المبعوث به من حق الله، فعسى أن تسمح لنا النفس اللئيمة بصرفه لأربابه، والأولى أن لا يصلنا ما نتحمَّل تبعته، والسلام.

الرسالة التاسعة عشر

أجاب الأستاذ عن هذه الرسالة، فأحسن الجواب، ولو لم يكن من أئمة النسبة، لما أمكنه أن يقول فيه بتلك الصراحة التي أنبأت عن علو كعبه، وعزيز ذوقه، والقاريء مهما تأمل الرسالة ولو قليلا، يدرك منها لا محالة ما ذكرناه من غير شك ولامين، قال رضوان الله عليه:

إلى الجناب المحترم ولي الله الشيخ سيدي « محمد بوشناق » حفظكم الله ووقاكم، والسلام عليكم وعلى من معكم من المنتسبين إلى الله.

سيدي فإن المكتوب الذي وجهتموه إلينا، قد توصلنا به، كما وقفنا على نص سؤالكم المتضمن: كون أحد المقدمين من إخواننا المنتسبين، قد كان توفي أستاذه ولم يترك من يخلفه في مقام الدلالة على الله، سوى ذلك المقدم، غير أنه لم يكن بيده إذن صريح من أستاذه في ترقية المريدين، وتدريجهم في طريق

السلوك إلى الله، سوى أنه كان كلفه قبل موته بأيام بتذكير بعض المريدين، كانوا مختلين للذكر، وكان أستاذه عاقه عن تذكيرهم ما وقع له من المرض، فامتثل التلميذ لذلك، وبعد وفاة الأستاذ، ظهر على ذلك المقدم من الإقبال، وغير ذلك من الشواهد التي تدل على استعداده، فهل يكون ذلك كافيا له عن الإذن الصريح في تسيير المريدين على طريق السلوك؟ أم لا بد له من إذن صريح، أم كيف العمل؟ فهذا ما فهمته من مضمون سؤالكم.

الجواب والله يلهمنا وإياكم إلى الصواب:

الإذن في ترقية المريدين في دلالتهم على الله عام وخاص، أما ما يرجع للإذن العام في نحو الأذكار المشروعة، والأعمال الصالحة، لا يتوقف على ما يتوقف عليه الإذن الخاص، وهو على قسمين أيضا:

فالأول: يرجع إلى تلقين المرشد للمريدين الأذكار الخاصة، بسلوك الطريق، ويبعثهم على الذكر والتوجه، ويفوض الأمر إلى الله، فيما يفتح به على قلوب الذاكرين من الحقائق وأنواع المعارف، والمعنى أنه لا يقتحم تلقين تلك الحقائق للمريدين بنفسه.

والقسم الثاني من الإذن: هو أن يزيد المرشد على ما بعث المريد عليه من الأذكار، وما ألزمه من أنواع الطاعات، تلقين بعض الحقائق حسب استعداد المريد وقابليته، لأجل توسيع دائرة معارفه في الإلهيات، إلى أن ينتهي به السير إلى ما يجعل معرفته بالله ضرورية، وهذا الآخير هو الذي يحتاج المرشد فيه

إلى الإذن الصريح، وإلى ما هو أصرح من الصريح، إن استطاع، لأن صاحب هذا المقام يريد أن يتسور المحراب، وإذا فلا بد أن يكون برضاء صاحب الحضرة وبإذنه، وبعبارة أخرى، إن صاحبه يريد أن يفتح بابا في سياج قد سد في وجوه الخلق عامة، إلا من ارتضاه الله من عباده، فلا يحسب أن الأمر هين.

أما الذي اختاره أنا لهذا الأخ، هو أن يقيم على وظيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا عليه أن يبعث المريدين في الأذكار الخاصة، بدون ما يهجم على تلقين الحقائق إليهم، حتى يعلم حكم الله في ذلك من نفسه، أو يعزه على ذلك مرشد، كان ذلك الأمر من شأنه، ليعتمد عليه في ذلك الأمر المهم، وكل ما قدمناه يتوقف على خلاص ذلك المريد في نفسه، وفراغه مما يتعلق بإصلاح ظاهره وباطنه، والله يصلح شأننا وإياه وشأن إخواننا المسلمين آمين، والسلام.

الرسالة الموفية للعشرين

نثبت هذه الرسالة مع ما أثبتناه من رسائله، لما احتوت عليه من كيفية تلقين الاسم الأعظم الذي كان يعالج به أتباعه، وهي كيفية مباركة سريعة الإجابة، بحيث قد انتفع بها كل من صحبه على نية سلوك الطريق، إلا ما شاء الله، والله يخلق ما يشاء ويختار، قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

إلى من خصصته العناية الإلهية، وحركه داعي الشوق إلى المراتب السنية، فكان ذلك منه باعثا على البحث، عساه أن يجد من يأخذ بيده إلى الله، فيا حبذا الباعث، فما هو إلا توفيق من الله، لا أحرمنا الله والطالبين من عموم إخواننا مما يقربنا إلى الله.

هذا وإننا قد كنا توصلنا بكتاب لطيف بقلمكم أيها الأخ المحترم، ولي الله، الشيخ سيدي «عبد الفتاح بن الشيخ محمد البطران» من بلدة الفالوجي، وفيه عرفتمونا عن بعض خطواتكم التي كانت لكم في طريق الله، سدد الله لكم ما بقي من ذلك على الوجه الأكمل، وتأخرنا عن إجابتكم، لسبب، ولعله لم يفتكم العلم به، وهو ما لحقنا من الضعف البدني، حتى في هذا الأخير وقعت في يدي رسالتكم، وها أنا الآن أجيبكم معتذرا عن ذلك التأخير الذي لم يكن إلا اضطرارا، وعلى كل حال سيدي فإنَّا نشكركم على بحثكم، ودوام توجهكم، وحسن نيتكم فينا، على أن الله يجازيكم، وهو المأمول في التحصيل على ما ترجونه.

أما الذي يخصكم سيدي من جهة الأوراد الآن، هو الاشتغال النهائي والفناء الكلي في ذكر الإسم الأعظم، بالكيفية المعهودة «عند القوم» التي تلقيناها من أهل هذا الفن، فإنه لم يكن أقرب ولا أنفع طريق منها في السير إلى الله، وذلك، أن ينفرد المريد بمحل مخصوص، يتأتى له فيه جمع الهمة على الله، ويكون طاهرا مستقبل القبلة، مغمضا لعينيه، جامعا لحواسه، مخيلا لحروف اسم الجلالة بقلبه، حتى كأنه يراه، ثم يدوم على

ذكره وهو قولنا: (الله) جهراً بالمد يجاوز الحد الطبيعي، مع تغليب مخارج الصدر حتى كأنه يصعد من أعماق جوفه، ويدوم على تلك الحالة حتى ترتسم حروف اسم الجلالة في مخيلته، ثم يتكلف بعد ذلك، لأن يرى الحروف ممتدة من السماء إلى الأرض، مالئة للأفاق، ثم تظهر له بعد ذلك نورانية، أي شبه خضرة أو صفرة، وكل هذا يدركه بقلبه بسهولة، مع تمرين اللسان على الذكر، والحضور بالقلب مع المذكور، وعند ما يحصل على هاته الحالة الكريمة، ينقله المرشد إلى حالة هي منها أرفع، وإننا أجزناكم في ذكر هذا الإسم المعظم الأعظم، حسبما أجزنا فيه، والرجاء في الله أن لا يحرمنا وإياكم من بركاته آمين.

الرسالة الحادية والعشرون

إن حضرة المأسوف عليه، الشيخ «مصطفى حافظ» رحمه الله، هو الذي وقعت من أجله هذه التعزية، وقد كان عند الأستاذ من الأتباع الذين يعتمد عليهم في الدعاية والتذكير، ولهذا كانت موته شديدة الوقع على الأستاذ - رضوان الله عليه - قال من رسالة في تعزيته:

صادق المودة، أخونا المخلص، حضرة سيدي «عمر راسم» سدد الله أعمالنا وإياكم، والسلام من الله يحميكم، من شر ما كان وما يكون.

إنه وافاني شريف كتابكم، المعرب عن تأثيركم الشديد،

ومثلكم من يتأثر لفقد أخ فريد في أُخوته، صادق في مودته، فإنه والله كما وصفتموه، فإنكم بوصفكم ذلك، أجريتم دمعتنا، وحركتم لوعتنا، وزدتم فيها زيادة نحتسب تأثيرها على الله عز وجل، فإني لا أظن أن يوجد من يعترف للشيخ مصطفى حافظ من أصدقائه، مثلما عرفتموه أنتم، فكان من إختيارنا البقاء له لنستعين به على خطوب الدهر المدلهمة، وكان من أمر الله أن يختار له الرفيق الأعلى، فلنعم الاختيار، اختيار الله، والسؤال منه تعالى أن يمنحنا وإياكم تسلية من عنده، ويمطر على روح الفقيد من رحمته المطلقة ما يغنيه عن هذه الدار الفانية، وأهلها المفتونين، والسلام الخالص يشملكم ومن معكم من المحبين والسلام.

الرسالة الثانية والعشرون

يرى من هذه الرسالة ما كان له من النفوذ الروحاني، والصيت الذائع الرباني، ولو لم يكن كذلك، لما أذعنت له علماء هذه البلاد وأمراؤها، وهو عن ديارهم بمراحل تقدر بأقطار، ومَمَالِك وبحار، ومفاوز، كل ذلك لم يعقهم عن الاقتداء به، والانتفاع بسره وأنواره، إلى أن قل أن تجد بلدا من بلدان اليمن الميمون، لم يكن له فيها ذكر، ولو حتى ببلاد الإمام - أيده الله - إن لم نقل ببيته نفسها، ذلك البيت العامر، زاده الله عمرانا على عمران، و (**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم**) قال - رضوان الله عليه - من رسالة إلى قاضي مدينة « حجرية » حرسها الله:

الجناب الأرفع، والصادق الأنفع، أخونا في الله، والمحب من أجله، صادق المودة، ولي الله، الشيخ سيدي « محمد بن علي مجاهد » وفقنا الله وإياكم للجهاد في سبيل الله، وأعظم جهاد قمع جماح النفس من غوايتها، ثم النصيحة في ذات الله، وحفظ الأوقات، وتعميرها بحقوق الله على العبد ما استطاع، وفقنا الله وإياكم لسلوك هذا السبيل.

وبعد السلام اللائق بمكانتكم، قد كان كثيراً ما يبلغني عنكم من الأخبار السارة التي هي عنوان على قوة إيمانكم، وسديد إخلاصكم لأهل نسبة الله، وهذا زيادة على المكتوب الذي شرفتمونا به، وما عاقني عن إجابتكم إلا ما كنت عليه من شديد الضعف البدني، وإلى الآن لا زال الأثر مستحكما، والدعوة الصالحة من أمثالكم مقبولة إن شاء الله.

والذي سررت به بوجه خاص، هو ما كان بلغني عن إبنكم المبرور، من حسن السيرة التي سيكون إن شاء الله ثوابها في ميزانكم يوم القيامة، وقد كنت كاتبته برسالة نتمنى على الله أن تكون وصلته، ثم إنه كان بلغنا ما لحق إخواننا من التشويش الذي أدخله عليهم بعض المغرضين، وهو شأنهم الذي لم يسلم من مقتضاه إلا من أيده الله، ولكن لنا اليقين الجازم في عدل أمراء الإمام، ما داموا تحت رعايته - صانه الله وحفظ به هذا الدين - أن لا يروج عليهم ما تختلقه المرجفون، وذلك نظير ما فعله البعض من ذلك الرهط في مدينة تونس، ولكن أمراء البلاد وعلماءها ردوا كيدهم بما تحقق لديهم من سيرة أتباع هاته الطريق ومؤلفاتها، وما ترمي إليه تعاليمها التي من بعضها كتاب

(القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول) وهي العقيدة العامة لأهل الطريق، أما ما ينشأ من الوجدانيات شأنه الاستغراق في الأذكار على طريقة السلف الصالح، فإنهم **(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون)** «الذاريات : 17 - 18» ومن طبع الله على قلبه لا يرى لذلك نتيجة، أصلح الله قلوبنا وقلوب إخواننا المسلمين، ولا تنسونا من صالح أدعيتكم، ولكم الفضل وعلى محبتكم الدائمة والسلام.

الرسالة الثالثة والعشرون

ومما كان يراسل به ابن القاضي المذكور، وهو نائبه في الحكم :

صادق المودة، طيب النشأة، الإبن الصالح، سيدي محمد بن محمد المجاهد، صان الله شمائلكم، ورفع شأنكم، ما دمتم لله ذاكرين، ولحزبه ناصرين **(وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم)** «آل عمران : 126» والله ينصر من ينصره بالغيب.

سيدي فإننا مسرورون جداً بما بلغنا عنكم من حسن توجهاتكم، وإخلاصكم لنسبة الله، هذا زيادة على مكاتبتكم التي اتحفتمونا بها، بارك الله لنا فيكم، وحفظنا في وجود أمثالكم، ودعونا لكم بما يتقبله الله، ووصيتنا لكم بعد العمل بتقوى الله ما استطعتم، أن تكونوا للمنتسبين عمدة ووقاية من كيد الكائدين، والله في عونكم، قد كان بلغني ما وقع من التشويش لإخواننا من بعض الحسدة، لكن الظن في الله جميل،

زيادة على عدل الإمام صانه الله، وإننا لمسرورون جداً بما يبلغنا عن عدله في الرعية، وهكذا عدل أمرائه، وحرصهم على صيانة دين الله، وحفظ البلد الطيب من أعداء الله، وفي الأخير أرجوكم أن ترفعوا منا عاطر السلام لكل من يلوذ بكم من المؤمنين، وغلى الأخص والدكم المبرور، وإننا سنكاتبه برسالة إن شاء الله، دام حفظكم، وعلى محبتكم الدائمة، والسلام.

أما ما أجازك به البعض من إخواننا أهل الطريق، فقد صادقنا على ذلك، ورجونا من الله أن ينفعك بما أجزت فيه.

الرسالة الرابعة والعشرون

حرر مولانا الأستاذ - رضوان الله عليه - هذه الرسالة برغبة بعض أتباعه، تسلط عليهم أحد المتفيهقين بقوله: من لم يحسن ترتيب المقدمة، واستنتاج البراهين، لا يعول على توحيده!

فأجاب الأستاذ سؤاله بهذه الرسالة المباركة، دفعا لشبه المعترضين، فجاءت درة يتيمة في بابها، قال رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

حمداً لمن تعرف لكل فرد حسبما تسعه حوصلته، والصلاة والسلام على أعرف الخلق بالله جل شأنه، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره، قادة الخلق في كل زمان وهداته.

أما بعد: فيقول المعترف بتقصيره القوي، عبد ربه أحمد بن مصطفى العلاوي، قد سألني بعض المحبين أن نذكر له نبذة من

عقائد الدين، بكيفية يسهل تناولها للمبتدئين، بدون احتياج لفهم اصطلاح المناطقة في ترتيب المقدمات، ونتائج البراهين، فأجبت سؤاله مستعينا برب العالمين، قائلا: إن الله مهد لكل نفس هداها، **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** «البقرة : 186» فكتبت هذه المقدمة وسميتها بـ (القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول) وحصرتها في ثلاثة أقسام يجب على المكلف الاعتناء بها.

تنبيـه: هذه الرسالة المسماة بـ « القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول » حذفناها من هذا المجموع لأنها طبعت مستقلة بالمطبعة العلاوية بمستغانم فلا داعي لإدراجها ضمن الرسائل.

الرسالة الخامسة والعشرون

سبب إنشاء هذه الدرر الغالية في تلك الآية الكريمة، أحد الفقهاء المتقين الذين لم تحجبهم المعاصرة عن أهل زمانهم من أهل الله الكاملين، والأصفياء الواصلين، فتشوفت نفسه الزكية، إلى اللآلىء المكنونة في سورة « والعصر »، فرأى البحر طافحا، والغوص بعيدا، ولا يمكنه الوصول إليها إلا بواسطة أهل الغوص والمعارج، أولئك الأقلون عددا، الأكثرون مددا، الأعظمون قدراً، فتوجه إلى الأستاذ بخالص النية، وطلب منه أن يحرر له شيئا بلسان الحق، وقلم الصدق، فجاء الجواب طبق رغبته، والله عند ظن عبده به، قال الأستاذ رضوان الله عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل من آيات أوليائه ما يجري على ألسنتهم من المعارف، ويتحفهم به من اللطائف، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه، وأعز أوليائه، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته، وعلى جميع أمته المستقدمين منهم والمستأخرين، آمين... الخ.

تنبيه: لم ندرج هذه الرسالة الخاصة بتفسير سورة (والعصر) لكونها مطبوعة في كتاب مستقل بالمطبعة العلاوية بمستغانم تحت عنوان: «مفتاح علوم السر، في تفسير سورة والعصر».

الرسالة السادسة والعشرون

نثبت هذه الموعظة ليعم نفعها، وخير العلم ما عم نفعه، وهي بحق موعظة حسنة لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، لأن الكثير من الناس لا يثبت عند مصيبة الموت، كيفما كانت، وخصوصا إذا نزلت بعزيز، كما في هذه النازلة، والمواعظ من حيث هي حسنة، غير أنها تتفاضل في الحسن بحسب مواقعها، وعليه فإذا كان فيها فاضل ومفضول، فهذه موعظة فضلى.

قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وآله وصحبه وسلم.

جناب الأخ الجليل، المحب الجميل، ولي الله سيدي (...) عليكم من الله عاطر السلام، ما يحميكم من طوارق الأوهام، المفضية إلى ضيق النفس وعدم سكونها تحت مجاري الأقدار.

هذا وإن رسالتكم اتصلت بيدي، وإني تغبنت وتأثرت على ما أصابكم من انتقال ثمرة فؤادكم إلى دار الأبد، أسكنه الله فسيح الجنان، غير أنه ساءني عدم ثباتكم لهاته المصيبة، أكثر مما ساءكم انتقال ابنكم، وأنتم على علم من أن الصبر حسن، ويكون من أمثالكم أحسن. ثم إني أقول:

إن قضية بين الإبن وأبيه لا محيد عنها، وذلك أن يذهب الأب ويترك الإبن يتيما، أو يذهب الإبن ويترك الأب عقيما، فليختر الإنسان، وأي شيء يختار من الأمرين الذين لابد من وقوع أحدهما، ومن كان لا يرضى بانتقال الإبن، فقد اختار أن يترك ابنه يتيما، لانه لا بد من انتقال أحدهما في وقت ما، وعليه فإياك - بارك الله فيك - أن تبلغ بك الرأفة عن ابنك إلى أن تصيرك ساخطا عن الله فيما اختاره، فهو سبحانه وتعالى أولى به منك، وما ينفع ابنك لو طالت حياته وكان عاقا لك، أو عاصيا لله، فهل لا تختار له أن يموت طيب النفس، تحصل على ثمرته في دار الأبد، ومثلكم من ينتبه بأقل القليل، والله في عوننا وعونكم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الرسالة السابعة والعشرون

بعث مولانا الأستاذ - رضوان الله عليه - بهذا المكتوب للشيخ مبارك الميلي على أثر طبع كتابه «تاريخ الجزائر» الذي ذكر التصوف فيه حسب غرضه وهواه، متلبسا ببعض النقول عن العلماء، ظنا منه أن ذلك يستر ضغينته ووغارة صدره

على الذاكرين الله، ولكن هيهات العقيق هيهات! فبمجرد ما تفرغ الأستاذ من قراءة ذلك الفصل، حرر هذه الرسالة، فجاءت كعصى موسى بين الحبال والعصي، فانتفت بها المغالطة، وانتفعت بها الأمة، قال ما نصه:

إليكم يا حضرة الشيخ الميلي هذه التذكرة (**والذكرى تنفع المؤمنين**) « الذاريات : 17 - 18 ».

إلى جناب المؤرخ النبيل، فضيلة الشيخ السيد « مبارك الميلي » عليكم جزيل السلام.

أما بعد: فقد كنت وقفت على الجزء الثاني من تاريخكم المسمى: « تاريخ الجزائر » فشكرت صنيعكم من جهة، وانتقدته من جهة أخرى.

لا تظن أيها الأخ، أن لي إطلاعا أكثر مما لكم، إلا من ناحية واحدة فلي الحق أن نراجعكم فيها، ونستفسركم من أجلها، تبعا لما تحقق عندي من كونكم سرحتم القلم فيها طبق غرضكم، وجريتم في تمحيصها تحت تأثير عاطفتكم، وشأن المؤرخ مثلكم أن يكون رزينا في العقل، أمينا في النقل..؟ فإذا كتب في شيء من الأشياء، يستخرج لب الحقائق، ويتتبع ذكر الواقع، ولو كلفه ذلك ما كلفه، وجميع هذا كنت أظنه فيكم، ولكن لما وقفت على الفصل الذي عنونتم عليه في كتابكم « بالتصوف والمتصوفة » فاستبان لي من خلاله نقيض ما كنت أعتقده، وتحققت أنكم كتبتم في هذا الفصل بقلم غير قلم المؤرخ النزيه، الأمر الذي يعرب على أن لكم في باطنكم عن التصوف وأهله شيئا، ولولا ذلك لما عرفتم هذا الفن بغير ما عرفه

به سلفكم من علماء الأمة، ولما التجأتم إلى نقول ليست هي من الفن في شيء، فتارة تنقلون عن الفرنجيين، وتارة عن اليونانيين، وتارة تلتجئون إلى ما قاله ابن سينا، ولم يكف ذلك حتى اضطررتم إلى ذكر ما جعله بعض اليهود من التآليف، فقل لي بربك ما ألجأك إلى هذا التكلف؟ تنقل على أقوام لم تعرف من لغتهم شيئا، حسبما اعترفت في كتابك على نفسك، أظنه كلفك لذلك ما تحاوله من بعث القراء على اعتقاد أن التصوف ليس من التعاليم الإسلامية، وهكذا صرحت من عند نفسك، بأن لفظة التصوف لفظة يونانية..!

دعنا من هذا، ولنرجع لما حدتم فيه عن الصراط السوي، وسنعرفكم به لعلكم ترجعون.

ذكرتم في مفتتح الفصل ما نصه: كان ﷺ مجتهداً في العبادة حتى تورمت قدماه، ولكنه نهى من أراد من الصحابة الانقطاع للعبادة، وصح عنه **(إن الله لا يمل حتى تملوا).**

فقل لي بربك أي شيء تريده بهاته الطالعة، فتكلفت إلى ذكر ما ربما يصادم ما علم من الدين بالضرورة؟ ألم يبلغك انقطاع أهل الصفة للعبادة ليلا ونهاراً وأن الله أمر نبيه أن يصبر نفسه **(مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)** «الكهف: 28» فهل بلغك أن النبي ﷺ نهاهم عن ذلك، أم القرآن جاء بخلاف ما هنالك؟ - لا لا - يا حضرة الميلي... فإن القرآن مدحهم في غير ما محل، قال عز من قائل: **(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون)** «الذاريات: 17» وقال: **(والذين هم على صلواتهم يحافظون)** «المؤمنون: 9»

وقال : **(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)** « النور : 37 » وقال : **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** « الذاريات : 56 » فاتق الله أيها الأخ فيما تكتبه.

على أني لا أقول أن ما كانت عليه أهل الصفة من الانقطاع هو لازم لعموم الأفراد ، لكن نقول : إن القرآن مدح من كان هذا نعته.

ثانيا : إنكم نقلتم عن « ابن خلدون » نقلا لا يتفق مع الأمانة ، وشأن المؤرخ أن يكون أمينا ، وذلك أنكم اقتصرتم على ما استطرده « ابن خلدون » من كون التصوف أفسده بعض الدخلاء ، وتركتم ما ذكره في صدر الفصل عن تعريفه للفن في مقدمته حيث يقول : (إن طريق هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة ، وكبرائها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، طريق الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، ثم فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، فاختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة...).

فلو أنك استجلبت قول « ابن خلدون » من أوله إلى آخره مما هو للمتصوفة وعليهم ، لكنت قد أحسنت للتاريخ ولنفسك أيضا ، ولكنك اقتصرت على ما يوافق ذوقك ، ويعضد صنيعك ، فهيهات هيهات ، لأن الناقد بصير.

ثالثا : إنك ذكرت أن التواجد عند سماع القرآن وغيره كان منكوراً عند الصحابة والتابعين ، ونقلت عن « ابن تيمية »

ما يستفاد منه، أنه كان ينكر ذلك ويعتبره من البدع المنهى عنها، وكيف بك أيها الأخ جنحت إلى ذلك النقل، وتغافلت عما صرح به حضرة « ابن تيمية » في فتاويه في هذا الموضوع حيث يقول في المجلد الأول منها، في جواب عن سؤال بصحيفة «85» قال في آخره في شبه هذا الموضوع ما نصه: (وما يحصل عند السماع والذكر المشروع من وجل القلب، ودمع العين، واقشعرار الجسم، فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسنة...

وأما الاضطراب الشديد، والغشي والموت والصيحات، فهذا إذا كان صاحبه مغلوبا عليه، لم يلم عليه، كما قد كان في التابعين ومن بعدهم، فإن منشؤه قوة الوارد على القلب، مع ضعف القلب، والقوة والتمكين أفضل، كما هو حال النبي ﷺ، والصحابة. وأما السكون فقسوة وجفاء، فهذا مذموم لا خير فيه) إلى آخر ما استجلبه في الموضوع، وإذن فلم عدلتم عن هذا النقل الذي هو أصرح وأوضح إلى غيره، فهل لكم غرض غير الغرض الذي أجاب به حضرة الشيخ « ابن تيمية » ؟ وعلى كل حال، فاقتصار المؤرخ في النقل على ما يوافق بغيته، يبعث الناس على الارتياب في سائر نقوله.

وكان ظني فيكم أن تقتصروا في تعريف التصوف على ما اقتصر عليه علماء الإسلام، وحماة الدين، وجهابذة الملة، كالشاطبي وغيره من المتقدمين، وقد قال في تعريف الصوفية في كتابه « الموافقات في أصول الأحكام » : (الصوفية حجة في علومهم، وهم صفوة الله من خلقه باتفاق) وقال أيضا : (جعل الله هاته الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من غير تمييز،

بعد الرسل والأنبياء) . وقال الشيخ «محمد عبده» من المتأخرين، وناهيك بمنزلته عند أتباعه في شرحه على « مقامات الهمذاني » عند قول المصنف : (فلما تجالينا وأخبرنا بحالنا ، أسفرت القصة عن أصل كوفي ، ومذهب صوفي) قال الأستاذ : (الصوفي نسبة إلى الصوفية ، وهم طائفة من المسلمين ، همهم من العمل إصلاح القلوب ، وتصفية السرائر ، والاستقبال بالأرواح وجهة الحق الأعلى جلّ شأنه ، حتى تأخذهم الجذبات عمن سواه ، وتفنى ذاتهم في ذاته ، وصفاتهم في صفاته ، والعارفون منهم البالغون إلى الغاية من سيرهم ، في أعلى مرتبة الكمال البشري بعد النبوءة) وإذن فأين أنت من هذه التعريفات ؟ فتركتها وجنحت إلى نقل ما عند اليونانيين واليهود مثلا ، وما هو الباعث الذي بعثك إلى تحويل وجهتك عن هاته النقول المأخوذة عن أجلة علماء الإسلام ، إلى غيرها ؟ فإنه لا يخلو الأمر : إلا أن يكون ذلك لحاجة في نفس يعقوب ، ولم يكفك ذلك حتى تكلفت أيضا لأن تجعل لفظة التصوف لفظة يونانية ، الأمر الذي لم يسبقك به غيرك من علماء الإسلام ، والذي ليس لك عليه من دليل ، وغايتكم من هاته المحاولة والله أعلم ، هو تصويرك الفن في نظر القراء بغير صورته ، ولربما أنك تحاول أن تجعل فن التصوف مأخوذا من غير التعاليم الإسلامية ، وهذا هو مربط الفرس ، وبيت القصيد ، على ما يفهم من تخبطكم في تلك النقول ، وحيث كنت على غير علم من نيتكم ، نقتصر على مباحثتكم في لفظة التصوف ، ونعرفكم بأنكم أخطأتم في زعمكم ، وأعربتم عن قصوركم في فن البحث ، والرجاء أن لا يكون هذا القصور مطردا في سائر أبحاث الكتاب .

ذكرتم أيها الشيخ، (أن كلمة التصوف لم تعرف إلا في القرن الثاني، بعد ما ترجمت كتب اليونان في عهد خلافة المأمون بن الرشيد العباسي، وإذن فهي كلمة يونانية) هذا ملخص ما جئتم به، ومهما كان البحث مشتركا فلا تلمني إذا أنا قلت لك إن كلمة التصوف كانت معروفة من قبل أن تؤسس الدولة العباسية، وإذ ذاك تدرك يقينا أن ما حاولتم إثباته هو ناشيء عن قصور، لأني لا أعتقد أنكم فعلتموه عن عمد، ولهذا أقول هو قصور لا غير، وإليك البعض مما اشتملت عليه دفاتر المؤرخين من علماء الإسلام.

أخرج «أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي» المتوفي سنة: «378» في كتابه المسمى «اللمع» أن «الحسن البصري» رضي الله عنه قال: (رأيت صوفيا في الطواف، فأعطيته شيئا فلم يأخذه، وقال: إن معي أربعة دوانق، يكفيني ما معي). والحسن البصري، كانت وفاته سنة: «110 هـ» وهذا النقل كما جاء عن الطوسي، جاء عن التجيبي أيضا، نقله «ابن عجيبة» في شرحه على «المباحث الأصلية»، ويشهد لهذا ما يروى عن «سفيان الثوري» رضي الله عنه أنه قال: (لولا أبو هشام الصوفي ما عرفت دقيق الرياء). «وأبو هشام» هذا كانت وفاته سنة: «115 هـ» ووفاة «سفيان الثوري» كانت سنة: «121 هـ» فتأمل؟

وأخرج «ابن القيم الجوزية» في شرحه على «منازل السائرين» عن «سفيان الثوري» أنه قال: (أعز الخلق خمسة أنفاس: عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغني متواضع، وفقير شاكر،

وشريف سني) فتأمل قوله : (فقيه صوفي) مع ما تقدم من قول « الحسن البصري » (لقيت صوفيا في الطواف) يستبان لكم أن لفظة التصوف كانت معروفة من قبل أن تؤسس دولة العباسيين، على أن تاريخ تأسيسها كما لا يفوتكم ذلك، كان سنة : « 132 هـ » وكانت وفاة « الحسن البصري » سنة : « 110 هـ » .

والذي هو أبلغ من هذا، ما قد كانت أفادتنا به مجلة « المعرفة المصرية » بقلم بعض كتابها، يثبت فيه كون كلمة التصوف كانت تطلق على الزاهد المتعبد من قبل مجيء الإسلام، مستدلا بما جاء في الكتاب الذي جمع في أخبار مكة، عن « محمد بن إسحاق بن بشار » المتوفي سنة : « 115 هـ » قال : (دخلت مكة في وقت من الأوقات، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي يطوف بالبيت وينصرف) . هذا ما أفادنا به حضرة هذا الكاتب.

أما في تاريخ ولاية « المأمون بن الرشيد » فإن التصوف كان معروفا منتشراً بين أهله، وما كان ليفوتك هذا يا حضرة الأخ، وأنت المؤرخ الذي كان من حقك استطلاع الحقائق، وإثباتها على ما هي عليه، وإليك شيئا مما يشهد لما ذكرناه، ذكر « أبو عمر محمد بن يوسف الكندي » المتوفي سنة : « 350 هـ » في كتاب « ولاة مصر » في حوادث سنة مائتين قال : (إنه ظهر بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية، يأمرون بالمعروف في زعمهم، ويعارضون السلطان في أمره، فترأس عليهم رجل منهم يقال له « عبد الرحمن الصوفي » ومعنى معارضتهم للسلطان إلزامه بتنفيذ الأحكام الشرعية) ومثله ما ذكره « المسعودي »

في كتابه «مروج الذهب» في كلامه على «يحي بن أكتم» قال: (إن أمير المؤمنين «المأمون» كان يوما جالسا، إذ دخل عليه «علي ابن الصالح الحاجب» فقال: يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب، عليه ثياب بيض، غلاظ مشمرة، يطلب الدخول للمناظرة، فعلمت أنه بعض الصوفية، فأردت أن أشير أن لا يؤذن له، ولكن تحدث مع الأمير وخل سبيله، فأمر «علي بن الصالح» أن يوجه من يتبعه، حتى يعلم أين قصد، ففعل ذلك، ثم رجع، وقال يا أمير المؤمنين وجهت من يتبع الرجل، فمضى إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا في هيئته وزيه، فقالوا: لقيت الرجل «يعنون الأمير» قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال: ما قال لي إلا خيرا، ذكر أنه ضابط أمور المسلمين، حتى تأمن سبلهم، ويقوم بالحج، ويجاهد في سبيل الله، ويأخذ للمظلوم من الظالم، ولا تتعطل الأحكام، فإذا رضي المسلمون برجل، يعني غيره، وأجمعوا عليه سلم إليه الأمر وصار من رعيته، فقالوا: ما نرى بهذا الأمر بأسا، وافترقوا).

والشاهد أن لفظة التصوف كان معروفا من قبل خلافة المأمون، وأن أهله كان لهم وجود، وكانت لهم مكانة في نظر الأمراء، وبهذا النقل وغيره يسقط ما ادعيتموه يا حضرة «الميلي» من كون لفظة التصوف ما عرفت إلا بعد ترجمة كتب اليونان، وهذا ما التزمنا بإيضاحه لكم. وفي الأخير أنصح لكم إذا أردتم مرة أخرى استيفاء البحث في فن من الفنون، فلا يضركم أن تستعينوا على ذلك بأهل الفن، لأنهم أدرى وأحرى أن يلتجأ إليهم في فنهم، أما الترامي وتسور الجدران، فإنه يزري بالعلماء أمثالكم خصوصا بالمؤرخين، ولكن لا عاصم اليوم، وبعد اليوم من أمر الله، إلا من رحم ربي.

الرسالة الثامنة والعشرون

قد جعل الله لكل مرشد معاصرا يغمط من حقه، ويحسده على ما آتاه الله من فضله، ونحن إذا أمعنا النظر بإنصاف فيمن كان يعاصر الاستاذ – رضوان الله عليه – فلا جرم إذا قلنا ذلكم هو الشيخ « عبد الحميد بن باديس » وقد كاد دور معاصرته أن يكون شبيها بدور « ابن البراء » مع « الإمام الشاذلي » قدس الله سره، ولكن كل ذلك لم يستفز الأستاذ ليجاريه في انفعالاته ، بل كان يعالجه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسن، شأن الأكابر المتقين، ومما كان يراسله به هذه الرسالة التي تغني قارئها عن ترجمة مولانا الأستاذ، من جهة ما يرجع لعظيم خلقه، وصدق توجهه إلى الله، قال طيب الله ثراه:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

الجناب المحترم، فضيلة الشيخ « عبد الحميد بن باديس » سدد الله عملنا وإياكم، وسلام من الله يغشاكم.

هذا أخي، إنه وافانا شريف كتابكم، المنبيء عن كمال اعتنائكم، فلكم الفضل، ولحضرة الأخ المفضال الشيخ « عبد العلي » فقد أفادنا الإجتماع به نظير ما أفادكم، فلنعم ما عرفتم.

أما ما جرى به القدر، فالأمر موكول فيه لحسن المقاصد، فما علينا وعليكم إلا تصحيح النية فيما نراه مستجلبا لرضاء الله عز وجل، ولا يخفاكم كون الله جلت قدرته لم يكلفنا وإياكم إصابة الصواب، إنما يكلفنا الظن فيما نعمله، أو نقصده كونه صوابا، فإن نحن أصبنا فالمنة لله، وإذا نحن أخطأنا فرجاؤنا في الله أن يأخذ بيد المخطئين الغير المتعمدين، لنكون في جملة من أخذ الله بيده والسلام.

الرسالة التاسعة والعشرون

نشرت هذه الرسالة على صفحات الجريدة بنصها وفصها، أخذاً بخاطر صاحبها، رجاء أن يرتفع عنه ما توهمه الناس فيه من أنه أخذ « الطريقة العلاوية » عن صاحبها - رضوان الله عليه - ظنا منه أن الطريقة العلاوية مقصورة في تعاليمها على فرد دون آخر، ولما تبين أنها طريقة السنة والكتاب، وجد نفسه آخذا لها من حيث لا يشعر، غير أن صاحب الشعور له الفضل على غيره، لأن الرجل - والحق يقال - من طلبة العلم الذين كانوا يحترمون الأستاذ، ويجلون مكانته، ويتفرسون فيه خيرا كثيرا للإسلام والمسلمين، ولهذا اتهمه من لا يرجو لله وقارا، أنه ممن أخذ الطريقة على الأستاذ أخذاً عرفيا، وهو وإن لم يأخذها أخذاً عرفيا، فقد أخذها أخذاً شرعيا كما ذكرنا. وهذا نص جواب مولانا الأستاذ رضوان الله عليه:

ومن ذا الذي ينجو من الناس سَالِماً ☆ وللناس قَالٌ بالظنون وَقِيلُ

من عبد ربه، وأسير ذنبه « ابن عليوة » إلى صديقنا الملاطف، الأستاذ « أبي يعلى » دام علاكم، وسلام الله عليكم ورحمته تغشاكم.

سيدي إنكم شرفتمونا بما استفسرتمونا من أجله على صفحات « البلاغ » الأغر، من كونكم هل أخذتم طريقتنا، وهل دفعنا لكم ما تسبب عنه ثناؤكم علينا، وهل وهل؟ مما لا يتوفر بأيدنا برهان على نفيه، وعلى فرض توفره فهل يكون كافيا عند

المقابل في نفي جميع ما قيل فينا أو يقال، مما يمكن ومما لا يمكن؟

وعليه، فما هي فائدة تلك الجزئية التي خصصتموها بالذكر مع بقاء غيرها، مما لا يحصى كثرة؟ اللهم إلا إذا كان بالنظر لما يرجع إليكم بالخصوص من كونكم هل أخذتم طريقتنا إلى غير ذلك؟

فأقول: أما طريقتنا فلا شك أنكم عاملون على سلوكها، ما دامت هي عبارة عن محاولة تطبيق أحوال المكلف الظاهرة والباطنة على ما جاء به الشرع الشريف تطبيقا محكما، حتى يصح للمسلم أن يقول أنا مسلم بكل معنى الكلمة، والواقع بالنظر لأحواله وأفعاله يصدقه.

وعليه، فمن كان سائرا وراء غير تحصيل هاته الغاية الشريفة، فهو يعتبر خارجا عن طريقتنا، ولو كان متظاهراً لنا بكل محبة.

وهذا ما نعتمده طريقا موصلا إلى الله عز وجل، ونأمل من كل مؤمن سلوكه.

وأما كونكم أخذتم عنا من الدنيا ما تسبب عنه ثناؤكم علينا، فهي مسألة لا يقوم على نفيها برهان، أكثر من أن نلحقها بغيرها من المختلقات، ونبتهل إلى الله بما ابتهلتم به أن يأخذ حقه منا إن كنا كاذبين.

قلنا هذا إسعافا لما اقترحتموه علينا، وإلا فنحن على يقين من عدم السلامة من الناس، ما دام للناس قال بالظنون وقيل.

الرسالة الموفية للثلاثين

أقول: إن سبب تحرير هذا الكتاب معلوم من عبارته، لا يحتاج إلى ترجمة أسباب دواعيه، إلا مسألة واحدة ولا بد من ذكرها لما ربما تخفى على القاريء، فيفوته السبب الوحيد الذي كان مثيرا لعواطف الشيخ « كحول » رحمه الله، المرسل إليه هذا الكتاب.

كان الشيخ « كحول » قبل حلول الطريقة العلاوية بعاصمة « الجزائر » يعتبر شيخا وقورا، سواء عند الأمة، أو الحكومة، وأنه ما من حديث يقع في البلدة سواء دينيا أو سياسيا إلا ويكون للشيخ « كحول » به مساس، واستفحل أمره في هذا الشأن، حتى كان إذا أولمت وليمة ولم يدع إليها، كان صاحبها ملوما عنده، فبينما هو على هاته الحالة وإذا « بالطريقة العلاوية » قد دخلت بالجزائر، وفتحت زاويتها، وأصبحت الناس تحجها أفواجا أفواجا، فظهرت عليهم نتيجتها من تهذيب الأخلاق، والمحافظة على الصلوات، فلم يلبث حضرة الشيخ أن تحرك لهذه الحركة الفجائية، ولم يأل جهدا في إطفاء نورها بكل ما أوتيه من الوسائل، فلما رآه الأستاذ – رضوان الله عليه – في ذلك الشغب الذي لا يليق بشيخوخته بعث إليه بهذا المكتوب، لعله ينتبه من غفلته، ويتوب من ورطته، قال – أيده الله – ما نصه:



كتــاب معقــول
إلى فضيلة الشيخ كحول

إني أقصد بكتابي هذا إستفسارك أيها الإمام المحترم، وما أظنك أن تقبل التنزل إلا مكرها، لأنك لم تتعوده على ما يظهر، وكيف تتنزل وأنت ترى نفسك حاكما قبل كونك إماما ؟ ولولا ذلك لما أصبحت تبرق وترعد، وتنهر وتطرد **(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه)** « النور : 36 » فمنعتها من أن يذكر فيها اسم الله، ويتلى فيها كلام الله، بلغني عنك أيها الإمام ما يستبعد صدوره من مثلك، قيل : إنك شردت تلاميذة « جمعية السلام » وأساتذتها من المسجد الذي أنت الحاكم فيه، كما أنك الحاكم في « جمعية المساجد » على ما تزعم، ولولا ما تخلد في فكرك من ذلك الزعم الباطل، لما تجشمت تلك الجناية الفظيعة من غير مبالاة، فطردت جماعة من المسلمين، وفرقة من أبنائهم من بيت الله، جاءوا على نية تعميره بشيء من تلاوة كلام الله، وسرد بعض الأنظام في مدح رسول الله ﷺ، احتفالا منهم بالمولد الشريف، والإعراب عن سرورهم وابتهاجهم ببعثته المباركة عليهم وعلى العالم أجمع، وعلى نية تربية أبناء المسلمين على حب مساجدهم، وتعمير أوقاتهم بالتردد عليها، عسى أن يحيوا ما اندرس من سيرة سلفهم الذين **(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)** « الذاريات : 17 ».

كانت « جمعية السلام » تظن و **(إن الظن لا يغني من الحق شيئا)** « النجم : 28 » أن تلقى من القائمين على المسجد،

وعلى الأخص من إمامه ما تلقاه الأبناء من الحفاوة في حال إقبالهم على الرحماء من آبائهم، وقد كانت ترى الجمعية أيضا، أنها قد أحسنت صنعا لعموم الجزائريين، وللخاصة منهم على الخصوص الذين أنت من أفرادهم يا حضرة الإمام، لأنها جمعت من أبناء الضعفاء والأيتام من خانهم الدهر من أبناء جنسك، وخانهم عدم وجود الرحماء مثلك أيها الإمام، فكفلتهم «الجمعية» بما تستطيع إليه، وحملت على عاتقها تربيتهم وتحسين شؤونهم، وتلقينهم من المباديء الدينية، والأخلاق الإسلامية ما يضمن لهم بقاءهم على دين آبائهم، (**ذلك الدين القيم**) الذي لم يجد من بين أمثالكم ناصراً، وكان حقكم أن تفدوه بالنفس والنفيس، ولكن خاب الأمل، وكان الأولى لكم أن تستقبل يا حضرة الإمام أولئك التلاميذة وأساتذتهم، فارحين مسرورين بقدومهم، وتجلسوهم مجلسا مباركا، وتطلقوا ألسنتكم بالثناء على عمل الجمعية بأبلغ عبارة تستطيعونها، وهكذا تبدي لأولئك التلاميذة من اللطف، ولين الجانب مما يجبر كسر قلوبهم، فتمسحوا برأس اليتيم، وتضموا إليكم العديم بيد لينة، وعطفة رقيقة، وتنظروهم بعين الرأفة والرحمة والشفقة، فتبعثوا بذلك فيهم من الأمل ما ينسيهم فقدان آبائهم، بما يتمثل لهم من حسن الأبوة في شخصكم، ثم إن أمكنكم بعد ذلك أن تصحبوهم لمنزلكم، فاصحبوهم على نية التبرك بهم، وجبر خواطرهم وبث روح النشاط في رجال الجمعية، ثم تبسطوا عليهم من الخيرات ما ترونه صالحا لذلك الموسم الشريف، ثم تزودوهم بما تستطيعون إليه من الإعانة، وعلى الأقل بوصية تتبعها حسن

رعايتكم، ثم تعطوا وعدا صادقا لرجال الجمعية بأنكم في إعانتهم بقدر الجهد المستطاع، هذا هو أقل واجبك أيها الإمام.

وعليه، فأين هذا مما فعلته من تشريدك أولئك التلاميذة، وتشتيتهم عن ساحة المسجد من غير ما مبالاة بمشروع الجمعية، ولا بجهود رجالها، ولا بما قصد التلاميذة الاحتفال من أجله، أتسمح رأفتك أيها الإمام أن تبعث أولئك التلاميذة مرذولين مقرحين، تفيض أعينهم من الدمع حزنا على ما فاتهم من وجود الرأفة في شخصيتكم، فيخرجون من مسجد لم يبن إلا لأجلهم، وأين المروءة أيها الإمام، وأين الرأفة والشفقة، وغير ذلك من الأخلاق التي جاء بها الإسلام! وعلى فرض أن يفقد جميعها من شخصكم، فكان يبقى لكم على الأقل شيء من الحياء، يمنعكم من ارتكاب تلك الجريمة التي سيسجلها لكم التاريخ من بين غضونه، ومن غريب شكلك أيها الإمام، أنك لم تقف عند هذا الفعل الفظيع، حتى حاولتم الوصول إلى ما هو أفظع منه، فقمت بالفعل تحاول الوصول إلى منع احتفال العلاويين بالمساجد، فأقبلت تطوف على زملائك المتغذيين بلبانك، تأخذ إمضاءاتهم على أن يآزروك في مصيبتك! وأي مصيبة أعظم وأقبح **(ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها إسمه، وسعى في خرابها)** «البقرة : 114» فيا ما أجرأك على تخريب بيوت الله...!

فقل لي بربك أيها الإمام المحترم، أي شيء أزعجك من وقوع احتفال العلاويين بالمساجد، فهل دروسهم التي تلقى في تلك الأيام البيضاء من العلماء الأعلام؟ أم مواعظهم ونصائحهم التي تلقيها الأفاضل والسادة الكرام؟ أم خطاباتهم التي تلقى

على عموم الحاضرين، لينتبه النائم ويستبين الغافل؟ أم تلاوتهم لكتاب الله جماعات وفرادى؟ أم ترنمهم بالمدائح النبوية بأصوات شجية تزيد في النفوس الطيبة إيمانا على إيمانها؟ أم اجتماع المسلمين شرقيهم وغربيهم على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم على نية تعاطي أسباب المودة وروح الألفة والتعارف، والتفاهم فيما يهمهم من شأن دينهم ودنياهم؟ أم أي شيء أزعجك، فهل رأيتهم إجتمعوا على شبه طبل أو مزمار، أم رأيتهم يتكالبون على جمع الدرهم والدينار؟ لا وربي بشهادة من حضر الإحتفال، وداوم على الحضور فيه السنين الطوال، فإنه لم ير ولن ير إن شاء الله ما يمجه الطبع أو يخالف الشرع، وإذا فما أراك إلا مخطئا فيما ارتكبته من منع احتفال عز أن يوجد نظيره، خصوصا في وطننا الذي ابتلاه الله بوجود من يبغونها عوجا، فيسوءهم كل ما من شأنه أن يسر غيرهم، وعلى الأخص اجتماع المسلمين على ما يعنيهم في بيت **(سواء العاكف فيه والبادي)** «الحج : 25» وأظن هاته التسوية هي التي أزعجتك، فقمت تسعى جهدك في منعها، وكان حقك أن تعرف قبل كل شيء كون المساجد لله، وإن شئت قلت هي للمسلمين أسست من أجلهم، ومن خالص أموالهم، وإذا ليس لك ولا لغيرك في بيوت الله فتيل ولا قطمير، أكثر مما لغيرك، غريب وتالله أن يتعرض إمام من أئمة المسلمين لاحتفال العلاويين، ما دام في قلبه حشاشة من إيمان، مهما عرفه بصفته الشريفة التي جاء عليها.

نعم قد يقع التوقف في إجتماع مجهول الحقيقة من جهة

ما يجري فيه مما لا يتفق مع الشرع، أو يخالفه، أما اجتماع «العلاويين» فقد أصبح كشمس في رابعة النهار، لا يختلف إثنان في علوّ شأنه ومنتهى شرفه.

كفاك أيها الإمام المحترم، أنه يتألف من علماء ومرشدين، وخطباء ومدرسين على اختلاف طبقاتهم «علاويين» وغير علاويين يؤمون العاصمة من أصقاع مختلفة، وبقاع متباينة، لا لأرحام يتواصلونها، ولا لأموال يقترفونها، ولا لشيء سوى النصائح، وتشحيد القرائح ليس إلا، فاجتماع كهذا يا حضرة الإمام، كان يجب على أمثالكم، أن يكون موقفهم معه، لا الموقف الذي أنت عليه الآن، فكان الأولى لك أن تراه منة على أبناء الجزائر الذين هم أحوج لأقل القليل منه، فتشكر الله على ذلك، وتبذل جهدك في تدعيمه وتأييده بما تستطيع إليه سبيلا، فهذا بعض واجبك من جهة، ومن جهة أخرى، كان حقك أن تتأمل فيما عسى أن تخص به أولئك الأجلة القادمين على بلادكم، فلربما يكون واجبهم عليكم غير ما عاملتموهم به من قبل، فتجتهد إذ ذاك في حسن مقابلتهم، فتكرم نزلهم على الأقل بالترحيب بمقدمهم، وطلاقة الوجه عند اقتبالهم، وإلا فواجب الزائر على المزار أكثر من ذلك يا حضرة الإمام، ولا شك أنك لو زرت أنت بلادهم، للقيت عندهم كل ما فقدوه عندك، فبدل أن لا يضيق بهم منزلك، ويتسع لهم صدرك، أصبح استقرارهم بالمساجد مما يؤلمك، ويمنعك النوم الليالي الطوال، فإن هاته الأخلاق خصكم الله بها... كفاك أيها الإمام أن تسد في وجوههم أبواب منزلك عن أن تتطاول يدك لسد أبواب المساجد في وجوههم.

وفي الأخير، أتمنى على الله أن يلهمك رشدك، ويجعل هذه آخر جراءتك على بيوت الله، فلا تمنعها حظها، ولا تبخسها قسطها، فإنك مسؤول بين يدي الله وملائكته والناس أجمعين، اتق الله، ومن لا يتق الله في خلقه، فسوف يلق جزاء من ربه، والسلام على أهل السلام.

الرسالة الحادية والثلاثون

سبب تحرير هذا المكتوب، هو أن الشيخ «الطيب العقبي» قد فجأ الأمة الإسلامية بدعوتها إلى التجنيس بالجنسية الأجنبية، وكان يومئذ قريب عهد من تأسيس إصلاحه الذي اتخذه مسرحا لتمثيل روايته، وبالفعل حرر بعض زملائه مقالا في الموضوع، فجعله افتتاحيا، وعلق عليه بالتوفيق والتحبيذ، وتحريض الناس على الاعتناء به، والاتباع لما فيه، حتى قال: [إن التجنيس هو ضرب من ضروب الإصلاح، فواجب على علماء الأمة، ومن له حق في المشاركة، أن يعتني بمعالجته]. ولما قرأ مولانا الأستاذ - رضوان الله عليه - تلك المقالة، وما كان عليها من التعليق، تأثر لها أيما تأثير، وقال: الآن يحق للإسلام أن يقول: **(رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين)** «الأنبياء: 83» وعلت على المجلس كآبة، وعلى إثر انصرافنا عنه، حرر هذا المكتوب، وهو متأثر مكروب قال ما نصه:



تذكرة لمن تنفعه الذكرى

من إدارة « البلاغ الجزائري » إلى مدير جريدة « الإصلاح » ورئيس تحريرها، فضيلة الشيخ « الطيب العقبي ».

هذا أيها المحترم، فإننا نحمد الله لنا ولكم، حمد مخلص أواب، ونشكره شكر من رجع إلى الحق وأناب، بما هدانا وإياكم لمعاضدة السنة والكتاب، ونصلي ونسلم على من جاء بالحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب، وسلام الله علينا وعليكم، وعلى كل من استغفر لذنبه وأناب.

أما بعد، فإن الباعث على تحرير هذا المكتوب لسيادتكم، هي الرغبة في توطيد دعائم الأخوة الدينية، والروابط القومية، رجاء أن تتكون روح جديدة، وعلائق مفيدة بين أفراد قطرنا على الإجمال، وبين رجال الصحافة منهم على الخصوص، ليتسنى لهم العمل على شبه التضامن فيما بينهم.

وأنت تعلم يا حضرة الأخ، ما في التخاذل من المذلة، وما في التنازع من المضرة؟ حقيق إنه لا يفوتكم ذلك ما دام يتلى قوله تعالى: **(ولا تنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم)** « الأنفال : 46 » وقد أدركتم بالتجربة ما وقع في السنوات الفارطة من ضروب السباب والشتائم المتنوعة، وما رمى الكتاب به بعضهم بعضا من الموبقات والعظائم، الأمر الذي عابه على الصحافه الجزائرية القريب والبعيد، وكل من ألقى السمع وهو شهيد، حتى رجال الصحافة أنفسهم، وأنتم من جملتهم، لما أدركتم وأدركه غيركم

من وخامة الحال، وخبث المآل، وهو الأمر الذي دعاكم إلى أن دعوتمونا إلى المناظرة، وترك المشاجرة، ثم دعوتمونا إلى الهدنة المرة بعد المرة، ثم دعوتمونا إلى الحسنى، فأجبنا في جميع ذلك، وما لنا لا نجيب الداعي، إذا دعانا لما يجمعنا، وكل هذا كان واقعا بعد ما دعا إلى نظيره فضيلة الأستاذ ... في العدد الرابع عشر من صحيفة « البلاغ » ثم دعا إلى شبهه فضيلة الشيخ ... في العدد الخامس والعشرين من صحيفة « البلاغ » وهكذا أيضا دعا فضيلة الشيخ ... ثم نشرت دعوة في عدد: « 35 » من « البلاغ » أيضا من كتاب العاصمة، من جملتهم الأستاذ ... والشيخ ... والشيخ ... والشيخ ... والشيخ ... والشيخ ... وقد كان دعا إلى الهدنة غير هؤلاء ممن لم نستحضرهم، وجميعهم كانوا يظهرون براءتهم مما ارتكبه الفريقان من أنواع الشتائم، وضروب السباب، ويعتقدون أن لو اشتغلت الصحافة الجزائرية بغيره من الأبحاث، لما فاتها خير كثير، ولها أن تعمل على حطم المناكر المتفق عليها، أما الإختلافات المذهبية، فالنزاع فيها لا يزيد الأمة إلا تفريقا على تفريقها، خصوصا وكل فريق يرى من نفسه الإصابة، ولغيره الخطأ، ولهذا تجده يكفره تارة، ويفسقه أخرى...

بكى شجوه الإسلام من علمائه ☆ فما اكترثوا لما رأوا من بكائه
فأكثرهم مستقبحا لصواب من ☆ يخالفه مستحسنا لخطائه

وإذاً فما لنا لا نتعظ بمواعظ السلف، ولا نمتثل لنصح الخلف، ولم لا نكتفي من المسلمين بنظير ما اكتفى به منهم نبيهم ﷺ، فقد عرّف المسلم بقوله: (**من صلى صلاتنا**،

واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله، وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته) رواه «البخاري» وغيره. ولا أظنك تشك يا حضرة الشيخ، في كون النبي ﷺ أعرف بحقيقة المسلم من غيره، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن شهادة أن لا إله إلا الله، إذا لم تعصم المسلم في دمه، وماله، وعرضه، وتحكم عليه بأنه موحد مخلص في توحيده، فما فائدة ذكرها، وما فائدة تكرارها؟ وإذا كان الاشراك لا ينتفي بعقيدة لا إله إلا الله، فبماذا يكون نفيه يا ترى؟ أنا لا أظن أنها توجد عبارة تفي بحق المقام خير من تلك الكلمة، وهذا هو الذي أعتقده ويعتقده كل مسلم على ما يظهر، وهذا هو الذي نعرفه أيضا من تعريف المسلم حسبما تقدم، وإذا كنتم أنتم يا حضرة الشيخ تعتقدون خلاف ذلك فيما تقدم، فلكم اعتقادكم في نفوسكم، لكن مع احترامكم لما يعتقده غيركم، ما دام يشهد أن (لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله) ويعترف بوجوب القواعد الخمس، وفي ظني أن تلك الخلة لا تفقدونها في قومكم، وحتى إذا فقدت أو فقد بعضها، فطريق استلفاتهم إليها لا يكون بشبه التفسيق، والتكفير، والشتم والسباب، والغلظة والعنف، ومع هذا، فنحن لا ننكر معرفتكم لأسلوب الدعوة المقررة في صريح الشرع، وما فاتنا وإياكم إلا أن نسير على متوالها سيراً يرضي الله ورسوله، ولهذا نحذركم من أن تقعوا في ورطة طالما تمنيتم الخروج منها، أو تحركوا فتنة طالما سعيتم في إخمادها بأنفسكم، أما الآن فأنتم على وشك إيقادها:

أرى وسط الرماد وميض نار ☆ فيوشك أن يكون لها ضرام

فإن النـار بـالعودين تـذكى ☆ وإن الحـرب أولهـا الكلام

وها نحن نؤكد لكم بالنصح الخالص أن تتقوا الله في كتابتكم، وفي إرشاداتكم، وفيما تنشرونه لأنفسكم ولكتابكم، وإذا أردتم أن تفتحوا باب المجادلة فنعم، ولكن يكون بالتي هي أحسن، فإن فعلتم ذلك، كنتم أحسنتم لدينكم ولأنفسكم، وأبناء ملتكم، وأحسنتم إلينا من جملتهم أيضا، وإن فعلتم خلاف ما رأينا، فاستعدوا لفتنة كنتم الآخذين بزمامها، المتحملين لتبعتها، **(ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها)** « الأنعام : 160 » **(ويحذركم الله نفسه)** وعليكم السلام ورحمة الله.

الرسالة الثانية والثلاثون

البلاء عبء ثقيل، ولا يكاد يتكلفه إلا من كان يدرك به شيئا من رضوان الله، وهذا المعنى قليل من يدركه، إلا من رضي الله عنهم ورضوا عنه، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: **(أشدكم بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل)** ومن كان من هؤلاء، فإنه وإن رىء متألما على ظاهره، فهو في باطنه متأنس بالله تبارك وتعالى، لأنه يشاهد مهما اشتد به البلاء، إلا اشتد قربه من الله، ومهما اشتد قربه منه، كان في أعلى درجة من الكمال، كل بحسبه من النبيئين والصالحين وأمثالهم.

قال رضوان الله عليه:

من عبد ربه « أحمد بن مصطفى العلاوي » إلى الأخ العارف بالله سيدي (...) جزاكم الله بمزيد النعم، وحجب أبصاركم عن

الحدوث بالقدم، والسلام عليكم ما أثرت قدرة الله في العوالم، وقال قائل: الله واجب الوجود، وما سواه مفقود.

سيدي قد بلغني من طرفكم عدة مكاتيب، وقد تأخرت عن مكاتبتكم لأسباب أنتم أعلم بها، والآن قد عافانا الله، والعافية هو أعلم بها، إذ لا تعلم النفس مصالحها، وقد خرجت من «مستغانم» إلى «تلمسان» وبي من الآلام ما يعجزني في الغالب عن القيام، وإني على أحسن حال مما كنت عليه، وهذا من جهة ما يخص النفس، وأما باعتبار ما حصل لنا من الأنس عندما أنعم الله علينا بمرضنا الأخير، فإني صرت لا أشتهي الشفاء، والله حسبي وكفى، وقد بلغني عنكم ما يسرنا من جهة الحس، فأرجو الله أن يكون لكم زيادة في الأنس، ورسوخا في حضرة القدس، واحذر - بارك الله فيك - أن تميل كل الميل لما يخص موازين البشرية، فتذروها كالمعلقة، أي الروحانية، وهي أعز من أن يشتغل بغيرها، ولا يخفاك تفصيل ما نبهنا إليه، **(وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه)** «الإسراء: 13» **(وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت)** «الأنعام: 70» فإذا جاء الحق **(علمت نفس ما قدمت وأخرت)** «الانفطار: 5» والحالة أن ليس لها من دون الله ولي ولا نصير، فاجعله - بارك الله فيك - ناصرا، وإياك أن تعتمد على وجود الغير، فالإعتماد في الصلاة مبطل، والوقوف مع غير الله معضل، والدعوة تحتاج للبيان، حيث قلنا: لا موجود إلا الله، وصرحنا به باللسان، تعين علينا أن لا نعتمد على غيره في الجنان، ولا نرجو سواه من إنس وجان، والله حسبنا وبه المستعان، وسلم منا على جمعكم بالتمام، ولتهد لهم منا مزيد التحية والاحترام، وإننا في اعتناء بجمعكم، ولا زلنا نتمنى الإجتماع بذواتكم، والسلام.

الرسالة الثالثة والثلاثون

ذكر الأستاذ في هذه الرسالة أمرا معتبرا لا ينبغي إهمال التنبيه عليه، وهو أن كثيرا من الناس ينتقدون على « الطائفة العلاوية » تلقينها الأوراد لعامة المسلمين، مع أن الطريقة لا تقصد بتلقين أورادها إلا انتفاع المسلمين، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، عملا بما ورد في الحديث الشريف عنه ﷺ: **(الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)** فتبين من ترتيب هذا الحديث، أن النصيحة مطلوبة من المرشد إلى كافة الناس، وإذا أنصفنا الخصم، فعامة الناس أحق بها من غيرهم، وتكون الطائفة بهذا الإعتبار قد أحسنت إلى العامة بتلقينها أورادها وإياهم، قال مولانا الأستاذ رضوان الله عليه:

طاهر النسب، قوي السبب، الصادق الغيور، ولي الله، والمحب من أجله، سيدي (...) عمم الله النفع بكم، والسلام عليكم وعلى من هو منكم وإليكم.

هذا أيها المحب، قد اتصل بيدي كتابكم، بعد ما تشوفت إليه أياما، وها أنا الآن أحمد الله على سلامتكم الدينية والبدنية، صرفهما الله في مرضاته، وقد كنت وصيت البعض من إخواننا من جملتهم المقدم سيدي (...) وكذلك سيدي (...) فأخبراني على أنكم بخير، أما ما أرشدتمونا إليه من شأن الخلوة، وعلى أن هناك أناسا ليسوا بأهل لذلك، فما أخبرتمونا إلا بالصدق بعينه، ولكن كيف العمل أخي عند ما يأتيك الإنسان قائلا: نريد أن

ننقطع أياما لذكر الله، بقصد التوبة والرجوع إلى الله، فما عليك إلا أن تأمره بالذكر، لأن الخلوة عندنا على ضربين، خلوة بقصد التصفية، وخلوة بقصد السلوك إلى الله عز وجل، ولا يأخذ كلتيهما إلا من سبقت له العناية، والمعنى أن هناك أناسا لا حظ لهم فيما عند الله، وكيفما كان لا يسوغ للمرشد أن يمنع من قصده طالباً الله، غير أنه يرشده لما يناسبه، وعلى الله قصد السبيل، ولكنكم نبهتموني إلى شيء كنت عنه في غفلة - بارك الله فيكم - لأني ما كنت أظن أن المؤمن يأتي للخلوة بقصد التجسس، **(لله الأمر من قبل ومن بعد)** «الروم : 4» ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إنكم قد كنتم وعدتمونا بالزيارة نحونا، أرجو الله أن ييسر لكم أسباب القدوم، ويرشدنا وإياكم إلى ما فيه صلاح أنفسنا، وإصلاح العموم.

ثم أوصيك أن تحافظ - بارك الله فيك - ما أمكنك، على ذكر الإسم الأعظم بالكيفية التي وصلتك، حتى يقضي الله بالجمع بيننا **(وهو على جمعهم إذا يشاء قدير)** «الشورى : 29».

الرسالة الرابعة والثلاثون

إن من ينظر إلى هذه الرسالة بعين الإنصاف، ويتمعن فيها بقلب طاهر من التعصب والاعتساف، وجدها درة يتيمة في بابها، وحجة معتمدة لأربابها، لأن مسألة الرقص قد تناولها كثير من الناس، ولكن لم ير فيها أسلوب لطيف وتركيب مقبول،

مثل ما في هذه الرسالة الغراء، فقد أبان فيها ما تطمئن به أفئدة المهتدين، وتقر به أعين الذاكرين، فيما يرجع لمسألة الإهتزاز بالذكر المعلوم عند القوم الصوفية باسم الصدر، قال رضي الله عنه ما نصه:

إن حكم الرقص وإن كان هو ليس من التصوف في شيء، فأقول: كل ما أصابك من تحريم ما أحل الله، إما لعدم إطلاعك على الأصول، أو لعدم ورعك، أو لم تعلم أن ما حرم من الرقص هو ما قيد باللهو، وكان على سبيل التخنث والتكسر الذي هو من طبع السفهاء وتحريم هذا ونحوه لا يحتاج إلى استدلال، فالطباع الكريمة تستقبحه ضرورة، لأن الداعي فيه رعونة نفسانية، ونزغة شيطانية. ثم إنك إن تناولت هذا الحكم، وأخذت تضعه على كل من رأيته أو سمعت به رقص، أو أقر على الرقص، فينتج لك منه حكم ما تقر به عينك، ألا ترى أنه إذا تقرر لديك أن مستحل الرقص قالوا بكفره، فكيف بك إذا بلغك أن الحبشة دخلوا مسجد النبي ﷺ يوم العيد على هيئتهم المعروفة من الرقص ونحوه، وهو ﷺ ناظر لهم، وعائشة رضي الله عنها تتطلع عليهم من خلفه، حتى فرغوا من أعمالهم، ولم ينكر عليهم ﷺ، فبالله عليك أي شيء تفهمه، وأنت تقول الرقص حرام مطلقا؟ وهل تراه ﷺ يقر على الحرام؟ وهلا تجد فرقا بين رقص السفهاء المتخنثين، وبين رقص الحبشة؟ وإذا لم يبلغك هذا أو بلغك ولم تستنتج منه حكم الإباحة لقصور الإدراك، فأي شيء تقوله في رقص السيد «جعفر بن أبي طالب» - رضي الله عنه - إن صح ذلك، حسبما جاء في بعض

الأحاديث، لما قال له ﷺ: (**أشبهت خَلْقِي وخُلُقِي**) فقام يرقص بحضرته ﷺ، ولم ينكر عليه، ولم ينهه؟ وهلا يفيدك هذا إباحة في الحكم! وهلاّ يصح التطبيق بين رقص السيد جعفر، وبين الرقص المشار إليه في قصيدة ابن وهبان؟ ألم تعلم أن التنصيص يقيد بالإطلاق، وهل ترى أن الصوفية يقولون بحلية الرقص مطلقا، كما قلت أنت بتحريمه مطلقا؟ كلا! وإنما هم أوسع منك نظرا، لا يقولون في دين الله بغير علم، ولا يتناولون النصوص بغير فهم، وعلى هذا يتعين على العالم أن لا يحكم على الرقص بشيء قبل أن يعلم ما هو الداعي فيه، ليلا يحرم ما حلل الله، ولهذا قال الشيخ «مصطفى بن اسماعيل خبش»: (وإن كان ظاهر الوهبانية تحريم الرقص مطلقا). فالمعتمد ما ذكر «ابن كمال باشا» ونقله في الصفوة، ونصه:

ما في التواجد إن حققت من حرج ☆ ولا التمايل إن أخلصت من بأس
فقمت تسعى على رجل وحق لمن ☆ دعاه مولاه أن يسعى على الرأس

ثم أقول: إن ما قررناه في هاته النازلة، ليس هو مجرد انتصار لجانب الرقص، كلا! وإنما هو إظهار للحكم، وانتصار للأمة المحمدية، التي قضيت بالكفر على الجل منها، لأن الغالب فيها يعتقد جواز الإهتزاز، وأما المنتسبون فيعتقدون مطلوبيته، لقوله عليه الصلاة والسلام: (**ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب**) نقله «صاحب النصرة» ومثله أيضا قوله ﷺ: (**سبق المفردون المستهترون في ذكر الله**) ذكر في «الجامع الصغير».

وما يدريك أن يكون رقص الصوفية بالذكر، هو ذلك الاهتزاز

المخبر عنه في الحديث، لأنه صريح في حركة الذاكر، ولهذه المناسبة رآى بعض الصوفية الإهتزاز عند ذكر الله جائزاً لشدة شغفهم بالله، **(والذين آمنوا أشد حباً لله)** «البقرة: 165» وبالطبع كل حبيب يرتعد عند ذكر حبيبه، وإني على علم من أن الحجة لا تقوم عندك بما ذكرناه، لأنك لم تذق طعم المحبة، ولو دبت في مفاصلك لاشتهيت أن تسمع ذكر الله ولو من كافر، ثم تقول كما قال سلطان العاشقين:

ولي ذكرها يحلو على كل صيغة ☆ وإن مزجوه عذالي بالخصام

وحينئذ تعرف معنى الوجل، وتنظر هل تملك نفسك أم لا، ألم يبلغك في كتاب الله خبر النسوة اللاتي قطعن أيديهن لما خرج عليهن «يوسف» عليه السلام: **(وقلن حاشا لله ما هذا بشرا)** «يوسف: 31» فإن كان مثل هذا يقع لمشاهدة جمال مخلوق، فلم لا يقع ما يقرب منه عند مشاهدة جمال الخالق إذا ظهر بسلطان كبريائه؟

ثم إني رأيتك لا تبالي بتضليل المؤمن، ولا بتفسيقه ولا بتبديعه، بل ولا بتكفيره، فكل ذلك عندك أهون من شربة ماء، ولم تدر ما حرمة المؤمن عند الله، ولا عند رسول الله، ألم تعلم أنك إذا قلت بتكفير مؤمن، فقد حكمت بإباحة ماله، ودمه، وبخلوده في النار، وهل ترى هذا مما يرضي الله ورسوله؟ أو ليس في علمك أن «الخضر» عليه السلام استهون قتل النفس، على تكفير المؤمن، قال تعالى فيما أخبر عنه: **(وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفراً)** «الكهف: 80» ألم تعلم أن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة

الكعبة ؟ وأن هدمها عنده أهون من تكفير المؤمن المعلن بكلمة الإخلاص، المردد لها في سائر الأنفاس، وإني أحذرك الله أن تتقيه في أهل لا إله إلا الله، ولا تقل فيهم برأيك، فإنهم أقوام خلقهم الله لذكره، واختارهم في سابق علمه، فعلى الأقل أن تراقبهم لله، وتحترمهم في الله، والإضافة تغنيك، والله يلهمك ويهديك.

الرسالة الخامسة والثلاثون

أعربت هذه الرسالة عن جوهرة ثمينة، وهي جوهرة التوكل التي قال فيها النبي ﷺ: **(لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما ترزق الطير، تغذو خماصا وتروح بطانا)** وإن التوكل على الله حسن في كل مسلم، وفي المنتسب إلى الله أحسن، لأنه أقوى قاعدة في التوجه إلى الله، وخدمة نسبته. أما من ينقصه شيء من التوكل على الله، فلا أراه إلا مولّ الدبر في يوم ما، عما قام به من الدعاية إلى الله، ولهذا ترى الأستاذ يحرض مريديه على عدم التكلف للرزق، ليستخلص وجهته إلى الله، ولا يعكر صفوه فيما بينه وبين الله من الاهتمام بالرزق، **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** « الطلاق : 3 ». وكفى بالله وكيلا.

قال رضوان الله عليه:

كوكب السعود، ومجلي الشهود سيدي (...) وأهل دائرتكم الذاكرون، أحياكم الله وأحيا بكم، وسلامه عليكم ما تواصل المحبون.

سيدي، وصلتني من طرفكم عدة مكاتيب، فأنبأتني على ما أنتم عليه، ومن طبعي التشوف لذلك، فالله يجازيكم خيرا، وإني على بينة من أمركم، متشكرا لصنعكم، سائلا من الله الحفظ لكم، ولمن تشبث بأذيالكم. ثم أوصيك بارك الله فيكم، بما أوصيت به عندما كنت متشتت الفكر في أول أمري، وذلك أن لا تهتم كثيرا من شأن الرزق، ولتعلم أن الإهتمام به وصمة في الفؤاد، يتعذر تسديدها في الغالب، وأنها منغصة للعيشتين الدينية والبدنية، ولا تنشأ إلا من خبث الطوية، فاحذرها بارك الله فيك. قال تعالى لنبيه ﷺ: **(وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها، لا نسألك رزقا، نحن نرزقك، والعاقبة للتقوى)** «طه: 132» ولك في أسلافك إسوة حسنة، ولا خير فيمن لا يقتفي آثارهم.

ثم أوصيك أن لا تلتفت للإعتراضات الواهية، بأن تعسر وقتك بما قالوا، بل أنظر ما تقول أنت، وما يترتب على ذلك، **(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)** «ق 18» وعليه، فأنت مسؤول عن قولك، لا عن أقوالهم **(قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)** «الأنعام: 91» إلا إذا علمت في الجواب نفعا.

وسلم منا على أهلك وأهل محبتك فردا فردا، وأوصيهم - بارك الله لنا فيهم - بحفظ العهد، ودوام الود، واجتناب الرذائل، واكتساب الفضائل، والصلاة في أوقاتها قال تعالى: **(إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)** «النساء: 103» وإن وجدت من فيه أهلية للمزيد، فتكلم معه بما فتح الله به عليك من أسرار التوحيد، بعد تدريب القلوب على الإسم الأعظم، لأن المعنى لا ترسخ إلا في قلب كان مسماه، وعليك من إخوانك جزيل السلام.

الرسالة السادسة والثلاثون

نثبت هذه الرسالة من بين رسائله القيمة، وإن سبق نشرها ببعض مؤلفاته لسببين: - **السبب الأول:** لأننا خصصنا هذا المجموع لرسائله، فلا ينبغي أن تهمل هذه الرسالة عن أخواتها.
- **والسبب الثاني:** فإنها رسالة عامرة أتت بتأويل في الحديث الشريف، لم يسبق بمثلة، وهو من المشكلات التي ينبغي لها أن تؤول وتحل، ليعم نفعها من بين أفراد المؤمنين.
قال رضي الله عنه:

إلى الفقيه الأجل، النبيل الأمثل، الشيخ سيدي (...) عليكم سلام الله الأشمل يحفظنا وإياكم من الخطأ والزلل، ورزقنا وإياكم حسن الظن بطوائف الإسلام والملل.

أما بعد: فإنه قد بلغني تأويلكم في قوله ﷺ: **(ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة)** وعرضت بأهل التصوف، فجعلتهم فرقة من تلك الفرق، وإني أحكمك لله ولرسوله ولصالح المؤمنين فيما بينك وبين الصوفية.

ثم أقول لك: إذا جعلت مذهب أهل التصوف فرقة من تلك الفرق، يتعذر عليك إيجاد تمام البضع والسبعين فرقة، إلا إذا أتممتها بنفسك، وبمن هو على شاكلتك، لأنك حصرت الفرق في أهل السنة والجماعة، وهلا نقلت حديثا نقله الإمام «الغزالي» في كتابه المسمى «فيصل التفرقة» وهو قوله ﷺ: **(ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا الزنادقة)** ولكن هذا لا يقع عليه بصرك، وإنما يقع على ما يساعدك في

الحكم على سائر أفراد المسلمين بالنار، حتى تخلو لك الجنة أنت ومن هو على شاكلتك لا غير، **(قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم، والله عليم بالظالمين)** «البقرة: 94 - 95» وفي الغالب تتشوف لوجه التطبيق بين الحديثين، وهذا ونحوه لا تجد من يرفع عنك معضلته إلا صوفي، ومحال أن تتنزل له، لأن الحسد يسد باب الإنصاف، ويقطع لسان الاعتراف، وعلى كل حال، نذكر ما فتح الله به، وإن كانت لا حاجة لك فيه، فإن لكل ساقط لاقطا.

فأقول: إن وجه التطبيق بين الحديثين سهل، وليس هو إلا أن تجعل الأمة في الحديث الأول عائدة على أمة الدعوة، وفي الحديث الثاني عائد على أمة الإجابة، وتتضح المعنى باستخدام وإيراد الحديث بطوله، قال ﷺ في الحديث المشهور: **(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة، وهي ما أنا عليه وأصحابي)** فيتضح من سر الترتيب، أن الملل كانت سبعين ملة، والملة التي جاء بها سيدنا «موسى» عليه السلام، هي تمام إحدى وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا ما كان عليه موسى وأصحابه، وجميع الفرق تسمى أمته من حيث الدعوة، لأنه رسول زمانه، ولما بعث «عيسى» عليه السلام بملته، كانت هي تمام اثنين وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا ما كان عليه عيسى عليه السلام وأتباعه، ولما بعث «أحمد» ﷺ بالملة

الأحمدية السمحة، كانت تمام الثلاث والسبعين فرقة، كلهم في النار إلا ما كان عليه هو وأصحابه، ويعني بالأمة أمة الدعوة، لأنه عليه السلام كان يقول: (**أنا رسول من أدركته حيا، ومن يولد بعدي**).

ثم إن الملة الأحمدية افترقت حسب الحديث الثاني، على بضع وسبعين فرقة، وهذا يحمل على تعدد المذاهب وتباين المشارب، وكلهم في الجنة، إلا الزنادقة، وهذا ما يناسب الشفقة المحمدية، والرحمة الإلهية، وإلا لهلكت الأمة بأجمعها، إذا كان الناجي جزءا من بضع وسبعين جزءا، والحالة أنه غير معين، لأن كل فريق يزعم بنجاته، والله سبحانه وتعالى يقول: (**أنا عند ظن كل مؤمن**) بالله ورسوله واليوم الاخر مهما اجتهد لنفسه بما يقربه إلى الله، فإن أصاب فله أجران، وإن لم يصب فله أجر، فهو مأجور على كل حال، أحببت أم كرهت، لأن الخلق ما كلفوا إصابة الصواب، وإنما كلفوا الظن بأنه صواب، وجميع ذلك مما يقتضيه تسامح الشرع الأحمدي المشار إليه بقوله تعالى: (**ما جعل عليكم في الدين من حرج**) «الحج: 78» ويشهد لما ذكر ما رواه «الطبراني» مرفوعا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة طريقة، ما سلك أحد طريقة منها إلا نجا**) والذي أبلغ في التأييد وهو الحق الأكيد إن شاء الله، ما ذكره، «السيوطي» في «الجامع الصغير» عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**ما من أمة إلا وبعضها في النار وبعضها في الجنة إلا أمتي فإنها كلها في الجنة**) (**والله يرزق من يشاء بغير حساب**) «البقرة: 212».

الرسالة السابعة والثلاثون

يظهر من عبارة هذه الرسالة، أن الأستاذ - قدس الله سره - يشير إلى مقامه المنيف الذي يحشره بحق مع من ذكر من أكابر أهل العلم والولاية في هذه الرسالة، وأن دفاعه عن ثبوت أمثالهم، ليس هو بدفاع عن شخصيته الشريفة، إنما هو دفاع وغيرة عن المقام، حتى لا يحرم من الانتفاع به من أكرمه الله بالأخذ عن أهل زمانهم، أولئك الموفقون، وما توفيقي إلا بالله.

قال رضي الله عنه:

إلى حضرة الشيخ « محمد الهلالي » المدرس بالحرم النبوي الشريف: أيها المحترم زادكم الله احتراما، ووقانا وإياكم شر ما تنشره الأقلام.

قد كنا وقفنا أيها المحترم في العدد: 172 من « مجلة الشهاب » على مقال ينسب لحضرتكم، ومن جملة ما ذكرتم فيه: إنكم تجلون رتبة رجال التصوف المتقدمين، « كالجنيد » « والغزالي » « والسنوسي » « والجيلاني » « وعبد السلام الأسمر » « والدسوقي » « ومعروف الكرخي » وهلم جرا، وذكرتم أنكم تعترفون لهم بأنهم كانوا - رضوان الله عليهم - على جانب عظيم من الزهد والتقوى.

ولكن لست أدري، وغيري لا يدري أيضا - إلا أنتم - بماذا أثبتم لهم بأنهم كانوا على جانب عظيم من الزهد والتقوى، وغير ذلك من الخصال الشريفة؟ وبماذا نفيتم أن يوجد من بين المتأخرين ولو رجلٌ رشيدٌ -حسبما صرحتم بذلك في مقالكم

الأول؟ أليس ذلك - يرحمكم الله - مجرد تحكم منكم أولا وآخرا؟ وما هي حجتكم في الحكم على المتأخرين بسلب الرشد من بينهم، فهل كنتم المهيمنين عليهم، فسبرتم غور الظواهر منهم والبواطن، فلم تجدوا منهم ولو واحدا يصلح أن يرتبط بمن سلف، ولو بشيء في الجملة؟ فنحن وأيم الله في تشوف عظيم، لأن تطلعونا على المأخذ.

أما أنا فلا أراكم إلا أنكم قستم من تعرفونهم على من لم تعرفوهم، فحكمتم على الجنس بحكم النوع، وهو لا شك حكم تفتخرون به بين المناطقة، وتصولون بمثله على الأصوليين!.

أيها الشيخ، أليس يكفيك أن تقوم بتدريس ما تعرفه من ضروريات الدين، وتتجنب ما لا تعرفه، حتى تكون على بينة ويقين؟ ألم يبلغك **(إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا)** «الإسراء : 36» فالأحرى بنا وبكم أيها الشيخ، أن لا نحكم بالسلب أو الإيجاب، إلا على ما نعرفه من نفوسنا، وان كان ولا بد، فعلى ما نعرفه ونتحققه من البعض في أبناء جنسنا، أما ما غاب عنا وعنكم من أسرار الخلق، فنكل أمره للملك الحق، وهذا ما عنّ لنا نصحانكم به لوجه الله، وعلينا وعليكم السلام ورحمة الله.



خـــاتمــــة

قد كمل - والمنة لله - ما تيسر جمعه من رسائل مولانا الأستاذ - رضوان الله عليه- وأجوبته، وهو القدر الذي وجدناه مسطوراً في دفاتره، وملفاته بخط أيدي كتابه الذين تداولوا على منصب الكتابة عنده مدة مديدة، والمعنى أن هاته الرسائل والأجوبة، هي التي كان يأمر كتابه بتسجيلها في دفاتره، وهناك غير هاته الرسائل التي لم يأمر بتسجيلها، فأعرضنا عن إثباتها في مجموعة رسائله، خشية من الوقوع في المختلف فيه هل هو له أو لغيره، وهكذا تحرينا في النقل، حتى لم أنقل إلا ما أنا فيه على يقين من أنه له، وأنه أمر بتسجيله في دفاتره، وفي الأمر بإثباته إشارة إلى تخليده، وهو جدير بذلك، لأنه أثر محمود، وطريق معهود عند أيمة الأمة، فإنه ما من كبير اشتهر بتطبيب القلوب والأرواح، إلا كان كلامه فيه شفاء ورحمة للناس، ومن طالع هاته الرسائل وما معها من الأجوبة، فلا ريب يعترف بفضل هذا الإمام الكبير، الذي كان يبذل كل مرتخص وغال في سبيل سعادة الملة، ونصرة الأمة، إلى أن كان آية ناطقة تمشي من بين الناس، كشمس على علم ليس من بينها وبينهم حجاب، إلا من لم يلهمه الله طريق الصواب، فأولئك الذين ينادون من مكان بعيد.

عاش هذا الإمام ثلاثا وستين سنة، ثم توفي إلى الرفيق الأعلى **(كل نفس ذائقة الموت)** « آل عمران : 185 » ولكن من يستأثر أعماله ويتأمل مآثره، يجدها أعمالاً ومآثر من عاش من السنين

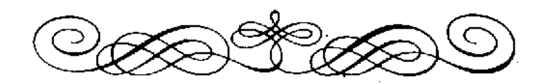
عددا، مع أنه لم ينفرد لخدمة النسبة إلا حوالي الأربعين سنة من عمره العامر، وفي ظرف تلك المدة القليلة أشرق بنور طلعته على الوجود، فأضاء منها السهل والجبل، وسارت بذكره الركبان، وأصبح ذكره رائجا وبيته محجوجا، رغم المشاغبين الذين طمس الله على قلوبهم، وعلى أبصارهم بغشاوة الحسد والعناد، والحق أنه مهما كمل استعداد مرشد في القيام بعبء الدعوة إلى الله، إلا ويبتليه الله بشرار أهل زمانه، لتصح دعوته ويحيق المكر السيء بأهله، وهي وراثة لا بد منها لكل من كان له أوفر نصيب من مقام الإرشاد، ولا تحول ولا تزول هاته الوراثة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والله خير الوارثين.

هذه كلمة مختصرة، ختمنا بها هذا الكتاب، تنويها بشأن الأستاذ - رضوان الله عليه - وتنبيها لقدره الذي يضيق عن تعداد فضائله المجلد الضخم، فضلا عن هاته الكلمة التي ما ذكرناها، إلا كمن يفتح قارورة المسك لمبتغيه، لأن الأثر الذي تركه في قلوب أتباعه الذين اتبعوه بوفاء وإخلاص، فهو شيء لا يمحوه الدهر، ولا ينساه الفكر، تلك هي مآثر الأستاذ (العلاوي) وتلك هي مفاخره، إذا ما فاخرته الناس، لأنه الوارث المحمدي الذي كان على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، أولئك الأقلون عددا، الأعظمون قدراً، أولئك حملة الأسرار، أولئك خلفاء الله الأبرار، اللهم أغثنا بجاههم، ولا تزغ قلوبنا عن طريقتهم، واحشرنا في زمرتهم في الدنيا ويوم الدين، والله ولي المؤمنين، يا مولانا يا أرحم الراحمين، **(إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)** آمين.

تمت رسائله شبيهة بالبدر ☆ من بعد أجوبة أعز من الدر
عظيم به ظل الزمان مفتخراً ☆ من بين أزمنة ذوي الفخر والقدر
أيا مرشداً نلت المكارم والعلا ☆ وقمت مناديا إلى الدين بالنصر
وابديت مشربا إلى الله داعيا ☆ بإذنه لا ريب في السر وفي الجهر
هلموا إلى الله فتحظوا بقربه ☆ فيا حبذا عبد أجاب إلى الذكر
فمن كان ذا حزم وعزم ونية ☆ فقد فاز بشراه بالمكارم الغر
وكل من أتاك بقلبه مخلصا ☆ فقد هدي حقا إلى سبيل اليسر
نعم قد أجبناك بكل صراحة ☆ وإنا على العهد إلى النشر والحشر
كفانا رضاؤك في كل حادثةٍ ☆ إذا نابنا خطب من نوائب الدهر
جزاك إله العرش عنا يا أحمد ☆ بما أنت أهله من القرب والفخر
عليك رحمة الله تغشى ضريحك ☆ ما سبح خلق الله في البر والبحر
رحلت إلى دار البقاء متوجا ☆ بتاج من الفضل يفوق حد الشكر
وضعت من بعدك إلينا وصية ☆ جديرة أن تكتب على جبين العصر
فيقرأها أهل البصائر والنهى ☆ فيعطوها حقها تقديراً حق القدر
ومن حاد عن تلك المعالم مدبرا ☆ فقد حاد عن نهج السعادة والخير
ففيها من النور المبين لابنكم ☆ إمامنا « عدة » بعدك بلا نكر
لقد صح عهدنا بتجديد عهدكم ☆ عليه بلا شك على مدة العمر
تَعَالَ أخا الوفا فالحق طريقه ☆ أجل من أن تخفى على صاحب الطهر
ننادي ولا نخشى من الناس مقلقا ☆ إذ دعوت قوما إلى سبيل النصر
لأني على علم اليقين ولا مرا ☆ إذا دعوت قوما إلى مقام الوتر
أولئك أفذاذ الطريقة في الورى ☆ عليهم رضوان الله على عدد القطر
وصل رب على النبي « محمد » ☆ وآله والصحب ذوي الشيم الغر
مهما غردت ورق وصاحت بلابل ☆ بذكر خالقها على رياض الزهر

تَعَالَ أخا الوفا فالحق طريقه ☆ أجل من أن تخفى على صاحب الطهر
نـنادي ولا نخشى من الناس مقلقا ☆ إذ دعوت قوما إلى سبيل النصر
لأني على علم اليقين ولا مرا ☆ إذا دعوت قوما إلى مقام الوتر
أولئك أفذاذ الطريقة في الورى ☆ عليهم رضوان الله على عدد القطر
وصل رب على النبي « محمد » ☆ وآله والصحب ذوي الشيم الغر
مهما غردت ورق وصاحت بلابل ☆ بذكر خالقها على رياض الزهر

علي بن محمد الغماري



فهرست كتاب أعذب المناهل

القسم الأول

أولا: أجوبته رضي الله عنه عن بعض الآيات القرآنية

ثانيا: أجوبته « ض » عن بعض الأحاديث النبوية

ثالثا: أجوبته « ض » عن المسائل العلمية والدينية التوحيد - الفقه - التصوف

القسم الثاني

رسائله رضي الله عنه

